وتعود الوفود مرة اخرى

عبد الجبار داود البصري

مضى عام ونحن ننتظر عودة الوفود الى بغـداد ، ونتتبع اخبارهم ونجد في كل خبر ذكرى وامنيـة • احداهما تمسك بالماضي والثانية تستحضر المستقبل •

ويعود المربد الثاني بوجه غير وجهه الاول ، وبمعنى غير معناه الاول فلقد كان المربد الاول منطلقا ، اما المربد الثاني فهو موعد••ليلتقي فيه الشعراء والادباء وقدتخلوا عن حب الاطلاع ودهشة الدعوة الاولى وعاد كل منهم يحمل عطاءه ومشروعه •

اما الذين يبحثون عن الاخطاء فقد يجدونها واما الذين يبحثون عن الحب والود فسيجدون قلوبا اكثر ترحب بهم ، واذرعا اكثر تحتضنهم واكفا اكثر مهيأة لان تشد على ايديهم بدفء وعذوبة •

وحين يكون المربد موعدا تشعر بان الاديب العراقي مطالب اكثر من غيره لان يقدم حسابه فماذا اعد لهذا اللقـــاء ؟

منذ المربد الاول في نيسان ١٩٧١ والحركة الادبية في العراق تزداد نشاطا فالمجاميع الشعرية تتزاحم على رفوف المكتبات ، والقصص والروايات تحاصر القراء ، والنقاد يختصمـــون فيما بينهـــم ، والنوادي الادبيـة والاتحادات مشغولة بالاماسـي الثقافيـة والتجارب والممارسات التي تشدها الى الجماهير • ومنذ المربد الاول في نيسان ١٩٧١ وعراق الثورة يزداد انفتاحا على كافة التيارات الثقافية والقوى التقـدمية لا يفرق بين المواهب العربية ولا يتوجس خيفة من الفكرة الجديدة •• كما لا يلين امام الضغوط الامبريالية وثقافاتهـــا المعادية للانسان •

ومنذ المربد الاول في نيسان ١٩٧١ وعراق الثورة حريص على ان يعمق روابط الود بين مثقفيـــه ومثقفي كافة الدول الصديقة والمحبة للسلم •• فما يكاد يعود وفد ثقافي من برلين حتى يعلن عـن اسـبوع ثقافـي في صوفيا وما ان ينتهي هذا الاسبوع حتى يفتتح معرض للكتاب العراقي في موسكو او بلغراد او براغ او القاهرة او الرباط •

وقد حرص العراق على ان يكون أمينا لوصايا المربد الاول التي اعلنها في بيانه الختامي فقد نفـذها بندا بندا •• وكنا نطمع ان تكون الوصايا اغزر وأوفر •

ان المربد الثاني مدعو لان يتلمس حاجات الوسط الثقافي وهو مرتبط بقاعدته الاجتماعية •• واولى هذه الحاجات ان النظرة البرجوازية للادب والفن يجـب أن يكبح جماحها وان تفضح دسائسها لتشويه الثقافـة الاشتراكية وان تعرى حججها التي تصـدرها اتهامات لادب الممارسة والنضال الثوري في مقابل اطلاق الحرية لادباء الجبهة التقدمية •

والحاجة الثانية الدعوة الى تأميم وسائل صناعة الادب والفكر والفن ووضعها في خدمة الشعب والاديب نفسه وانهاء حالة الاستغلال التي تجعل الاديب يـكدح ويعرق ويجوع من اجل ان تتضخم صنـــاديق بعض المتطفلين على الحياة الثقافية ••

والحاجة الثالثة تعبئة الادباء والشعراء في نقابات مهنية وتنظيم حياتهم وافساح المجال امامهم لان يخرجوا من مقاهيهم الزجاجية ليعيشوا مع العمال والفلاحين في المصنع والمزرعة والسعي لاصدار اللوائح القانونية التي تعطي لكل ذلك شرعية وكينونة •

والحاجة الرابعة ان الاديب العربي محتـــاج الى نظرية عربية اصيلة في الادب والفن تعبر عن جوهـــر الامة العربية تـــكافح ضد الصهيونيـــة والرجعيـــة والاستعمار من اجل حريتها وانسانيتها ، وتناضل ضد التجزئة « وتجار التجزئة » من اجل وحدتها وارضهـــا ووجودها كاملة • • هذا بعض ما يدور في مخيلتي ••

فماذا لديك يا اخي العائد الى بغداد ••

الواسطي ومهرجانه

حسام البكري

في سبيل خلق المناخ الثقافي الذي يكفل نموا للقدرات ، وتشجيعا للمواهب ، وعن ايمان ينطلق من وعي الدور الذي قام به الافذاذ في خدمة الشعب ، يقوم عراق اليوم بالاحتفالات التكريمية لاعلان الذين مدوا الانسانية بغذاء الفكر والروح ، وساهموا في اقامة صروح الحضارة فوق هذه الارض الطيبة .

بين ٦ – ١٠ نيسان ١٩٧٢ يقام في بغداد مهرجان الواسطي وهو في مجمل دلالاته احياء لذكرى فنان عظيم ، ودراسة للمؤثرات التي عملت على تكوين فنه وشخصيته ، وبحث في اتجاهات جماعة الفنانين الذين عايشوا المراحل الاخيرة من العهد العباسي وتوصلوا الى اساليب فريدة ومتميزة من التأثيرات الايرانية والبيزنطية التي كانت تلقي ظلالها على الوان الحياة الاجتماعية والفنية . ان تلك الاساليب والاتجاهات تحتضنها خزانات الكتب في متاحف ومكتبات القاهرة وباريس وفينا ولينينغراد واستانبول .

يمكن للباحث القول ان بداية القرن الثالث عشر الميلادي شهدت تأثيرات واضحة للفنون البيزنطية ، ولكن بتقادم الزمن والعمل الصادق للفنانين العرب للاحتفاظ باصالتهم وجوهرهم توضح اسلوب يحمل سمات معينة رائعة وعريقة ، وقد عرف هذا الاسلوب فيما بعد باسلوب مدرسة بغداد للتصوير . كما يمكن للتباحث القول ان ابرز المخطوطات التي تحمل طابع هذه المدرسة الفريدة كتاب البيطرة الذي انهى تصويره احمد بن الحسين بن الاحنف عام ١٢٠٠ م والذي يحتفظ « متحف توبكابو » في استانبول بجزء منه ، اما الباقي منه ففي المكتبة الوطنية في القاهرة . ومن الكتب الفريدة التي تحمل مدرسة بغداد وتبين معالمها ، مقامات الحريري ، وفي مكتبة قسم الدراسات الشرقية من اكاديمية العلوم بلننغراد نسخة منه ، وهناك نسخة اخرى قام الواسطي برسم ٩٨ منمنمة لها محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس .

لقد بقيت هذه المدرسة الخالدة باسلوبها مؤثرة بشكل حاد على الاعمال الفنية لمدة طويلة امتدت الى ما بعد الاحتلال المغولى لبغداد ويمكن للباحث فى هذا المجال ان يقول أن ابرز الاعمال المتأثرة بهذه المدرسة كتاب رسائل اخوان الصفا الذي كتب عام ١٢٨٧ والمحفوظ في مكتبة جامع السليمانية في استانبول ، وانه لامر يدعو الى الفخر بقدر ما يدعو الى الاهتزاز الروحي ان تظهر بكل روعة على هذا العمل الفني خصائص الاسلوب البغدادي بعد ثلاثين عاما من الاحتلال الاجنبي .

ان المؤرخين وطلبة التاريخ يمنحون هذه المنمنمات اهمية بالغة لما تكشف لهم من تثبيت لاسس وأساليب الحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية التي كانت قائمة آنذك ، كما تكشف لهم عن الدور الذي لعبه الفكر العربي في تلوين الحياة ، وما قامت به الفلسفة العربية وقيمها من دور في فهم الكون والمجتمع ، وما نهض به الانسان العربي من جهد لمد الانسانية في كل مكان بكل ما هو رائع وفاضل وجميل في تلك المرحلة الذهبية التي عاشها وادي الرافدين في عهد العباسيين .

بكل ذلك وغير ذلك نحتفل بالواسطي ، ونتنامى مع النسغ الصاعد الممتد عبر سبعة قرون ، واننا بذلك ندفع بالحركة الفنية الى الامام ، وان هذا الوعي الفني الذي نشهده يشير بما ينتظر العراق من مستقبل يؤهله لعكس ثقافاته على العالم اجمع . وليس ذلك بغريب على انسان العراق الذي حمل شعلة الحضارة ردحا طويلا من الزمن ، وان هذه الشعلة لن تنطفىء ما دام هذا الانسان يمد الشعلة بحماس القلب ، وجهد العصب ، ونبل الانسانية .

ولا يشكل امرا غريبا ان تنهض وزارة الاعلام فى العراق بمهرجان الواسطي ، فقد سعت سابقا وستسعى لتقييم الفن والفنانين ، وخلق الاجواء التي يجتمع فيها الاصدقاء والاشقاء للمناقشة وتبادل الرأي ، وسيكون لهذه اللقاءات بالتأكيد الاثر الكبير في نهضة الفكر والفن وتحقيق المثل الانسانية التي نصبو اليها ونفنى من اجلها .

وبعد ذلك كله ، فانه لضرب من الوفاء للفن والفنانين ان تقوم الوزارة باعادة حق طالما هدر ، وان يجد الفنان من الدولة رعاية وحدبا وتشجيعا .

الواسطي

رائد عظيم

فيصل لعيبي

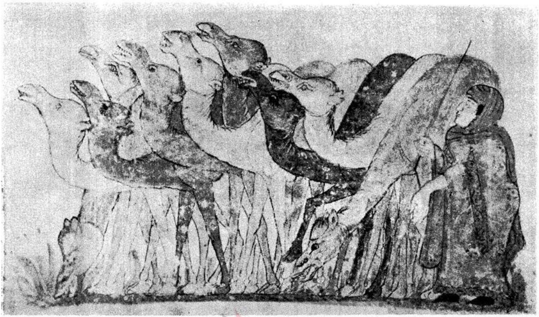
ان الحضارة الاسلامية من اكثر الحضارات السابقة التي اهتمت بالعالم الحياتي المعاشي وقد تكون ايضا اكثرها واقعية ولكن هذا لا يعني ان الحضارة الاسلامية كانت قد اهتمت بكل الامور في آن واحد فقد تأخر الفن في ايام نشر الدعوة الاسلامية الاولى وكان لهذا مبرره اذ ان الفن في تلك الفترة كان له وجهان فقط ليس غير ، اما ان يكون منحطا أو فنا وثنيا وهذان الشكلان من الفن مرفوضان اساسا في الفكر الاسلامي ولقد كان الفن العربي قبل الدعوة الاسلامية خاضعا لتأثير الفن الساساني والروماني المسيحي أي ان تقاليد هاتين الحضارتين قد تغلغلت في المجتمع العربي بشكل واضح جدا وكان الحرفيون والصناع من الجاليات الاجنبية وهم اكثر الحرفيين مهارة ودقة وابداعا وظلت هذه التأثيرات اذ ظل الواقع الفكري والحضاري يسير وفق مواصفات مجتمعات تلك الدولتين فاستمرت مسألة الارض والاقطاع واضحة حتى بعد سقوط الدولة الساسانية والرومانية. والملكية والعبودية والتجارة وامور غيرها بغير حلول جذريه وبما ان الفن هو مظهر من مظاهر الحياة وله علاقة جدا وثيقة بالواقع فان هذه التأثيرات تبرز معه ايضا وبشكل اوضح . اذ تكشف لنا النظرة التاريخية والجغرافية للفن علاقة الفن الاسلامي بالفنون التي اطاحت به ايضا ، ويظهر تأثير الفن الروماني المسيحي على الفن الاسلامي عند تحويل اول كنيسة الى جامع في دمشق وتأثير الفن الساساني عليه عند تحويل المعابد الى جوامع ايضا .

ولقد استغل المعماريون المسلمون ابراج الكنائس واستفادوا منها بشكل يدعو الى العجب اذ سرعان ما تحولت الى منائر لها نكهتها العربية الاسلامية بالذات .

اما الاقواس الساسانية فقد تحولت الى شبابيك واطواق وابواب للجوامع الاسلامية مع فارق بسيط جدا هو ان القوس الاسلامي يشكل زاوية منفرجة عند منتصفه بينما نرى القوس الساساني الذي هو امتداد للقوس الآشوري لا يحمل زاوية في منتصفه وشيئا فشيئا برزت شخصية اسلامية وبشكل واضح في العمارة وبدأت يد الفنان التشكيلي تظهر قدرتها على جدران العمارة وفي المصاحف والكتب والاخشاب المطعمة والمزخرفة وقد برز الخط العربي ، كعنصر واضح وبارز مهم في الفن الاسلامي كما هو الحال في الفنون القديمة التي استعملت الحرف والكتابة في أعمالها الفنية .

وكان الخط العربي هو التعويض الوحيد الذي يمكن ان يخلف الاشكال البشرية على الجدران وغيرها اذ ان خوف المسلم من الرجوع الى الوثنية قد جعله يكفر بهذه الاشياء وقد أدت هذه الحالة بالفنان المسلم الى أن يبتعد عن تصوير المخلوقات مستغلا قوته وابداعه في الخط العربي لكنه عاد بشكل أو بآخر الى رسم الاشكال الحيوانية والنباتية ثم البشرية بعد ان خفت حدة النزعة المتعصبة التى رافقت الدعوة يومذاك .

ولولا تعصب المسلمين الاوائل وتمسكهم بتلك الآراء لربما كان الفن الاسلامي قد خطى خطوات اكثر عمقا ووعيا مما وصل اليه .



ومن هنا تكمن اهمية الواسطي كمبدع وكفنان ثائر له قيمه ومفاهيمه التقدمية آنذاك • ان الواسطي لم ينقل لنا العالم الواقعي والحياة اليومية التي وصفها الحريري فحسب بل انه اعطى لنا نموذجا حيا يمكن ان يؤخذ به بالمستقبل كشكل له ملامحه الخاصة والفنية ايضا يحتل مكانه فى فنون تلك الفترة •

ورغم ان الواسطي قد أعطى فنه افقا ارحب من افاق الفنون التي عاصرته وهي الفنون « المسيحية والصينيــة والفارســـية » فانه لا يمكن انكار تأثير تلك الفنون على اعماله • ان الفن البيزنطي والساساني يبرزان بشكل ما في أعماله لكنها لا تعني اكثر من ملامح موزعة هنا وهناك وليس لها القدر الكافي لتغطية شخصية الواسطي وشخوص الواسطي إنفسهم رغم أن بعض وجوه صوره البشريةذات مسحة ساسانية وان الملابس والزخرفة تعود الى بعض التقاليـد الساســانية في الفن كذلـك بعض الوضـعيات والتقاليد السائدة آنذاك في رسم الكتب والمخطوطات

لقد عاش الواســطي في فترة النفس الاخير للدولة العباسية وكانت الحركات السياسـيـة آنذاك تأخذ عدة أشكال وتختفي في عدة وجوه ويمكن مشـابهة تلك الفترة بفترتنا هذه اذ كانت الدولة العربيـة موزعة ومقسـمة ومهددة وفاقدة قواها الحقيقية لقد عاش أبناء تلك الفترة في قلق فكري رهيب أدى الى الزندقة والالحاد والسقوط في الملذات الحسية والفوضى • لهذا فان بروز فنان من نوع الواسطي فيها يكاد يكون أشبه بالمعجزة اذ ان الواسطي يمثل الوجه المثقف والواعي لابنـاء تلك الفترة وكذلك يعطي لنا مدلولا حضاريا وتاريخيا ايضا

ان التزام الواسطي ادى الى خلق اتجاه نسف به كل الفكر التقليدي للفن الاسلامي وحطم المفاهيم الجامدة والمنحطة والخاطئة في ذلك الفن واسقط المفاهيم الرجعية منــه •

ان الواســطي لا يعنينــا فقط وانما يعني الحضارة الانسانية بكاملها ففي الوقت الذي كان الفنان الاوربي يحاول ان يخلق اتجاها واقعيا بالفن كان الواسطي قــد توصل الى هذه النتيجة لقد رسم الواسطي الحياة اليومية بكل تراكيبها لهذا فهو شاهد عصر أمين وحقيقي وصادق اضافة الى كونه فنــانا قدم الفن العالمي بصــورة عامة والاسلامي بصورة خاصة الى آفاق رحيبة يتحرك من خلالها الفنان دونما خوف لقد رسم البسطاء والاطفال والحيوانات والنباتات دون ان يركز على أي منها • لقد كانت مهمته صعبة جدا في تلك الفترة كان عليه ان يعيــد بناء الفن التشكيلي بشكل اكثر حيوية وأعمق أثرا واذا كنت أوافق الاستاذ شاكر حسن آل سعيد في رأيه حول علاقة الفن العراقي القديم بفن الواســـطي فاني لا أوافقه على أن الواسطي كان قد اســـقط عامـــل البروز في النحت التســـطيحي كبعد « عمق » مســـتبدلا اياه باللـــون والاضاءة(1) •

ذلك ان الواسطي كان يجهل اساســا هذا العلم

(1) الخصائص الفنية والاجتماعية لرسوم الواسطي ص ٦ تاليف شاكر حسن آل سعيد ، طبع وزارة الاعلام العراقية •

صحيح ان الاشياء امامه تبدو ذات حجم وتسبح في محيط له عمق لكنه لم يعرف كيف يفسر هذه الظاهرة تشكيليا على سطح الورقة بسبب جهله التام بعلم المنظور "prespective" اذ ان هذا العلم قد ظهر بمعناه العلمي في القرن الرابع عشر وقد اهتم به الاوربيون اكثر من اهتمام المسلمين لان المسلمين أساسا كانوا لا يرغبون برسم الاشكال الحية الا القليل منهم اضافة الى عدم وجود آثار فنية تتعلق بهذا العلم ولها علاقة به كما هو موجود في الفن الاوربي اذ ان فنون اليونان والرومان وخاصة النحوت منها كانت تعتمد على التجسيم والحجم والتشريح واضافة الى تقدم الفكر المعماري في عصر النهضة في أوربا فقد تقدم علم التشريح وقد أفاد فنانو عصر النهضة من هذين العلمين افادة جيدة ادت الى انتقال الفنون الى مرحلة جديدة في التاريخ . أما في الشرق فقد ظل الفن معتمدا على الطرق السابقة لا ايمانا من الفنانين بسخف فكرة المنظور والتشريح بل لانهم لم يتوصلوا الى نفس النتائج التي توصل اليها فنانو أوربا .

وهذا طبعا ناتج عن اختلاف الظروف في المنطقتين ففي الوقت الذي بدأ فنان عصر النهضة يناقش العالم مناقشة مادية وحسية اخذ فنان ومفكر الشرق يبتعد عن العالم الواقعي ويشغل باله بالغيبيات والشعوذة .

ان عدم اهتمام الفنان المسلم بالمنظور والتشريح لم يكن لسبب فني بحت بل ان هذا العذر ما هو الا خطأ شائع في تاريخ الفن الاسلامي وهو تبرير ضعيف يخفي به الناقد المسلم ضعف وتأخر الفنان المسلم لقد استفاد الفنان الاوربي من العلوم اكثر من الفنان المسلم لهذا فان المنظور والتشريح كانا ثورة عظيمة بالنسبة للتصوير في عصر النهضة اذ انتقل هذا الفن الى مرحلة جديدة غير معروفة سابقا اما الفنان المسلم فقد ظل يتابع بوسائله البدائية والتشريح وعلم الالوان وكيميائها حتى يومنا هذا . والفنانون العرب الذين يمكن ان يعرفوا شيئا عن هذه العلوم لا يتجاوزوا أصابع اليد ابتداءا من الواسطي عمله الفني حتى انهم لم يستطيعوا حتى اكتشاف الالوان الزيتية ولم يحاولوا صنعها ولا يزال الفنان المسلم بصورة عامة والعربي بصورة خاصة ضعيفا جدا في المنظور وانتهاء بالفنانين المعاصرين فانك تستطيع ان تكشف مقدرة الفنان الحالي بعلم التشريح والمنظور وكيمياء اللون عندما تراقبه وهو يرسم صورا من خياله بالاسلوب الواقعي (الاكاديمي) لهذا فان الخدعة التي رفعها نقاد الفن والفنانون العرب حول عدم اهمية المنظور والتشريح في العمل الفني وحول انهم أول من نسف هذا المفهوم الجامد في الفن اذ يقرنون أعمال ماتيس وبيكاسو باعمال الفن الاسلامي التسطيحية ما هي الا ملامح ضعف هذه الجماعات وجهلها .

ان الفن يحتاج الى كل شيء يمكن ان يقدمه ويطوره ويساعد على هضمه وفهمه ونشره كذلك .

ان الواسطي لو ادرك علم المنظور والتشريح لكان اول من استفاد منه وهناك عدة صور له فيها محاولة شبه أكيدة للتأكيد على التجسيم في الاشكال لكنه كما قلت لم يكن مستوعبا الابعاد الحقيقية لهذا العلم من جهة ولعدم اهتمام المعماريين العرب انفسهم بهذا العلم رغم تعلق عملهم به .

ان الواسطي لا يقل عن اى رائد عظيم من حيث الاهمية الحضارية في الفن انه بالتأكيد اب لكل المدارس التي ظهرت في الشرق ابتداء من بغداد الحريري وانتهاء الى أيران بهزاد ان كل المدارس التي ظهرت خلال هذه الفترة الطويلة تدين للواسطي بالاسس التى استندت اليها .

وفي اعتقادي ان الواسطي هو أول فنان واقعي تناول الحياة العامة دون الاهتمام بالميثولوجيا العربية وغيرها ولم يحاول رسم لوحات البطولة رغم وجود هذا النوع من الفن في الادب والحكايات الشعبية . ولم يفعل كما فعل فنانو المسيحية من تمجيد للقديسين والابطال بل انه رسم الديك والحصان والشجرة والانسان بنفس الاهمية وبنفس الدقة وقد وزع هذه الرموز على سطح ورقته بتكوينات بديعة ايضا تحمل مسحة الذوق البدوي العريق كذلك يمتاز هذا الفنان بالبساطة اذ انه يكاد يكون الوحيد أيضا في عدم زخرفة الخلفية التي تحيط اشكاله الا فيما ندر . لقد حاول ان يعطي تركيزا لاشكاله دون ان يربكها بالخلفية المعقدة فتركها بيضاء في اكثر الصور .

وهو ايضا ابدع من رسم موضوع الولادة من فناني العالم على الاطلاق خاصة اذا عرفنا انه رسمها في القرن الثالث عشر الميلادي اي قبل ستة قرون وضمن بيئة تمنع حتى رؤية وجه المرأة ان هذا الموضوع يعطي لنا مدلولا آخر عن ثورية الواسطي وتقدميته ولقد قسم اللوحة هذه تقسيما معماريا بديعا يوحي بالقوة والقدرة على التوزيع المتين للاشكال لقد صور الولادة كأنما يصور ولادته أو ولاد الفن العراقي الصميم بعد فترة مظلمة ادت الى انهيار حضارة وادى الرافدين الاصيلة .

وبهذا فالواسطي اول فنان مسلم يتناول موضوعا يدخل الجنس فيه وهو اول فنان مسلم يرسم الاعضاء التناسلية للمرأة وهو أول فنان يكشف لنا عن سيقان المرأة وجسدها بعد فناني وادي الرافدين ووادي النيل وبهذا يحقق انعطافا فذا لحركة الفن في فترته ويفتح الباب على مصراعيه امام الفن التشكيلي لولوج أبعد أغوار الحياة اليومية العامة والخاصة وتبرز عراقية الواسطي في الوجوه البدوية السمراء وخاصة تلك التي تكون بشكل جانبي اذ يتخلص من الشكل الساساني للوجه ويعطي وجهه الذى



يحب ويمكن اعتبار صورة الولادة وصورة الجمال من ابدع ما رسمه الواسطي وما رسم في تلك الفترة وما تلاها من رسوم اسلامية · باستثناء الفنان الفارسي بهزاد ·

لقد استطاع الواسطي أن ينقذ التراث الفني لهذا البلد من السقوط التام والانصهار داخل الحضارات السابقة واستطاع أيضا بعد جهد كبير أن يعطي اشارات جديدة وملامح حقيقية وأصيلة للحركة الفنية وليدلل بكل قوة والتزام على خصب فنان هذه المنطقة وحيويته وفضله في منح العالم من التراث الحضاري ما يشكل اضافة هامة وخطيرة بالنسبة للانسانية ·

أدب وليم ساروبا

ن . فيتوشكيد

وليم ساروبان(١) احد الكتاب الامريكان المعاصرين المشهورين . وقد كتب حوالي ١٥٠٠ قصة قصيرة وسبع روايات . وتعتبر (الكوميديا البشرية) من ابداع ما كتبه . وهي الى حد ما ، سيرة حياة الكاتب نفسه . ويمكن ان نفترض بان مدينة (ايتاكا) الصغيرة في ولاية كاليفورنيا ، التي تجري فيها الاحداث الرئيسية لهذه القصة تذكر بمدينة (فرنسو) الصغيرة في نسالولاية ، وهي المدينة التي ولد فيها ساروبان لعائلة فقيرة من المهاجرين الارمن . وعلى غرار بطل (الكوميديا البشرية) اصبح ساروبان بدون أب وترعرع في ظل الفاقة واضطر ان يكسب عيشه وهو صغير . وكما هو حال (أومير ماكولي) – بطل هذه القصة – كان الصغير وليم ساروبان موزع بريد يتنقل في المدينة حاملا للناس الانباء السارة والمحزنة . وليس هناك من شك في ان بعض فصول وفقرات الكوميديا البشرية المليئة بالحرارة والعطف على الابطال انما كرسها المؤلف لطفولته وفتوته .

عندما اصطدم اومير ماكولي بمصاعب الحياة – لاول مرة – وتعرف على مقدار ما يوجد من آلام ومصاعب حوله ، صدم الفتى بما يبعث الخيبة في نفسه . فقد قال : « لا ادري لماذا تبدل كل شيء الان ، كل شيء . ولكن مهما يكن من أمر فلا تسمح لاحد ان يسبب لك مثل هذا الالم » . ان كلمات بطل الكوميديا البشرية الشاب هذه تذكر بما كتبه ساروبان نفسه في مسيرته. فقد ادرك وهو شاب كم هو ضعيف موقف الانسان البسيط تجاه ضربات القدر وكم هو صعب تحقيق السعادة ، وما اسهل ما يفقدها الانسان .

كتب ساروبان في مسيرته « أريد أن يكون الانسان رائعا اريد ان تكون حياته مريحة ، مرحة جذابة ، متعقلة ، في كل لحظة ، في كل سنة – منذ ولادته حتى الموت . وأؤمن بان الامر سيكون كذلك » .

وعلى ما يقول ساروبان نفسه فانه اختار – منذ شبابه – مهنته ككاتب . وفي هذا الوقت المبكر من حياته آمن بان كل كتاب يمكن ان يحسن « ان لم يكن كل الحياة البشرية ، فعلى الاقل جانبا ضئيلا منها » .

ان اول قصة نشرت لساروبان كانت في عام ١٩٣٣ في الصحيفة الاسبوعية للارمن الامريكان « هايزبك » (وتعني الوطن) التي تصدر في بوسطن . وبعد سنة من هذا صدرت اول مجموعة قصصية له وكانت بعنوان « الشاب الشجاع على الحلقة الطائرة » التي جعلت اسم ساروبان معروفا للقارئ الامريكي .

ان اكثر مسرحيات ساروبان نجاحا هي مسرحية « اجمل سنوات حياتك » وقد كتبها سنة ١٩٣٩ ومثلت مرارا عديدة على مسارح الولايات المتحدة الاريكية وكندا وفرنسا وبلدان اخرى . ان احداث المسرحية تجري في سان فرانسيسكو ، في حانة من حانات الميناء ، حيث يلتقي اناس من مختلف القوميات والمهن والمصائر . ولكنهم جميعا – على ما يبدو – غير سعداء . فمن المسؤول عن هذا ؟ ويتساءل المؤلف لماذا لا يستطيع اطيب الناس واكثرهم رجولة بلوغ السعادة الكاملة ؟

وبمناسبة عرض المسرحية عرضا جديدا في نيويورك عام ١٩٥٣ كتبت الجريدة الامريكية التقدمية «بيبلز ورلد» بان «الشر في الحياة الذي حمل للناس الحروب والبؤس والجهل والحقد نبع ليس من قلوب الناس وانما من النظم الاجتماعية الشريرة » . ان هذه الفكرة بالضبط، من التناقضات الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي ، تكمن في اساس مسرحية « اجمل سنوات حياتك » . ومن الطبيعي ان ساروبان بعيد جدا عن النقد الواعي للرأسمالية ، ولكن اتهام المجتمع الامريكي موجود في السطور الاكثر حيوية والتي تشكل اساس المسرحية . وربما ، حتى بدون ارادة الكاتب ، فان المنطق الفني لروايته يشهد على ما هو ضد « نمط الحياة الامريكية ». وللاسف فان هذه هي المناسبة الوحيدة في مسرحيات ساروبان التي يجري فيها حل تناقض ذى اهمية اجتماعية كبيرة .

ان مسرحيات الكاتب الاخرى اضعف من الناحية الفكرية ، وذات تناقضات كثيرة ، ونعرف المشاهد

هذه الدراسة هي مقدمة الطبعة الروسية للكوميديا البشرية والتي صدرت عام ١٩٥٩ .

في الكوميديا البشرية

ترجمة : عبد الرزاق الصافي

احيانا من الواقع ، كما هي الحال في مسرحية : « جيم واندي السمين في مملكة الجوع » • وتظهر موهبة ساروريان الكتابية كاملة فقط في الحالات التي يتحدث فيها عن الناس البسطاء في امريكا • ويصف التناقضات الحقيقية الواقعية الحية • وفي هذا المجال تتميز بالطرافة اقاصيصه التي تعكس معرفته بحياة ونفسية الامريكان البسطاء ، وشعور الظرف والتفاؤل • فاللغة البسيطة وغنى الحوار وقوته التعبيرية هي ما يميز اقاصيص ساروريان عادة •

ان حب الشباب والاهتمام بهم والرغبة الحقيقية من جانب ساروريان لمساعدة الناس البسطاء في نضالهم من أجل السعادة تميز كل ابداع الكاتب • وان الصور الشعرية والسخرية اللاذعة هي ما تقرب ساروريان من او • هنري • وليس عبثا ان يعتبر ساروريان واحدا من المطلعين يعتمد على ابداع او هنرى وقد جمع عدة مجموعات من اقاصيصه •

ان قصة « الكوميديا البشرية » الصادرة عام ١٩٤٢ قد عززت شهرة وليم ساويان • وقد طبعت في العديد من الاقطار خارج الولايات المتحدة ، وذلك في اصعب سنوات الحرب العالمية الثانية عندما كانت الملايين تقاتل في الجبهة المعادية للفاشية ويستشهد الكثيرون • وقد دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب ايضا ضد المانيا • وارتدى مئات والوف الشبان الامريكان الملابس العسكرية وتركوا بيوتهم • وفي العديد من المدن الامريكية • كان الاباء والامهات والاخوات والزوجات والبنات يتسقطون بقلق اخبار الابناء والاخوة والازواج من وراء المحيط حيث تستعر نار الحرب • ورغم ان المدن والقرى الامريكية استمرت على حياتها السابقة ، ورغم عدم وجود شيء يقلق هدوءها • اذ لم تحلق في اجوائها قاذفات القنابل الفاشية ، ولم يطأ العدو ارضها ـ فان اصداء المعارك البعيدة وراء المحيط كانت تصل كل نواحي الولايات المتحدة الامريكة بل وحتى اقصاها بعدا • وفي خضم هذا الجو تثير قصة ساروريان اهتماما معينا • اذ يجري فيها عرض لحياة مدينة امريكيةصغيرة ايام الحرب وتطرح مسألة موقف الناس البسطاء من الحرب بوجه عام •

ولكن الكاتب اذ تصدى لهذه المسألة الهامة لم يستطع ان يجيب عليها بدقة ووضوح ، وبهذا يتجلى غموض وارتباك موقف ساروريان الفكري الفاشى ـ الى درجة كبيرة ـ من المثالية •

ان ما يجذب في ابداع ساروريان هو اهتمامه بالانسان وحبه له • فالكاتب يرى في ابطاله اولا وقبل كل شيء ، الطيبة • هو يوضح دائما ان كل انسان تقريبا ـ مع استثناءات نادرة ـ قد منحته الطبيعة ، اول ما منحته الطيبة ، بصرف النظر عن سائر صفات قلبه وعقله • واذا ما كان القدر رحيما تجاهه ولم تجلب له الحياة كثيرا من العذابات والشرور ولم تجعل قلبه قاسيا فانه سيحافظ على حب الخير للناس حتى آخر يوم من ايام حياته • ولعل لهذا السبب فان اجمل صفحات الكوميديا البشرية لساروريان مكرسة لشخصيات الاطفال المرسومة بنقاء ودفء نادرين • ويوجدفي ابطاله الكبار ايضا ما هو طفولي • ذلك انهم ذوو قلوب كبيرة ومحبون للخير ، اذ لا يقوم اي منهم بعمل شرير ضد الاخرين ولا يرتفع أي منهم على ظهور الاخرين ولا يقيم سعادته ورفاهه على بؤس الاخرين • وكلهم تقريبا طيبون ، ومستعدون للتضحية حتى لكأن مصائب الحياة وشرورها التي تبعث المرارة في القلب لم تصب احد منهم •

وهكذا يجب ان يكون الناس النموذجيون في نظر الكاتب • ويرى ساروريان ان هذه الطيبة المولودة مع الانسان يمكن ويجب ان تلعب دورا هاما في علاقات الناس الاجتماعية •

ان كل ابطال القصة : ام ماكولي ومعلمته في درس التاريخ القديم مس هيكس والصياد الجبلي كرسي الكبير وعامل التلغراف گروگان العجوز ورئيس شعبة التلغراف سبنجلر واومير ماكولي نفسه يتحدثون فيمناسبات مختلفة عن المساواة بين جميع الناس بصرف النظر عن الجنس والقومية والغني او الفقر • (كل الناس متساوون هكذا يؤكد سبنجلر • اما المعلمة مس هيكس فتعلن عن معتقداتها بالكلمات التالية : « لا فرق عندي ان يكون تلميذي غنيا او فقيرا ، كاثوليكيا او بروتستانتيا وهل ان بشرته بيضاء ام صفراء ، وهل هو ذكي أم غبي ، موهوب أم عقيم ، المهم ان يكون انسانيا ،

ان يكون له قلب ، ان يحب الحقيقة والشرف وان يحترم الذين هم ادنى منه والذين هم ارفع منه على حد سواء »٠ هكذا يحاول سارويان ان يرى الولايات المتحدة الاريكية٠ رغم ان هذا يتم بشكل جزئي ومن خلال هذه المدينة الصغيرة ـ ايتاكا ـ كنموذج للمجتمع الانساني المبني على احسن ما يرام ٠ ان الامريكي الحقيقي (من طراز ابراهام لنكولن) ، بنظر ساروبان ، لا يفرق بين الناس من حيث القومية ٠ يقول احد ابطاله : (نحن في امريكا ٠ والاجانب الوحيدون بيننا هم اولئك الذين ينسون انهم في امريكا » ان الغني والفقير لهم نفس فرص النجاح في الولايات المتحدة الامريكية ، هكذا يقول ساروبان ٠ وفي سباق جرى على ملعب المدرسة وصل الفقير اومير ماكولي وابن الثري هيوبرت آكلي ، وصلا الى نهاية الشوط في وقت واحد « ولم يستطع احد ان يقول اي منهما كسب السباق » ٠ لا بد ان ابن رجل الاعمال الثري هيوبرت آكلي قام بمساعدة اومير ماكولي ـ الابن الفقير ـ للوصول الى نهاية الشوط في وقت واحد ٠ ان هذا المقطع ، وكذلك العديد من المقاطع الاخرى في « الكوميديا البشرية » ذو معنى رمزي ٠ وهو يعطى صورة للقيم الاخلاقية الامريكية من وجهة نظر ساروبان ٠ والقصة مليئة بمثل هذه المقاطع واللوحات الرمزية التي يبرهن فيها ساروبان بكل صورة ، بان الجميع تقريبا قادرون على عمل الخير ٠ ويكفي ان يرغب الناس حتى يسود على الارض عهد العدالة والسعادة ٠

ولكن القارىء سيسأل بحق : لماذا يوجد في الولايات المتحدة الامريكية وفي امريكا كلها وسائر الاقطار الغربية هذا العدد من الفقراء والبائسين والمضطهدين ولماذا يتزايد في العالم الرأسمالي الظلم والعنف والقساوة؟ وبالتالي لماذا هذه الحرب العالمية التي تسبب هذه الضحايا البشرية حتى لمدينة صغيرة هادئة كمدينة ـايتاكا ـ الواقعة في هذه البقعة المباركة من كاليفورنيا ؟ ومن المسؤول عن كل هذا ؟

ولابد من القول ان صفحات كثيرة من الكوميديا البشرية قد كرست للاجابة عن هذه الاسئلة ٠ وكما في مسرحية (اجمل سنوات حياتك) يحاول ساروبان في هذه المسرحية ايضا ان يفهم لماذا يشقى الناس ؟ ولكن اذا ما كان ساروبان قد توصل في المسرحية التي كتبها في بداية سيره في طريق الابداع اول استنتاج صائب بانه المسؤول عن بؤس الناس هو العلاقات الاجتماعية غير العادلة ، فان في الكوميديا البشرية ركنا تبحث عبثا عن هذه الفكرة ٠ و منوجهة نظر ساروبان فان الانسان نفسه مسؤول عن تعاساته حتى ولو كانت من نوع الحرب العالمية ٠

ان ساروبان اذ يتحدث عن الحرب عموما لا يرى ان الاسباب الحقيقية تكمن في عيوب النظام الرأسمالي وفي سباق الاحتكارات من اجل الارباح وفي نظام اضطهاد واستغلال الشغيلة ومطامع الدوائر الاستعمارية في بعض الاقطار في السيطرة على العالم ٠ وهو يعتقد بان اسباب المظالم والحروب يجب البحث عنها في طبيعة الانسان الذي يحمل في ذاته جراثيم هذه « العيوب » ٠ فالعجوز گروگان الذي يجسد الحكمة المكتسبة من العيش يقول لاومير ماكولي الشاب بانه « كما يناضل ضمير الانسان الفرد ضد تناقضات طبيعته كذلك تناضل هذه التناقضات ضد المجتمع البشري كله ، في العالم كله ٠ ولذا توجد الحروب ٠ ان البشرية تحارب نواقصها » ٠ ويكتب الجندي الاريكي ماركوس ماكولي الى اخيه الاصغر في ايتاكا بانه يعتقد (ويبدو ان هذا هو رأي ساروبان ايضا) بان المسؤول عن اندلاع الحرب بداية شريرة ما اطمح لتحطيمها في ذاتي انا قبل كل شيء » ٠

وانطلاقا من هذه النظرة عن « النواقص البشرية » و « البدايات الوحشية » باعتبارها الاسباب الاولى للامراض الاجتماعية والحروب يوصي ساروبان ليس باعادة تنظيم المجتمع وتحطيم السبب الاولى لجميع المآسي وهو استغلال الانسان لاخيه الانسان ، وانما بضرورة ابدء بالتهذيب الذاتي للشخصية الانسانية فهو يقول : « اذا ما تغلب الانسان على نواقصه » ودمر في ذاته البدايات الوحشية ، فان البشرية ستتبدل ذاتيا وستزول من غير رجعية ولا اثر المظالم والاضطهادات والحروب ٠ « ان كل انسان يحمل العالم كله في ذاته ويمكن ان يعيد بناءه كما يريده » ٠

ووفقا لوجهة نظر ساروبان فان الطرق الاساسية للتهذيب الذاتي للانسان هي المسالمة والصبر والحب اللامتناهي للقريب ٠ فيقال للشاب اومير ماكولي مثلا : « ان الاشرار لا يدركون انهم اشرار وبالتالي فانهم ليسوا مذنبين ٠ وانما هم بحاجة الى العفو ويجب ان نحبهم ٠ ذلك ان اسوأ الناس فيه شيء منا ٠ كما ان فينا شيئا منهم ٠ اننا مرتبطون بالانسان الشرير ، كما هو مرتبط بنا ٠ ولا يمكن لاي انسان ان يوجد في عزلة عن الاخرين٠ ان صلاة الفلاح هي صلاتي ، كما ان جريمة القاتل هي جريمتي » لقد ذهب الجندي ماركوس ماكولي الى الجبهة وهو على اعتقاد بانه يقوم بهذا بحكم الضرورة ٠٠٠ « اقدم ايتاكا وبيتى وكل ال ماكولي ٠ ولكنه رغم ارتدائه البزة العسكرية وتزوده بالسلاح فان ماركوس ماكولي لم يجد امامه اعداء ٠ « انا لا انظر الى الناس كأعداء ٠ فالناس لا يمكن أن يكونوا اعدائي ٠ فمهما كان هؤلاء، وهما كان لون بشرتهم ، ومهما كانت معتقداتهم خاطئة ٠٠٠ فانهم اصدقائي ٠ وليسوا اعداء ٠ لاننا كلنا متشابهون ٠٠ ان عدائي ليس ضدهم ٠٠ »

ان ابطال ساروبان يمتلكون قدرة نادرة ليس على القاء مثل هذه المواعظ والتعاليم الاخلاقية فحسب ٠ بل وعلى السلوك طبقا لها ايضا ٠ فاقوالهم لاتختلف عن اعمالهم ٠ والحياة في ايتاكا تسير وفق قوانين المسألة

أدب وليم سارويان

في الكوميديا البشرية

والصبر وحب القريب . سبنجلر يعفو عن قاطع الطريق الذي اراد ان يسلبه ، بل لربما ان يقتله . وال ماكولي يقبلون عندهم شخصا قريبا يرونه لاول مرة ولكنهم يدعونه ليحل محل ابنهم واخيهم الذي قتل في الحرب .

ان كل هذا يجري في ايتاكا كما لو كان في ظل ضباب ضعيف وبين ديكورات مغطاة بقماش لماع . وتقوم هذه المدينة الصغيرة بالنسبة لسارويان بدور مسرح لتخيلاته وافكاره . انما عالم صغير ، طوباني حيث يجري عرض نماذج عن المسالمة البشرية والاخلاق النبيلة منتزعة من كتب التعليم .

ان المؤلف نفسه اوضح الطابع الرمزي للكوميديا البشرية التي وضعها ، وذلك بتسمية المدينة الصغيرة – ايتاكا – وباسماء ابطاله – هومير واوديسي . ويهمس هنا وهناك خط متحدث بشكل جزئي عن الشر والمساواة

البقال آرا يفور بغضب شديد ضد مظالم الحياة وسبنجلر يصرح بان : « المقابر والسجون مليئة بالشبان الامريكان الشرفاء » . الام المكسيكية تستلم برقية من وزارة الدفاع تحوي الكلمات المعتادة . « نبلغكم بحزن بان ابنكم ... » . ولكن هذا كله بين السطور وفي خضم الصفحات المليئة بالحديث عن هدوء مدينة ايتاكا التي لا يطمح سكانها الى اكثر من السعادة العائلية الاعتيادية والهدوء . فالى هذا يطمح جميع الناس . وهذا ما يريد ان يقنعنا به سارويان . ويبدو احيانا وكان المؤلف نفسه يسخر من تصوراته غير الواقعية عن الحرب والخير والشر . فها هو مثلا رجل الدين هولي يقرأ الانجيل في الكنيسة ، وصلواته ترتفع . وفي نفس الوقت نجد اوديسي يحدق في صلعة الرجل الجالس امامه ، ويلاحظ كيف تزحف على جلده الناعم ذبابة ما . ان مواقف من السخرية الساذجة يمكن ان نلحظ كثيرا . بل وحتى ليخيل الي في مقاطع جديدة جدا ، حول موضوع عدم مقاومة الشر المسيحي ، ولكن سرعان ما يعود المؤلف من جديد الى تعليم ابطاله في مدينته الرمزية حب القريب.

فنحن لا نشهد في ايتاكا لا اضرابات ولا نضالا طبقيا ولا دسائس قادة حزبيين ، ولا شرطة مشاة . وبكلمة اخرى لا تشهد كل يميز حياة اية مدينة امريكية وبهذا يكون سارويان قد عزل ابطاله عن الحياة الواقعية .. ان المؤلف يدرك ان شخصيات مثل اومير ماكولي وماركوس ماكولي تثير الشفقة . ذلك انه لا مكان في الحياة الواقعية لعالم الرأسمال القاسي الذي لا يرحم، لا مكن لابطال سارويان الذين يعرضهم في «الكوميديا البشرية » .

ان الكاتب يعرف بصورة رائعة الحقيقة المرة عن الواقع الامريكي . فقد تحدث فيما بعد في عدد من اقاصيصه من مظاهر الحياة هذه . (في اقصوصة « ثلاثة اربعة ، خمسة الارنب خرج الى النزهة » . تحدث سارويان مدافعا عن الزنوج وضد التمييز العنصري) .

كلا ، ان العالم الصغير في ايتاكا الذي اختلقه الكاتب بعيد بهروبه عن مثل هذا التزييف . ان سارويان لم يصور ما هو واقع وانما ما يرغب في ان يكون واقعا . فلو كان جميع الناس مثل اومير وماركوس اومير دماركوس واوديسي فان الحياة على الارض ستكون اجمل واكثر سعادة – هذا ما يقوله سارويان في الكوميديا البشرية

ولما بدا الامر متناقضا فان سارويان بهروبه من الواقع الى ايتاكا الموهومة يدحض فكرته عن التهذيب الذاتي للانسان باعتباره الطريق الوحيد نحو العدالة الاجتماعية وازالة الحروب اذ ليس في مقدور اي تهذيب ذاتي ان يساعد ابطال سارويان على انقاذ انفسهم في الصراع من اجل العيش في الحياة الواقعية القاسية في المجتمع الامريكي الحقيقي ان ايتاكا هي ماكنة الحضانة التي يحاول سارويان عن طريقها خلق ابطاله النموذجيين وبهذا بالضبط يؤكد هو بنفسه ان احسن الناس تهذيبا ليس في مقدورهم ان يعملوا شيئا لاقربائهم اذا ما واصلوا العيش في ظل الرأسمالية والبؤس والاضطهاد. ورغم تفكير الكاتب فان قصته تدلل على انه ما دام النظام الاجتماعي لم يتبدل وما دامت شروط الحياة الاجتماعية باقية فان اية مواعظ مسيحية واية نداءات للتهذيب الذاتي سوف لن يكون بمقدورها جلب المساواة والعدالة والسعادة الحقيقية لبسطاء الناس .

ومما له اهمية ان سارويان نفسه ادرك الى حد ما خلال السنوات الاخيرة عدم صواب فلسفته عن « التهذيب الذاتي للانسان ولكن نظرا لعدم ايمانه بامكانية التغيير للحياة فقد توقف الكاتب عن هذه الفكرة : اذا كان

الانسان نفسه مسؤلا عن بؤسه وانه لا يستطيع ان يسمو على طبيعته فهل هناك داع لان يقلق ، وان يطمح نحو شيء ما وان يتمنى ؟ اليس من الاسهل ان يتقبل الحياة على ما هي عليه وان يهادن الشر ويتجاهله ؟

بعد عشر سنوات من صدور قصته « الكوميديا البشرية » اي في عام ١٩٥٢ كتب ساروبان في كتابه عن سيرته المعنونة « راكب الدراجة في هضاب بيقولي » : يقول : « في كل ما حولي اجد قذارات • وقد اعاقتني طويلا عن العيش • ولكن حلت لحظة لم تعد تقلقني • وقد فهمت ان القذارة ستظل هناك حيث هي ، وانها كانت وستظل جزءا من حياتي • وقد هادنتها وتعلمت التفكير حتى حين اكون وسط اشد القذارات كثافة » • وليس غريبا ان يقود مثل هذا الموقف الكاتب الى نواقص فنية جديدة • فقد اشتهرت خلال السنوات الاخيرة في ابداع ساروبان مظاهر المهادنة هذه • ان تفاؤله العميق اصبح تقليديا وملازما لجميع اعمال الكاتب وتحول الى شيء ظاهري ، الى طموح ، الى تجميل للواقع باي ثمن • ففي روايته الجديدة « ماما ، احبك » يتولى الحديث شاب في التاسعة عشرة من عمره ليسرد تاريخا مؤثرا لعائلة انقذت من السقوط • فحتى النقاد البورجوازيون قالوا عن هذه الرواية بانها « نوع من القصص التعليمية لطلبة المدارس المتوسطة ؟ واعربوا عن رأيهم بان الرواية انما هي تشويه تقريبا »لمؤلفات ساروبان السابقة •

وستظل احسن مؤلفات ساروبان هي رواياته واقاصيصه ومسرحياته التي كتبها عندما كان كان يفكر بشكل اكثر اخلاصا وصدقا بمصير الناس البسطاء في اميركا • ان الكاتب تصرف في ابطاله وفكر طويلا في ان يجعلهم سعداء وانه يوجههم جهة ما • وكثيرا ما يخطىء الكاتب ويقع ـ احيانا ـ فريسة التصورات المتتالية الرجعية ولكنه احب دائما وباخلاص الشعب الامريكي والحياة بجميع مظاهرها • وبهذا تتميز « الكوميديا البشرية » ـ الكتاب الذي هو رغم كل نواقصه الفكرية فانه يقف على الضد مما ينشر في امريكا من ادب يشيع الحقد والكراهية •

ورغم ازمة الابداع التي وقع فيها الكاتب في السنوات الاخيرة ورغم كل اوهامه فانه لم ينضم الى معسكر الرجعيين انصار الحرب بل ظل في صفوف انصار السلم • وقد حدد وليم ساروبان في احدى مقالاته دور الكاتب في عصرنا على الشكل التالي : « لا قنابل مدمرة مجنونة •• يجب ان لا تستعمل القنابل ابدا من قبل اي احد ضد اي كان » • ان الكاتب الحق اذ يعرف هذا ويؤمن به مملوء عزما على ان يكتب بوضوح اكبر وبشكل هادف الى جانب السلم والحب •

١٩٧٢ سنة الكتاب الدولية

سبعة طوابق

دينو بوتساتي
ترجمة: طارق عبد الكريم

في صباح يوم مشمس نقل القطار السنيور جوزيه كورته الى المدينة حيث كانت تربض احسن مستشفى • كانت حرارة جسم السنيور كورتـــه مرتفعة قليلا ومع بساطتها فقد جاءت به الى هنا • ارتفاع حرارة الجسم دليل اول على مرضه • وبما ان المرض في بدايته فقد اقترحوا عليه بالتوجه الى هذا المستشفى بالذات باعتباره مشهور بمداواة هذا المرض الوحيد •

لاحظ المستشفى من مسافة وتعرف عليه بواسطة صور الدعاية التي سبق وان شاهدها • منظره الخارجي اعطاه انطباعا حسنا • البناية كـانت بيضاء اللـــون بطوابقها السبعة التي يخرج الواحد عن الاخر ليشرف على الاسفل من الاعلى • يحيط بالمستشفى جدار ضخم عال من الاشجر المتراصة •

بعد الكشف الطبي الاول وفي انتظار كشف اخـر اكثر جدية وضع جوزييه كورته في غرفة مشمسه كبيرة في الطابق السابع ــ الاخير • كان اثاث الغرفة فاتح اللون من الخشب الجيد • فالوسائل ذات الوان جميلة وبراقة ومن خلال الشباك الواسع يمكن مشاهدة اجمل منطقة من المدينة الكبيرة • كل شيء كان هادئا ومرضيا •

فتح جوزييه كورته الضوء الاحتياطي عند السرير واستلقى على فراشه الوثير وبيده كتاب كان قد جلبـــه معه • وبعد قليل دخلت الممرضة وسألته اذا كان بحاجة الى شيء • فجلس يسامر الفتاة ويسألها عن المستشفى • وهنا تعرف على خاصية غريبة لهذا المستشفى • المرضى موزعون حسب قوة مرضهم على الطوابق السبعة • الطابق السابع كان مخصصا للاشخاص الذين يحملون اخـــف انواع المرض • الطابق السادس للمرضى الذين يجب عليهم ان ينتبهوا لصحتهم • الخـــامس مخصص للمرضى الجديين •• وهكذا جميع الطـوابق نزولا من الاعلى الى الاسفل حسب تردي المرضى • في الطابق الثاني وضـــع الاشخاص الذين يوجد امل ضعيف جدا في شفائهم • أما الطابق الاول فهو مخصص لاولئك الذين لا شفاء لهم ولا أمل •

هذا المخطط سهل العمل وحافظ على هدوء المرضى اضافة الى التدرج في معالجة حالات المرضى حسب الخطة • وفي النتيجة ظهر ان جميع المرضى مقســـمون الى سبعة امراض متطورة • كل طابق كان مستقلا عن غيره كعالم مغلق على نفسه بجوه الخاص وتعليماته وعاداته • وبما ان كل قسم يشرف عليه طبيب مسؤول ، لذلك اختلفت اساليب المعالجة بغض النظر عن الطبيب الرئيس الذي كان يعمل دائما على توحيد خطة المستشفى في العمل •

عند خروج الممرضة تصور جوزييه كورته ان حرارته قد هبطت نوعا ما • نهض من الفراش وتوجه الى الشباك • لم تجلب انتباهه صورة المدينة ولو كانت جديدة بالنسبة له ولكنه اراد ان ينظر الى مرضى الطوابق الســـفلى • فتصميم البناية كان يسمح بالنظر الى شبابيك الطوابق السفلى • واول ما شاهده بانباه هو الطـــابق الاول • شبابيكه كانت بعيدة جدا وغير منظورة من الجانب تقريبا • لذلك لم ير شيئا يجلب الانتباه حيث كـــانت اكثر الشبابيك هناك مغلقة بشكل محكم بواسـطة ســـتائر حديدية •

لاحظ جوزيبه ان شخصا يقف في الشباك المجاور وينظر ايضا للاسفل استرق جوزيبه النظر فوجده ينظر اليه ايضا وتلاقت نظراتهما • ولم يعرفا كيف يبدأ الكلام واخيرا تسلح جوزيبه بالرجولة وسأل :

ـ انت ايضا هنا منذ زمن ليس بالبعيد ؟

ـ لا •• انني هنا منذ شهرين ـ اجابه الشخص وسكت • ثم لم يجد سببا لاستمرار الحديث اضاف :

ـ انا انظر الى اخي ••

ـ الى اخيك ؟

ـ نعم •• اجابه الشخص ـ نحن جئنا سوية الى هنا • من الغريب ان نكون مصابين بنفس المرض ولكن حالته اخذت تتردى اكثر فاكثر • هل تتصور انه الآن في الرابع ••!

ـ ما هذا الرابع ؟•• لم يفهم كورته •

ـ في الطابق الرابع • ـ نطق الشخص بخوف وحزن حتى ان جوزيبه تأثر بذلك وارتجف •

ـ ولكن •• هل هناك مرضى بشكل شديد ؟

ـ يا الهي •• بهدوء مع حركه رأسه أجابه الشخص • ـ ولكنهم ليسوا مقطوعي الامل ولا يمكن التنبؤ لهم بالفأل الحسن •

ـ اذا كان في الطابق الرابع مرضى من هذا النوع فمن اذن يسكن الطابق الاول ؟ ـ بروح مرحه سأله جوزيبه •
ـ الاول ••! هذا للموتى •• والاطباء هنـاك لا يعملون شيئا • القس فقط هو الذي يعمل •• مفهوم ••؟

ـ ولكن اعتقد ان هناك اناسا قليلين ؟ تكلم جوزيبه بسرعة وكان يتلهف لسماع جواب : هناك •• في الحقيقة لا يوجد احد •

ـ عدد قليل جدا ـ اجابه الشخص الغريب ـ في بالمناسبة الا تلاحظ أن الستائر مرفوعة في جميع الصباح كانوا اكثر اما الان فقليلون • هناك حيث الستائر الحديدية مغلقة تعني ان ساكنها قد مات من فترة قصيرة • الطوابق ما عدا الاول •• ارجو المعذرة •• اعتقد انه اخذت تبرد قليلا • ساذهب لاستريح •• حظا سعيدا ••

ابتعد الشخص الغريب عن الشباك ثم اغلقه بشدة وانار الغرفة • وقف جوزيبه كورته جامدا لا يتحرك ينظر الى الستائر الحديدية المنزلة في الطابق الاول • كان ينظر بأسى عميق محاولا تصور الاسرار الحزينة للطابق المرعب • ذلك الطابق الذي ينتظر الانسان فيه الموت بدون حول ولا قوة • وهنا شعر جوزيبه بانزياح ثقل كبير عن كاهله عندما فكر بانه يسكن في الطابق السابع وعلى هذا البعد الكبير عن الطابق الاول •

بدأ الظل يزحف باصرار على المدينة • وبدأت شبابيك المستشفى تنار الواحد تلو الآخر • بدا الفندق من بعيد وكأنه فندق يحتفل بيوم افتتاحه ولكن فقط في الطابق الاول كانت عشرات الشبابيك مغلقة ومظلمة لا حياة فيها •

وضع جوزيبه كورته مسبقا امام عينيه اردأ النتائج الطبية • فلو نقل الى طابق اسفل لما استغرب من ذلك • ولكن نتيجة الفحص الطبي العام جاءت مطمئنة جدا بغض النظر عن حرارته المستمرة على مستوى واحد من الارتفاع • وتكلم معه الطبيب بحرارة وتشجيع :

ـ المرض ظاهر على وجهك ولكنه في أبسط حالاته • من المحتمل خلال اسبوع او اسبوعين يمكنـك مغادرة المستشفى •

ـ هذا معناه انني سابقى في الطابق السابع ؟ ساله كورته •

ـ طبعا واين تريد ان تكون ؟ ـ وهـو يربت على كتفه • طبعا ليس في الطابق الرابع ! •• اضاف الطبيب ضاحكا وكان الحديث يدور حول شيء تافه جدا

مرت عشرة أيام عندما جاء الى جوزيبه كورته طبيب خفر الطابق السابع • أراد أن يسأله عن عمل انساني • في الغد ستأتي احدى السنيورات الى المستشفى مع طفلين مريضين وهي بحاجة الى غرفة اضافية واسعة • هل بامكان السنيور كورته الانتقال الى غرفة اخرى مريحة كهذه التي يسكنها • بالنسبة لجوزيبه لم يكن هذا بالامر الصعب • ومن يعرف قد تكون هناك في خدمة الغرفة الجديدة ممرضة أكثر جمالا •

ـ انا شاكر لك جدا ـ قال له الطبيب : بالحقيقة لم انتظر الرفض من انسان طيب مثلك • اذا أمكن فحلال ساعة سنعمل على نقلك •

وبالمناسبة للانتقال من هنا عليك ان تنزل الى طابق أسفل :ـ

أضاف الطبيب بهدوء :ـ للاسف الشديد لا توجد الان غرف في الطابق السابع وانتقالك سيكون مؤقت ـ اعقب الطبيب بسرعة عندما رأى أن كورته نهض من سريره واستعد للمعارضة • ـ يجب أن اعترف ـ قال جوزيبه وهو يبتسم لكي لا يبدو طفلا •

هذا الانتقال لا يوافقني ابدا

ـ اعلم ان هـذا الانتقال لا يقوم على اى اساس طبي •• انا أفهم جيدا ما ترمي اليه • ولكن الحديث هنا يدور حول عمل انساني لاحدى السنيورات التى لم تشأ أن تترك طفليها • ماذا دهاك لتفكر على هذه الصورة •

اضاف الطبيب بصوت عال وهو يضحك • ـ لايجب أن تفكر بان هناك اسبابا اخرى •• لا يجب •

ـ محتمل ـ اجابه كورته ـ ولكن هذا فأل سيء •

انتقل جوزيبه كورته الى الطابق السادس معتقدا بشكل جازم بان هذا التحول لا يمت بأية صلة لمرضه وهووقتي • ومع ذلك فقد كان مقبوض النفس لبعده عن لعالم الخارجي ـ عالم الاصحاء • الطابق السادس يشـكل مستشفى

سبعة طوابق

دينو بوتساتي   ترجمة: طارق عبد الكريم

بكامله • يختلف عن السابع وحتى علاقة المرضات والاطباء بالمرضى تختلف كليا • في السادس ينظر للمرضى بشكل أكثر جدية • فهم جوزيبه كورته من حديثه مع المرضى والممرضة بان الطابق السابع لا يحسب له اي حساب من المرض وساكنوه ليسوا من المرضى وانما يدعون ذلك ولا يحتاجون الى تطبيب • من الطابق السادس يبدأ المرض بشكله الجدي • من كل ذلك فهم جوزيبه ان رجوعه الى الطابق السابع سيكون صعبا فيجب عليه ان يحث نظاما معقدا باكمله على التحرك والعمل • ولاجل الرجوع الى الطابق الذي يعيشه اناس « أصحاء » تقريبا يجب على كورته أن يعمل بنفسه على ذلك • فلن يقوم بهذا العمل غيره عنه • وانه لن يتخلى عن حقوقه المشروعة ولن يخضع للنظام الجديد • وفي حديثه مع المرضى كان جوزيبه يؤكد بانه سيبقى لفترة قصير هنا لانه نزل الى السادس مساعدة منه لاحدى السنيورات وسيرجع بمجرد ان تفرغ غرفة • كان المرضى يستمعون اليه بشيء من الاستخفاف فانهم لم يصدقوا كلامه •

اتفق رأى كورته حول مرضه مع رأي الطبيب الجديد • اعترف هذا الطبيب بانه كان من الممكن ابقاؤه في الطابق السابع لان شكل مرضه كان « بدائيا جدا » لفظ الطبيب هاتين الكلمتين على شكل مقاطع للدلالة على اهميتهما • ولكن في الحقيقة هو يعتقد بان جوزيبه سيتطبب احسن في الطابق السادس •

ـ لا توجد حاجة للف والدوران ـ قاطعه جوزيبه باصرار •

سبق وان قلت ان محلي في الطابق السابع وانا الان اطلب الرجوع الى هناك •

ـ لا يمكن لاحد ان يتناقش معك • لدي نصيحة ليس كطبيب وانما « كصديق حقيقي » • المرض عندك في أوله واسهل انواعه • اكرر عليك ذلك • وليس بالكثير اذا قلت انك تقريبا لست مريضا • ولكن شكل مرضك يختلف بغرابته عن المرض المألوف •

بعد مدة اخبروه بانه بعد مناقشة طويلة بين المدير العام والاطباء قرروا تغيير نظام السكن في الطوابق •وطأة المرض تختلف من شخص الى آخر • ولذلك قسموا كل طابق الى مرضى من النوع الشديد والبسيط • فالمرضى الشديدو الوطأة من كل طابق ينزلون الى طابق اسفل• نصف مرضى الطابق السادس ينزلون الى الخامس • ونصف الخامس ينزلون الى الرابع وهكذا •• ينزلون الى طابق أسفل اولئك المرضى الذين تطور لديهم المرض •

هذا التوزيع الجديد جعل جوزيبه كورته فرحا ومستبشرا اذ يمكنه الان العودة الى الطابق السابع بسهولة • وعندما تكلم عن ذلك مع الممرضة اصطدم بواقع مر • فقد ظهر انهم سينقلونه ليس للسابع وانما للخامس • لم تتمكن الممرضة من ايضاح الاسباب • فقط تعرف انهم اعتبروه من ذلك النصف الذي يجب أن ينزل الى أسفل ••

بعد زوال الدهشة أخذت العصبية تسيطر على كيانه • اخذ يصرخ ويصيح بانه مخدوع ولا يريد ان يسمع عن التنقلات المزعومة •

سيذهب الى بيته وهذا من حقه الطبيعي وليس لادارة المستشفى الحق في التلاعب بالفحوص الطبية •وعلا صياحه فدخل الطبيب ونصحه بان يهدأ لكي لا ترتفع حرارته من جديد • شرح له الطبيب بان هناك خطأ جزئيا في التوزيع • ومن جديد اكد على ان المحل الحقيقي لجوزيبه هو الطابق السابع نظرا لبدايته من هناك •ولكنه أضاف ، بصفته طبيبا لديه وجهة نظر حول مرضه ولو كانت شخصية • اذا اردنا التحكم فمن الممكن اعتباره هذا المرض من الدرجة السادسة حسب اتساع الاعراض المرضية وانه لم يفهم لماذا وضعوا جوزيبه كورته مع المرضى شديدي الوطأة • من المحتمل ان تكون السكرتيرة قد أخطأت بكتابة أمر النقل • ان ادارة المستشفى تعتبر الطبيب الذي خصص مرض جوزيبه غير جاد ولا تنظر الادارة لتخصيصه الامراض عادة نظرة جدية • من ذلك نتج أن الادارة أنزلت التخصيص الى درجة أردأ • نصح الطبيب جوزيبه بان لا ينفعل وان لا يعترض على القرار• فالمهم للانسان ان يفكر بالشفاء وليس للمكان الذي يسكن فيه أية علاقة بذلك • اما فيما يخص التداوي فعلى جوزيبه أن لا يأسف لذلك • فعند الطبيب في الطابق الاسفل اكثر • والادارة تعرف جيدا ان الطابق كلما أصبح أسفلا فان طبيبه احسن من الاعلى • بالاضافة الى ان غرف الطابق الخامس مثل السادس مريحة ومؤثثة وجميلة والمنظر من الشباك مثل هذا المنظر • حيث انه من الطابق الثالث فقط يبدأ منظر المدينة بالاختفاء خلف الحائط المكون من الاشجار المتراصة • اما الجو فلا يختلف عن الطوابق العليا •

وعند المساء كالعادة ارتفعت حرارة جوزيبه وشعر أن جسمه يرتخي وقوته تتركه شيئا فشيئا وقد تلاشت الرغبة في المقاومة والوقوف ضد القرار الجائر القاضي بنقله الى طابق أسفل وبالتالي لم يعترض وسمح لنفسه بأن ينقل الى تحت •

وفي الطابق الخامس اعتبر جوزيبه كورته المريض الوحيد الذي يتمتع بصحة ونشاط اكثر من غيره من

المرضى حسب ما جاء في رأي الاطباء والممرضات وحتى المرضى أنفسهم • وفي الحقيقة كان يعتبر محظوظا في هذا الوضع الجديد اذا قورن مع المرضى الاخرين • هذا من ناحية أما من الناحية الاخرى فكانت تسيطر عليه فكرة سوداء تنخر عقله الا وهي انه اصبح يبعد عن العالم الخارجي السليم بحاجزين لهما حسابهما لطويل ••

وجاء الربيع وأصبح الجو أكثر دفئا • ولكن جوزيبه لم يرغب كالسابق الوقوف الى الشباك والنظر الى الخارج فقد كان يخاف من ذلك • وقد يكون هذا الخوف نوعا من الغباء ومع ذلك كان يحس بحزن عميق عندنظره الى الطابق الاول الذي اغلقت اكثر شبابيكه بستائر حديدية والاكثر من ذلك ان هذه الشبابيك اصبحتأكثر قربا اليه •

في هذا الطابق لم تترد حالته المرضية ولكن بعدمرور يومين منذ نزوله الى هنا ظهرت فجأة (اكزمة) علىساقه اليمنى وبمرور الزمن اخذت تتوسع ••

هذا المرض ، ـ قال له الطبيب • ليس له اية علاقة مع مرضك الاصلي وهو قد يظهر عند اي انسان سليم البنية ولاجل القضاء عليه يجب مداواته بواسطة الاشعة الكهربائية •

ـ وهل من الممكن الحصول هنا على هذا العلاج سألهجوزيبه ـطبعا ـ اجابه الطبيب بفخر ـ هذا المستشفى يحوي كل الوسائل العلاجية ولكن هناك حائلا ••

ـ ما هو •• ؟ بتلهف حزين سأله كورته

ـ الحائل هذا ـ بالحقيقة لا يمكن تسميته حائلا •• أريد القول إن الالة التى تعطي الاشعاعات الكهربائيةتقع في الطابق الرابع • وانا أنصحك بالذهاب الى هناك ثلاث مرات في اليوم الواحد •

ـ ولكن ما العمل اذن ؟

ـ لمداواة (الاكزمة) يجب عليك أن تسكن الطابق الرابع مؤقتا ••

ـ كفى •• ـ اعترض جوزيبه ـ لقد نزلت الىاسفل ما فيه كفايتي • أموت ولن أنزل الى الطابق الرابع •

ـ كما تحب • لم يرغب الطبيب ان يجعل المريض أكثر عصبية • ـ

ولكن باعتباري طبيبك المختص لن اسمح لكبالمشي على السلم نازلا وصاعدا ثلاث مرات في اليوم •

المحزن في وضع جوزيبه الجديد هو ان الاكزمة لم تشف بعد رفضه الذهاب للمداواة وانما انتشرت بصورة أوسع • ولم يستقر لجوزيبه مكان من شدة الالم الذيكان ينهش جسمه • مرت ثلاثة أيام عانى منها الكثير وبعدها ذهب بنفسه الى الطبيب ورجاه ان ينقله الى الطابق الاسفل للتداوي ••

وفي الطابق الرابع أحس جوزيبه بشعور خفي من الفرح حيث كان يعتبر استثناء اذا ما قورن بمرضى هذا الطابق فقد كانت حالتهم الصحية رديئة جدا • كان من الصعب عليهم حتى النهوض من فراشهم •

أما كورته فكانت لديه القوة التي تسمح له ان يذهب بنفسه الى غرفة الاشعة ترافقه كلمات الاعجاب من قبل الممرضات •

شرح جوزيبه حالته الخاصة للطبيب الجديد • ان وجوده في الطابق الرابع يعتبر شاذا وسيرجع الى السابع بمجرد اختفاء الاكزمة ولن يسمح لاي تغييرات قد تطرأ على توزيع المرضى فمن حقه القانوني ان يكون في اعلى طابق من هذه البناية •

ـ الى السابع •• الى السابع •• ـ صاح الطبيب وهو يبتسم منتهيا من كشفه الطبي على كورته ـ انتم المرضى عادة تهولون الاشياء •

أنا أول شخص مستعد لاعترف بانك يجب ان تكون فرحا بحالتك المرضية ، اذا حكمنا ، طبعا على المرض من تاريخ تطوره • فاننا لم نجد لديك أية مضاعفات جدية • ولكن هذا لا يعني •• انا ارجو المعذرة من صراحتي •• ولكن هل يمكننا ان نتكلم عن الطابق السابع ؟ •• أقل ما يدعو للخطر هي حالتك •• انا موافق على ذلك ••ولكن مع كل هذا فانت مريض •

ـ برأيك ، في أي طابق يجب ان اكون ؟ انفجر كورته وهو يسأل الطبيب •

ـ أوه •• يا الهي •• ليس من السهل تحديد ذلك •• انا كشفت عليك بشكل سطحي ولاجل ان اتوصل الى نتيجة اخيرة يجب عليفحصك على الاقل خلال اسبوع كامل •

ـ حسنا • ـ اصر كورته على كلامه • ـ ومع ذلك يمكنك ان تقول بالتقريب •

لتهدئة المريض اخذ الطبيب يمثل دور المفكر وبحركة من رأسه قال بهدوء :

ـ لتهدئتك •• كنت قد وضعتك في الطابقالسادس •• نعم نعم ـ اضاف الطبيب وكأنه يؤكد رأيه لنفسه ـ الطابق السادس يكون احسن من غيره •

فكر الطبيب انه بقوله هذا سيفرح المريض ولكن جوزيبه كورته وقع في دوامة • لقد فهم الان بان اطباء الطوابق العليا كذبوا عليه • وظهر له ان تجربة الطبيب الجديد اكبر • وانه أكثر شرفا وصدقا • فانه لم يقل بوجوب وجوده في الطابق السابع • وهذا الشيء الجديد الذي طرأ على مسامع كورته جعل حرارته في المساء ترتفع بشكل ملحوظ • اعتبر كورته وجوده في الطابق الرابع من أحسن الفترات التي قضاها في المستشفى • فقد كان طبيبه طبيب القلب • يجلسون ساعات طويلة يتحدثون عن شتى المواضيع • اول ما تحدث كورته عن مهنته ـ المحاماة ومن ثم عن حياته الراقية •• ومرارا كان يحاول ان يقنع نفسه بانه من الناس الاصحاء ومرتبط بالعالم

الخارجي وحياته الاجتماعية • ولكن في النهاية كان الحديث يدور حول مرضه •

كم كان كورته يتوق الى الشفاء ولو جزئيا • فقد كانت هذه الفكرة تسيطر سيطرة تامة بالاضافة الى ان الاشعة الكهربائية لم تتمكن من شفاء الاكزمة وانما فقط اوقفت انتشارها •

وفي أحد الايام سأل كورته طبيبه :

– قل لي رجاء •• كيف تسير عملية التهديم في خلايا جسمي ؟

– اوه •• ما هذه الكلمات التي لا تناسب – جاوبه الطبيب مبتسما – من الذى علمك ذلك ؟ •• ممنوع •• ممنوع الافصاح عن ذلك وخاصة لانسان مريض • لا اريد ان اسمع منك بعد الآن اي شيء عن ذلك و •••

– موافق •• – قاطعه كورته – ولكنك لم تجب على سؤالي ••

– أنا مستعد للجواب – تكلم الطبيب بهدوء – عملية تهديم الخلايا •• اذا كررت انا ما قلته انت من كلمات حزينة • التهديم في اول اعراضه • في أول الطريق •• ولكن اجازف اذا قلت انه يتطور باصرار •

– اصرار •• ؟ هل افهم من ذلك انه مزمن ؟

– لا تجبرني على قول اشياء لم اقلها انا • أريد أن أقول انه يتطور « باصرار » • وبالمناسبة هذا يحدث في أكثر الحالات • واحيانا يجب مداواة المرض البسيط بشكل جدي ولمدة طويلة ••

– ولكن قل لي دكتور ومتى تتحسن صحتي ؟

– متى ••؟ من الصعب جدا التكهن في مثل هذه الحالات •• أنا ارى انك لا تتمكن من انتظار الشفاء • واذا لم أكن خائفا من ازعاجك لاقترحت عليك شيئا •

– قل ما هو ••

– حسنا ، سأشرح لك كل شيء بشكل مبسط • لو كنت أنا اعاني من هذا المرض وجئت الى هذه المستشفى التي تعتبر احسن المستشفيات في مداواة هذا المرض •• لو كنت اعاني ذلك لطلبت من البداية •• تفهم ، من البداية ان يضعوني في طابق اسفل •• مثلا الطابق ••

– الاول •• ! انتزع كورته ابتسامة وكمل حديث الطبيب •

– لا •• الاول لا •• – اجابه الطبيب بروح من النكتة – لماذا ! ولكن في الثالث أو الثاني بكل تأكيد •• في الطوابق السفلى المعالجة أجود ، صدقني والآلات الموجودة أضخم وأدق ومن ثم الاطباء أكثر تجربة • وبالمناسبة هل تعرف من يعتبر الروح لهذا المستشفى ؟

– البروفسور داتي كما اعتقد ؟ جاوبه كورته

– نعم البروفسور داتي • هو الذي فكر بطريقة العلاج هنا • وهو الذي وضع تصميم هذه البناية • استاذنا الكبير هذا مكانه بين الطابق الاول والثاني ومن هناك تأتي جميع التعليمات وصدقني اذا قلت ان تعليماته لا تصل الى أعلى من الثالث • تعليماته أعلى من الثالث تفقد أهميتها او تشوه • روح المستشفى وقلبها يقع في الاسفل • وهناك يجب المعالجة اذا أردت أن تعالج بشكل جيد جدا •

– افهم من ذلك •• – قال كورته بصوت مرتجف – انك تنصحني بان •• – يجب أن أضيف – استمر الطبيب بهدوء – في حالتك هذه يجب أن نحذر من انفجار في الخلايا • واي انفجار بسيط قد يؤثر بشكل تافه جدا أو يمزق رجولتك واعتدادك • وانت تعلم جيدا ان الشفاء يواكب النفوس المطمئنة الهادئة • الاشعة الكهربائية التي عينتها لك اعطت مفعولها بشكل جزئي • لماذا ؟ يحتمل أن تكون الاشعاعات غير كافية • اما هناك في الطابق الثالث فان آلات الاشعة الكهربائية أكثر ضخامة • وهناك أمل كبير في شفاء (الاكزمة) وبمجرد احساسك بالتحسن يمكنك أن تعتبر الخطر قد أصبح في الوراء وتبدأ الصعود الى الاعلى ولا يمكن عندئذ لاي مخلوق أن ينزلك • يمكنك الصعود الينا أو الى أعلى وهذا طبعا مرهون لنوع النجاح الذي ستحققه •• الى الخامس •• السادس •• وجرأتي تسمح لي أن أقول •• الطابق السابع •

– وهل تعتقد بان هذا سيسرع في شفائي ؟

– لا مجال للتردد هنا • لقد سبق وان قلت لك ما سأفعله ان كنت في محلك •

مثل هذه الاحاديث كانت تدور بين الطبيب وكورته كل يوم • وفي النهاية جاءت اللحظة التي لم يتمكن فيها المريض تحمل ألم (الاكزمة) المبرح قرر أن يأخذ بنصيحة الطبيب وينتقل الى طابق اسفل •

بعد نزوله مباشرة الى الطابق الثالث لاحظ حركة مرحة تسود الطابق مع العلم انه يوجد في هذا الطابق مرضى من النوع الشديد • هذا المرح أخذ يزداد يوما بعد آخر • استغرب كورته لهذا المرح ولذلك سأل احدى الممرضات عن هذا الفرح والارتياح فأجابته :

– كيف ؟ الم تعرف بعد ؟ •• سألته مندهشة – خلال ثلاثة ايام تحل عطلتنا •

– وكيف ذلك – عطلة ؟

– سيغلق الطابق الثالث لمدة اسبوعين • لقد جاء وقت عطلتنا •

– والمرضى ، ماذا ستفعلون بهم ؟

– بالنظر لقلتهم فسيدمج طابقان بواحد •

– هذا يعني •• الطابق الثالث مع الرابع ؟

ـ لا ٠ لا ٠٠ ـ عقبت على سؤاله ـ الطابق الثالث مع الثاني ٠ الذين يسكنون هذا الطابق يجب عليهم النزول الى الثاني ٠

ـ ينزلون الى الثاني ؟ اصبح لون جوزيبه شاحبا كلون الموتى وهو يعيد السؤال ٠٠ وأنا ايضا يجب أن أنزل الى الثاني ؟

ـ طبعا ٠٠ وماذا في ذلك ٠ عندما نرجع من العطلة ستعودون من جديد الى الطابق الثالث ٠

سيطر على جوزيبه كورته خوف شديد ٠ لقد فهم جيدا بانه لا يمكن ايقاف اجازة كان أصحابها ينتظرونها منذ مدة طويلة ٠ حقا ان ثقته بنفسه قد عادت نوعا ما بعد اختفاء الاكزمة تقريبا بعامل الاشعة الكهربائية لذلك لم يعارض القرار الجديد حول النقل ٠ ولكنه مع ذلك وبين استهزاء الممرضات طلب ان توضع على بابه لافتة صغيرة يكتب عليها « جوزيبه كورته من الطابق الثالث ، مؤقت » ان مثل هذه الاشياء لم تحدث في كل تاريخ المستشفى ولكن الاطباء وافقوا على الطلب دفعا للمضاعفات التي ستحدث لجوزيبه اذا ما ثار أو انفعل ٠

لقد دار الحديث في الحقيقة عن اسبوعين فقط لاكثر ولا أقل ٠

بدأ كورته يحسب الايام وهو مستلق على فراشه لا يقوم بأي عمل ٠ وبالمناسبة ان السرير في هذا الطابق كان أردأ من أسرة الطوابق العليا من حيث التصميم والراحة ٠ كانت غرفته كئيبة ٠

من وقت لاخر كان كورته ينصت جيدا ٠ فقد كان يتصور وكأن أصواتا تأتيه من الطابق الاول ٠ من طابق « المكتوب عليم بالموت » ٠ كأنه يسمع زفرات الموت آتية من تحته ٠

هذه الاصوات او التصورات اخذت تهز رجولته ٠ وأخذ من وقت لاخر يفقد السيطر على نفسه ٠ أخذت انفعالاته تزداد مما زاد ذلك في تردي صحته ٠ وأخذت حرارته ترتفع أكثر وأكثر ثم بدا عليه الوهن والضعف ظاهرين ٠

كان الصيف في اوجه ٠ كانت شبابيك غرفته مفتوحة دائما ولكنه لم ير شيئا من الخارج فقد كان ذلك الحائط من الاشجار الخضراء الذي يحيط بالمستشفى يحجب عنه الرؤيا ٠

وبعد مرور اسبوع واحد دخل الى غرفته في الساعة الثانية بعد الظهر الطبيب الخفر وخلفه ثلاثة من الممرضين يجرون حمالة لنقل المرضى ٠

ـ كيف الحال ؟ هل نحن جاهزون للنقل ؟ بصوت هادىء تغمره روح النكتة سأله الطبيب ٠

ـ أي نقل ؟ ٠٠ تلفظ كورته بصعوبة كلماته ـ ما هذه النكتة ٠ ولكنهم لا يرجعون من العطلة في الطابق الثالث الا بعد مرور أسبوع كامل !

ـ ما لنا وللطابق الثالث ٠٠ ـ قال الطبيب وكأنه لم يفهم شيئا ٠ استلمت أمرا بنقلك الى الطابق الاول ٠ وهذا هو الامر يمكنك مشاهدته ـ واعطاه الطبيب الامر ليطلع عليه وقد كان الامر فعلا موقعا من قبل البروفسور داتي نفسه ٠

خوف وغضب كورته تحول الى صيحة مفزعة طويلة هزت جميع أقسام الطابق ٠

ـ الهدوء ، رجاء الهدوء ـ اخذ يسأله الحمالة ٠هنا يرقد مرضى بحالة خطرة

وكان من الصعب جدا إسكاته أو تهدئته ٠

في النهاية دخل الطبيب المسؤول عن الطابق ٠ كان انسانا طيبا وذا خلق عال ٠ قرأ الامر بالنقل وسمع شرح كورته ٠ ثم التفت الى الطبيب الخفر يؤنبه وقال انه حدث هناك خطأ ما فهو لم يعط مثل هذا الامر ٠ واضاف بانه في الآونة الاخيرة اخذت تحدث بعض الاشياء لا يعلم باكثرها وهذا شيء أصبح لا يطاق ٠

وبعد أن أنب الطبيب الخفر التفت الى المريض معتذرا عن هذا التصرف :

ـ للاسف ، في الحقيقة ـ بدأ الطبيب ـ البروفسور داتي خرج منذ ساعة ولن يعود الا خلال يومين ٠ انا جد حزين ولكن أوامره يجب أن تنفذ ٠ أنا أعتقد ان البروفسور نفسه سيأسف لهذه الغلطة الشنيعة ٠ انا لا أفهم شيئا فهل بالامكان حدوث مثل هذه الاخطاء ؟

اخذ جوزيبه يرتجف ٠ انه يرتجف من الخوف والرعب ٠ لقد فقد السيطرة على نفسه واصبح كالطفل ٠ انه في حالة يأس شديدة ولذلك أخذ يبكي بصمت ٠

من أجل غلطة حقيرة وصل جوزيبه الى نهاية الطريق هو الذي يملك كل الحقوق ليكون في الطابق السادس او حتى السابع كما اعترف بذلك جميع الاطباء ٠ الان وصل الى قسم الموتى ٠ كانت حالته مزرية وفي بعض الحالات وبعصبية شديدة كان يريد أن يضحك ٠

كان كورته ينظر الى الشباك وهو مستلق في فراشه ٠ خلف الشباك تشع شمس يوم صيف حار ٠ ترى جذوع الاشجار الضخمة واوراقها الخضراء ٠ بدأ يعتقد بانه وقع في عالم خيالي تحيط به أسوار غريبة ٠ أشياء معتمة وأروقة ضيقة وأجسام بيضاء كالناس الخالين من الحياة ٠ ومرت في مخيلته فكرة وهي ان الاشجار التي يراها غير طبيعية وقد تأكد من ذلك بشكل قاطع عندما لم تتحرك أوراقها ٠ اكتشافه هذا اصابه برعشة غريبة لذلك قرع الجرس فجاءت اليه الممرضة ٠ وطلب منها أن تعطيه نظاراته التي لم يكن يستعملها وهو في الفراش ٠ وبعدها استعاد هدوءه عندما أبصر أن الاوراق تتحرك ببطء ٠

ومرت ربع ساعة بعد ذهاب الممرضة قضاها في هدوء شامل ٠

كان يرزح على صدر جوزيبه ثقل كبير . ثقل ستة طوابق . ستة فواصل مفزعة . من اجل غلطة تافهه . كم من السنين يحتاج جوزيبه لكي يزحف الى أعلى هذه الحفرة العميقة ؟ ..

ولكن فجأة اخذ الظلام يسود الغرفة .. نظر كورته بصعوبة الى الساعة المجاورة فوجدها تشير الى الثالثة والنصف . اذ ان النهار كان في منتصفه . لقد جمد في محله يفكر ، او لا يريد ان يفكر بالذي يحدث . ادار رأسه الى الجانب الاخر . جانب الشباك . وعندها شاهد الستائر الحديدية تنزل بصمت وهدوء وكأن الامر يصدر لها سرا . أخذت الستائر تنزل بدون ضوضاء وباصرار لتحجب عنه مصدر الضوء والنور ر..

اشارات برية

علي جعفر العلاق

شربت أرضنا
ماءهــا ،
قوافلها ،
والسماءُ ،
تقاسم قهوتها الظاعنونَ ،
ولم يتركوا ،
في يديَّ سوى مدنٍ ، علّقتْ ،
صيفها بالنوافذِ ،
« .. كن كالحصيرهْ ،
يضيء على رملها العاشقونَ ،
وتبيضُ فيها الغصون المقيمةُ ،
بين الحصى والظهيرهْ ..»

●

ان في رملة النوم قافلةً ،
حملت خبزكِ الشمريَّ ، وقافلةً
حملت رئتي ،
خيمةً ،
من ضباب الفرات المطرزِ ..
بالبــدو ،
« وجه الثريا كتابْ ،
يدثر نومي بالريح ،
يشعل في جسدي بلدةً ،
مرسومةً ،
بالندى ..
والترابْ .. »

●

يلف النهارُ ،
على رئتيَّ يديه ،
فتنكسر المدن المستريحةُ
تحت دمي ، شامةً ..
وتلك ظعون الاحبة ، مبتلةً ،
والسماء الطريهْ ،
تختضُ ، تختضُ ،
تسقط في البردِ ،
مرشوشةً ..
بالحصى ..
والمياهِ الشهيهْ ..

●

هنا ، في جبينيَ ، صقر السواقي ،
يشمُ غباري المبللَ بالنومِ ،
والجدريَّ ،
وفي شفتي امرأةٌ ،
تركت خبزها ، يتوهج في طرف الذاكرهْ ،
حفرت ثقبا في ايامي ،
تجلس فيه الريحُ الرثةِ ،
« لغة الصبر علينا وزعٍ
جربٌ ،
لغة البكائينْ ،
الليل شبابيكَ تهذي ،
وعصافير الفرحةِ ..
طينْ ، ... »

الايام التالية

تلفت الطبيب حوله حذرا ثم همس في اذني ان أخذها وأتوجه بها الى موقع ناء عن الناس ، بعيدا عن المدينة ٠٠ قال :

ـ يلزمها راحة الاعصاب والهدوء ٠٠

قلت :

ـ أظن ذلك ٠٠

همس :

ـ اخفض صوتك ٠ كما انها في حاجة الى فترة نقاهة محاطة بالسكينة ٠٠

قلت :

ـ أعرف ذلك ٠٠

همس مستاء :

ـ قلت لك ٠٠ همست لك أن تخفض صوتك ٠

○ ◉ ○

جئنا الى هذا المكان على شاطىء البحر ٠ البحر ممتد بعيدا جدا ٠٠ لا يحده حد ٠٠ يبدو مقوس الافق أزرقا باهتا ، صخري الشاطىء ، صخوره مدببة كأنها الابر ، كأنها حدود بلط أو أسنان خناجر ٠

سكنا هذا الكوخ الخشبي ٠٠ لا أدري كيف يفلت من ريح الشتاء !! لكننا في آخر فصل الصيف والهواء ساكن والامواج خفيفة الوشيش ٠٠ وكنت أعلم أن لاشيء مضمون في مثل هذا الوقت من العام ، قد يبدأ اليوم صيفا وينتهي شتاء ، قد ينتقل عبر فصول العام في خلال ساعات قليلة ٠

○ ◉ ○

بعد الخطوة الاولى لنا هنا نظرت هي الى البحر طويلا طويلا ، راقبتها : أخذت عيناها ترقان ثم أخيرا لانت تجاعيدها الخفيفة وكادت تختفي تماما عندما ابتسمت ٠٠ أعجبها البحر وهذا فأل حسن لاعصابها ٠

قامت بتفحص الكوخ ، اختارت السرير المناسب لها ، ثم جلست على حافته ، رامية ببصرها الى البحر خلال زجاج النافذة ٠ قلت :

ـ مرتاحة ٠؟؟

ربما لم تسمعني ٠ كانت اثار الكدمات ما زالت واضحة في جبهتها ٠ استدارت الى الجانب المقابل للبحر ، نظراتها الساكنة بدأت تنشط ٠٠ ثم بدا انها تكتشف شيئا مذهلا ٠ هرولت خارجة ثم شهقت واقفة أمام الشريط الحديدي الممتد محاذيا الشاطىء ٠٠

قالت منفعلة :

ـ هذا شريط سكة حديد ٠٠

كيف لم تره ؟!٠٠ عبرنا فوقه في طريقنا الى الكوخ وكادت تتعثر فيه !!٠ لكنها كانت مأخوذة بفساحة البحر وحركته الازلية الرجراجة ٠

قالت :

ـ يمر القطار من هنا ٠٠

الشريط قديم وصدىء من الجو الرطب ومن عدم الاستعمال ٠ في قديم الزمان كان يمرق القطار من هنا رابطا ما بين مدن الشاطىء وقراه ، لكنه لم يعد يجري هذه الايام ، ألغي ولم يرفع الشريط وترك للصدأ وللاعشاب تنمو من حوله ولبعض السحالى البحرية تمرح من أسفله ٠

مجيد طوبيا

قالت :

ـ ما دام هذا شريطا حديديا فمن المؤكد ان القطار يمر من هنا ·· هل تعرف مواعيده ؟؟

ـ لا توجد مواعيد لقطار لا يمر !!

ربما لم تسمعني ، استدارت الى البحر وقالت :

ـ ومن المؤكد ان السفن تعبر من هنا أيضا ··

ثم اتجهت الى باب الكوخ لكنها توقفت فجأة وهتفت:

ـ وها هي سفينة هناك ··

ـ أين ؟؟

ـ هناك ··

ـ ·······؟!

ـ هناك ·· عند حافة الافق ·

نظرت ودققت النظر ، لم أر شيئا · قالت :

ـ هاهي ·· عند نهاية الافق ·· الان تهبط ·· هبطت تحت مستوى الافق ··

ـ ······!!

ـ لم ترها ؟؟

هززت رأسي نفيا ··

ـ رأيتها أنا ·· وكانت بلا شك سفينة ·

ودون أن تحني ظهرها أو رأسها ، دخلت الكوخ من بابه المرتفع ·

O ⊙ O

صباح اليوم التالي فتحت عيني لاجدها واقفة قرب سريري تقول :

ـ لقد مر قطار بالامس ·· هل سمعته ؟؟

لم أسمع شيئا ·· كنت قد نمت نوما عميقا ، قام صوت الموج الرتيب بعمل المنوم انفعال ·

ـ أردت ان أعرف موعده وبحثت عن ساعتك ولم أجدها ··

أخرجتها من تحت الوسادة حيث سبق أن وضعتها لكنها كانت قد انصرفت عني · وفي الليلة التالية أيقظتني في لهفة ·· نهضت فزعا وسمعتها تقول :

ـ أنصت ··

لم أسمع شيئا عدا البحر ·· لكنها قالت :

ـ مر القطار توا ·· وهو الان يبتعد ··

خيل لي ـ لدهشتي ـ اني أسمع ضجيجا يبتعد لقطار مسرع ·· خرجت الى الشريط ونظرت في اتجاهيه ولم أر أو أسمع شيئا · قلت لنفسي : « لا شيء مر ولا شيء يمر » ·

ثم نمت حتى الصباح فحلمت بالمدينة وبيوتها العالية وطرقاتها المليئة بالاقواس الخفيفة ·

O ⊙ O

في نهارنا الاول هنا قمت باستكشاف المكان ·· وفي النهار الثاني انتهيت من ذلك تماما ·· فبدأت أشعر بضيق المكان حيث لاشيء يتغير والحركة ميتة ، حتى البحر بدت تموجاته رتيبة وكأنه مل أبديته ·

صباح اليوم التالي قالت في ثقة مذهلة :

ـ هما قطاران · هذا مؤكد واحد عند منتصف الليل والاخر قبل الفجر بكل تحديد ··

رأيتها سعيدة باكتشافها فلم اعلق ·· ثم خرجت أرقب البحر الكبير ·· كانت الامواج ما ازالت تدفع ببعض الاسماك الصغيرة الى الصخور الخنجرية ، فرأيت بعضها

يذبح ، وشاهدت نصل صخرة ينغرز في جسد سمكة صغيرة ·· انحسرت الامواج وعادت وانحسرت ثانية والسمكة باقية مكانها ، كأنها مثبتة بحربة مقاتل قديم ·

سرحت بفكري الى أقواس المدينة ·· بناها قزم على مقاس قامته القصيرة فجاءت خفيضة جدا ·· كل عدة خطوات قوس واطىء ، وفي جميع الطرقات ·· كان علي أن انحني كلما مررت أسفل احداها والا اصطدمت رأسي بسقفه المقوس ·· وكلما رأيت انسانا محدودب الظهر قلت لنفسي هذا مواطن من مدينة الاقواس الخفيضة·

تأملت صدأ القضيب وتلمسته ·· ثم قررت ان أنام وقت الظهيرة حتى أسهر الليل معها ·· حدثتها عن عزمي هذا فلم تتحمس ولم تعترض ·· وهي - منذ اصابة جبهتها بالكدمات - تنام نوما خفيفا وتوقظها أدنى حركة·

نمت والسماء صحو واستيقظت والسماء سوداء الغيوم تنذر بليلة هوجاء العاصفة · أغلقت النوافذ باحكام ووضعت المصاريع خلفها ووراء الباب ·· ثم جلست أستمع الى الامواج التي بدأت تهدر والهواء الذي أخذ يزأر ، متنبها لعل القطار يمر كما تقول ·

عندما مضى الوقت وجاءت الساعة التي حددتها موعدا لمروره أرهفت السمع ولم أسمع ·· وبعد حوالي الساعة قالت :

- ربما منعته العاصفة ·

أخفيت ابتسامتي ، وسرعان ما نمت ·· غير انني تيقظت فزعا على اهتزازة السرير وارتعاشة الكوخ ·· وكانت العاصفة مخيفة ··

قالت بوجه منتصر :

- انه القطار ··

من فوري نهضت الى النافذة وفتحتها ، فلطمتني الرياح الهوجاء بعنف ودفعتني الى الوراء ، الا انني أخذت اقاومها حتى تمكنت من اغلاق النافذة ·· ومنعني هذا المجهود من النظر الى الخارج ·· وكان السواد يحيط بالكوخ وكان صوت الريح طاغيا على صوت البحر·

O ⊙ O

اليوم التالي نظرت الى الساعة وكانت العاشرة وقليلا ، جلست أمام البحر ولاحظت ان السمكة القتيلة غير موجودة ، سرت هنا وهناك ، قذفت ببعض الحصى الى البحر ، غمست قدمي في مائه ·· وعدت الى مكاني الاول ··

في السماء سكنت السحب من حول القوس المتدرج الالوان ، وقد انثنى فوق البحر ·· سبعة أقواس متلاصقة لسبعة ألوان طيفيه ، قوس قزح ·· وفي ذات يوم - في ماضي الايام - قررت هي أن لا تنحني أمام اقواس المدينة الخفيضة فامتلأت رأسها بالجروح والكدمات ، ظلت تسير مرفوعة الرأس فتصطدم بسقف القوس حتى سقطت فاقدة الوعي ، فحملوها فوق حاملة الاسعاف ، وبهذه الطريقة مرت أسفل عدد كبير من الاقواس ·· ثم قال الطبيب - همس الطبيب - بأنها في حاجة الى فترة نقاهة في موقع ناء عن الناس ··

عدت أنظر الى الساعة ، وكانت ما تزال العاشرة وقليلا تماما ، وكانت هي جالسة في صمت · تناولت افطاري وشربت بعض الماء ثم تمددت ·· وخرجت الى الشاطىء ونظرت الى الساعة ، وكانت العاشرة وقليلا !!

اندهشت وعلمت أنها قد توقفت ! لكن متى ؟؟ منذ متى ؟؟ طبعا منذ الساعة العاشرة وقليل تماما ·· ولكن هل منذ الساعة العاشرة الصباحية أم الساعة العاشرة مساء أمس ؟! منذ عدة دقائق أو منذ نصف يوم ؟!· ربما منذ يوم كامل أو عدة أيام · لم أنظر الى ساعتي منذ وقت طويل ، وربما منذ أيام ·· ولا أذكر الان اخر مرة ملأتها فيها !!· وهل توقفت نتيجة صدمة أم لاسباب اخرى كعيب في الآلة نفسها ؟!

جلست افكر فوقعت في مشكلة اخرى ·· فقد حاولت تذكر اسم اليوم ففشلت !! وجلست أحسب كل الايام بالتدريج : اليوم الاول كان خميسا وفيه حضرنا الى هنا ·· والثاني كان جمعة وفيه سمعت هي صوت القطار ولم أسمعه انا ·· والثالث كان السبت وفي ليلة سمعت هي صوت قطارين ولم أسمعهما لثقل نومي ·· ثم جاء اليوم الرابع فماذا حدث فيه ، وهو لابد الاحد ؟!· رأينا المركب ، رأت هي المركب ولكني لم أره ·· ولكن هل كان ذلك في اليوم الثاني أم الرابع أم السابع ؟! لو كان الثامن لكان هو الخميس ··

كان البت في ذلك الامر مشكلة عويصة · نظرت ساهيا الى الساعة فكانت العاشرة وقليلا !! فهل فكرت طويلا ؟؟ دقائق أم ساعات ؟!·

وجلست أحسبها مرة اخرى ·· وسألتها فضيقت من عينيها مفكرة ولم تتكلم ·· ولما جاء الليل نمت ·

★

وفجأة استيقظت على ضجيج عال جدا ، ولما تنبهت الى ما حولي أيقنت - بلا أدنى ريبة - ان هذا الضجيج هو صوت قطار يعبر ·· الان يبتعد ·· اللحظة أصبح نائيا ·· ولم احاول ان أخرج لرؤيته فقد كان الصوت من الوضوح الذي لا يقبل أي شك ·

مددت يدي وأخرجت الساعة من تحت الوسادة ، كنت أود أن أعرف موعد مرور هذا القطار الليلي ·· لكن الوقت كان ما زال العاشرة وقليلا تماما ·· فتذكرت مشكلة الوقت والمتاعب التي صادفتنا أثناء النهار لتذكر أسم اليوم الذي نعيش فيه ·· فما هو اسمه وما هو اسم الغد والايام التالية ؟؟

★

في هدأة الليل كان تفكيري أكثر صفاء · قلت ان ذلك لا يهم على الاطلاق ·· لكني عدت وقلت أنه من

الجائز جدا أن نحتاج الى معرفة اسم اليوم الذي نعيش فيه ، ولا أحد يضمن ما سوف نحتاجه في المستقبل ٠

لما اخبرتها بأنني سمعت صوت القطار رقت نظراتها نحوي وابتسمت لي في سعادة واقبال ٠٠ ثم جلسنا معا وفكرنا أن أحسن حل هو أن نضع لكل يوم علامة مميزة ٠٠ فيوم أمس هو اليوم الذي حدثت فيه العاصفة فيصبح يوم العاصفة ٠٠ واليوم التالي هو اليوم الذي تنبهت فيه الى توقف الساعة فهو اذن يوم الساعة أو يوم التنبه ٠٠ وهكذا ٠٠٠ ولا بد أن نختار للغد أبرز أحداثه ونسميه باسمها ٠٠ ونفعل نفس الشيء لبعد الغد ولبعد بعد الغد ودواما ٠٠٠

لكنها فجأة قاطعتني متسائلة :

ـ لماذا يمر القطاران ليلا ؟! لماذا لا يمر أيهما في النهار ؟!

كنت أريد أن أسألها نفس السؤال ٠٠ وكنت أبغي أن أعرف :

ـ هل من الجائز أن يتوقف أحدهما ولو مرة واحدة أمام كوخنا ؟؟

قامت من فوق سريرها واقتربت مني ٠٠٠ ثم جلست على حافة سريري ونظرت لي طويلا : عتاب في عينيها ٠ التصقت بي : قلق في لمسة كفها ، شعرت حنانها عبر لمساتها ٠٠

قالت في حنو وبعض الخوف :

ـ هل تحن الى تلك المدينة ؟!

كنت أنظر في عينيها ، ولما أردت أن أتأمل جمال وجهها لم تقو عيناي على مفارقة عينيها ٠٠ فجذبتها نحوي مستشعرا راحة كبرى ٠ أحسست بها تجذبني ٠ همست وأنفي مدسوس في شعرها وفمي لصق أذنها ٠٠

ـ ليكن يوم العاصفة هو أول الاسبوع ٠٠

شعرت برأسها تومىء موافقة ٠٠ فوشوشت بفمي في فمها :

ـ وليكن هو أيضا اول الشهر ٠٠ ومنه نبدأ في تكوين تقويمنا الخاص ٠

ـ القاهرة ـ



حسين عبد اللطيف

أمضي
كالسهم
بعيدا ٠٠٠
في ذاكرتي حيث الاشجار حجارة نوم وغزالات تنجو من صياد ما كان له ٠٠٠
ـ هذا الجسد ـ القارب ـ
ان يحملني
لتخوم اجهلها شمس يزدان بها جسدي شمس سوداء
وطيور تعبر في الساعات ، ستعبرني
واظل هنالك مقطوعا ٠٠٠
دعني اجتز بابك
« اذ تأكل حواء النمل »
ويربي آدم اسماكا مبهوره »
للزهرة ضيفي تفتح ابوابي ٠٠٠ للبلبل
(مصنوع من ذهب ، اتمنى
شمسا وعذابا

●

●

الساحل يكشف عن نفسه
وبين خارطتي بالاسلاب ٠

فرج عبو

والمدرسة البغدادية المعاصرة

شاكر حسن ال سعيد

ـ ١

من الخطأ الفادح ان يعتبر العمل الفني مجرد اطار تعرض من خلاله الصورة الذهنية للفنان ، كما ان من الخطأ ايضا ان يعتبر ظاهرة وظيفية لا ترتبط بالرؤيا الانسانية الحياتية التي يقوم الفنان بقسطه الاوفر في نسجها • فالعمل الفني ، قبل كل شيء ، ظاهرة ديناميكية حية •

فاذا لم يكن في صلبه توجها (نحو الحقيقة) فهو انعكاس صادق (للواقع) • بيد انه في كلتا الحالتين حصيلة التفاعل العميق ما بين الفنان والعمل الفني •• ، أو ما بين الانسان (الظاهرة الحياتية) والحضارة (الحضانة الفكرية) • وكل ما يمكن ان يقال عن الفن على انه انعكاس فوقي للتطور •• او على ان رؤية مثالية لفكر ميتافيزيقي لن يتجاهل سحره في ان يطرح طبيعة التفاعل المكين ما بين نمط البيئة الفكرية والمادية التي يعيش بين ظهرانيها الفنان ، وطبيعة الابداع الذى يمثل الفن أحد جوانبه المشرقة • فالعمل الفني اذن نسيج كل من ايجابية الفعل الانساني وسلبية الظروف الخارجية • وهكذا فسواء اكان الفنان متقصدا لفعله أو غير متقصد فكل ما يتحقق في هذا المجال يظل بالنسبة له أثرا من الاثار ، وفي هذه الحال تظل دراسة الناقد وضمنا المشاهد هي المعول عليها في استشفاف هذا الاثر، في حين لا يمكن باية حال من الاحوال اعتبار العمل الفني مجرد ثمرة من الثمار الشهية التي يسوغ للمشاهد اقتطافها ، وتذوقها من اجل المتعة وليس الشبع •

وباختصار ، فنحن بازاء موقفين ازاء العمل الفني • فأما ان نعتبر هذا العمل ظاهرة حياتية يمكننا ان ندرك من خلالها طبيعة الحضارة والتطور الذى يمر به العالم في توجهه نحو الحقيقة واما ان يظل مجرد ظاهرة وظيفية يمكننا ان نعامله بسببها كزينة « او مجال » للهو والمتعة • والذى أراه : ان العمل الفني الحقيقي هو الذى يضمن لنفسه الاستمرار في الحياة لانه ليس مجرد مجال للزينة والامتاع بل لانه فوق ذلك مجال لاغناء الحضارة والكشف عن كيانها •

اننا ، وفي النصف الثاني من القرن العشرين ، قد نقف مبهوتين من الدهشة والاعجاب امام تمثال سومرى ظهر الى الوجود منذ اكثر من اربعة آلاف عام • فهل كنا لنتذوقه لانه صنع من اجل معاصريه ممن ظهر بين ظهرانيهم ام من اجلنا نحن ؟ كما اننا اليوم نتحدث عن الفن الحديث والفن الواقعي ، ونحاول ان نتذوقهما بقيمنا المعاصرة •

ألا يمكن لاخلافنا بعد مئات بل آلاف السنين الاستمتاع بهما ايضا ؟

والذى اريد ان اقوله هو : ـ ان دعوى خلود (العمل الفني) مرتبطة أشد الارتباط بطبيعة الزخم الحضارى الديناميكي ، والقابل على تجاوز ابعاد عصره• فهو الذى ، اذا ما تحقق ، يجعل من اللوحة الفنية أو المنحوتة أكثر من مجرد (بضاعة) خاضعة لقوانين العرض والطلب(١) •

ـ ٢

ومنذ عام ١٩٥١ تقريبا ، وفي بغداد ، انبثقت فكرتان متكاملتان من اجل تطوير العمل الفني وتسديد مسيرته ، الاولى فكرة تحقيق الطابع المحلى له مع اعتباره أسلوبا في مجال المدرسة الحديثة والتي تبلورت فيما حولها جماعة بغداد للفن الحديث(٢) • أما الثانية فكانت تقتضي رفع مستوى الجمهور البغدادي الى افقه الصحيح وهي التي استهدفت توعية المشاهد المحلى توعية حديثة(٣) وهكذا ، وعبر هاتين الفكرتين •

ظهرت (جماعة بغدد للفن الحديث) الى الوجود لكى تساهم في مسؤوليتها الفعلية في تطوير المدرسة العراقية المعاصرة ، اذا صح القول ، سواء بالنسبة للفنان او للجمهور • ومن الجدير بالذكر ان الشعار الذى طرحته هذه الجماعة الفنية سرعان ما اصبح مصدر ألهام الكثير من الفنانين العراقيين فيما بعد • فما ان حلت الستينات من القرن العشرين حتى استهوتهم نزعة التعبير الاجتماعي والمنجزات الشعبية كما اقتبس البعض منهم (التكرار)(٤) ولحد ما (التماثل) كقيمة رئيسة في التعبير عن (الطابع



معرض جماعة بغداد للفن الحديث — اطفال يلعبون ١٩٦٣ (زيت)

المحلى) ، حتى ولو لم يكونوا من جماعة بغداد للفن الحديث ٠

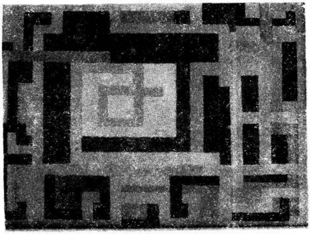
لقد ساهمت اذن (هذه الجماعة) في دفع عجلة التطور الفني ودعم مسيرته ، وكانت ذات مدحضاري واضح المعالم من حيث محتواها الفني ٠ فهي ترتبط بطبيعة التراث الذى يتعمق في جذور البيئة العربية والعراقية عبر العصور الوسطى الاسلامية ، حتى المراحل الاولى لنشوء الحضارة العالمية منذ فجر التاريخ ٠ أما من حيث الوسائل الشكلية فلم تجد أقرب من (التجريد) والمدارس الحديثة الاخرى منفذا لاستشفاف طابع الحضارة العربية الاسلامية من خلال الحضارة العالمية الراهنة ففي مثل هذا المناخ الفكرى والبيئة النفسية المتحفزة لاحياء الشخصية الحضارية لمهد الحضارة في العالم اثمرت اساليب بعض الفنانين كان منهم جواد سليم وكان منهم ايضا فرج عبو ٠

٣ ـ ولكن ٠

اية قناعة كانت تعصف مقدماتها وتتطلع عبر نفسية هذا الانسان المعتقد باهمية التراث لو لم تكن لتستقى مقوماتها من شخصيته بالذات ؟

والواقع ان نفسية السيد عبو بروحيته المسيحية المسالمة وثقافته العربية والمدرسية (فقد درس الرسم في مصر وتتلمذ على اساتذة تشبعوا بفكرة نهضة مصر الحديثة) كانت تتكاثف معا لتجعل منه انسانا (مفكرا) أكثر منه كائنا مندفعا بعواطفه او (متصنعا) متحذلقا ٠ وهو في جمع مراحله الفنية سيمثل دور الفنان الدؤوب الصبور على أداء مهمته وقطع جميع مراحل مسيرته الفنية وتجربته الفكرية ، مطورا باناة وصمت اسلوبه الفنى من اجل الوصول الى الاشكال الفنية الملائمة لرؤيته التي تبدو واحدة في جميع مراحله الفنية ٠ فلوحاته التى رسمها اقبل سفره الى القاهرة لاتمام تحصيله الفني قبل الخمسينات ، تنفرد بحالة نفسية أو مزاج رصين كالتي تمنحها لنا نفس لوحاته المرسومة في عام ١٩٧٠٠ فهو ، اذا ما تتبعنا المسالك الخفية لتحولاته ، يكرر تجربته التى ترسخت لديه منذ اكثر من ثلاثين عاما لكي يصوغها في قوالب جديدة ذات ملامح متحفظة ٠

فألوانه واشكاله جميعا بل وحتى طبيعة الحركة البطيئة التي تنبض بها لوحاته تظل بعيدة عنا الى حين ٠ انها لا تتغلغل في نفوسنا لاول وهلة ، ونحن نختار اول الامر ٠ ايبدو العالم الخارجي حقا في مثل هذه العزلة ؟ وشيئا فشيئا نكتشف الجواب على تساؤلاتنا ٠ ان ثمة (برزخا) لابد لنا من ارتياده ٠ فعالم فرج عبو هو



المعرض الشخصي ١٩٧١ (زيت)
(تجريد على الحرف الكوفي المربع)

عالم مغلق ولا يمكن دخوله الا بمفتاح سحري ·· بكلمة ·· بتميمة ·

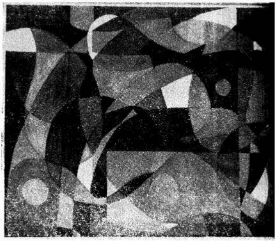
وهكذا ، فنحن مالم نكن لنفكر في ابعاد عالمه المسحور فلن يتسنى لنا العيش في ارجائه · و(طلسمه) الذى لابد لنا من حل لغزه اول الامر هو ان نشاهد عالمه الفني ، لا من خلال **معطياته الحسية** (كاللون والحركة) أول باول بل من خلال **معطياته الفكرية** (كالدرجة اللونية والشكل) ·

ان رحلتنا معه لا تبتديء الا عبر ساحل لا بد لنا من الوصول اليه قبل الاقلاع ، وهو نفسه يبدو هائما في الوصول الى الساحل من خلال بحثه ، ومن هنا فهو ما يفتأ يكرر محاولاته منذ ثلاثين عاما دونما ملل او معقب ، وفي هذا دليل على مدى مثابرته لاستنزاف جميع مساربه الداخلية · ففرج عبو الذى يرسم مشهد المدينة المتحصنة امام برد الشمال ، بكل خطوطها الافقية الممتدة وبمساحتها المترامية على ضفتي نهر او عند سهل فسيح ، وبرؤيته الفوقية الشاملة (وهي نفسها مدينة « السطح التصويرى » ذات اللون المسطح والخطوط الافقية المجردة التي سيتخذ من علاقاتها المعمارية المتماسكة مع الخطوط العمودية) يمثل في نفس الوقت الرصيد الفكرى (**الرياضي – المنطقي**) و (**لروحي – التراثي**) ، الذى يحيل مساهمته في الفن المجرد الى تجربة جديدة في تطوير (الخط المربع الكوفي) ، من كونه شكلا من اشكال الزخرفة بالكتابة ذات النبر الهندسى الى كونها عنصرا من عناصر التجريد بواسطة الفن الكتابي ·

واذن فان مشاهدة لوحاته دونما (**تأمل عقلاني**) ان لم يكن (منطقيا) ، والاكتفاء بكونها محاولات ذات اساس عصري في مجال التقنية فحسب **تظل مشاهدة عقيمة،** وذلك لانها تقضي على جميع مقوماته النفسية والتاريخية لربط التراث بالحضارة المعاصرة · وبالنسبة لمجموعة لوحاته ذات النبر الحروفي مثلا (الحرف الكتابي بشكله الكوفي على الاغلب) يبلغ صهر المقومات التراثية من جانبيها المتناقضين حدا يستعصى به على المشاهد الاعتيادى ذلك انه لا المثقف المتغرب ولا المثقف المتمشرق المندفع بعواطفه فحسب ليستطيع مشاهدته كما ينبغي · فلوحاته المليئة بالخطوط (= **المستطيلات المنتظمة**) هي ما بين ان تظل مجرد اعتبارات استعارة الخط الكوفي في عالم الفن التشكيلي ، أو المساهمة في **البعد الواحد.** وهكذا يبلغ لديه التسامي **الترشيدى** منتهاه · **ومن هنا فلن يستطيع ان يشاهده على حقيقته سوى (المتسامي الحق) أو المشاهد** الذى في ميسوره ان يعيش تجربته **العقلانية – الروحية معا ، على تناقضهما ، من خلال دلالتها الشكلية** نفسها · فليس الامر اذن ان نطبق رؤيتنا المتفحصة في اكتشاف السمات العالمية للمدارس الفنية عبر أسلوبه ، ولا ان نطبق مفهومنا في الفن الوظيفي على انه فن مسر او مسرح فكر تقدمي لنقول بكل ثقة:– « حقا انه فن جيد وليس بالرديء » ثم نجتر عبارات التكريم للتكنولوجيا المعاصرة · كلا) وانما **هو اشعاع فكرى يربط ما بين جذور الفنان الحضارية وزهوره المعاصرة · وانه لاشعاع يسمو على اعتبارات (النظرة المتفحصة الراصدة) لكي يستبدلها (بالنظرة المتطلعة)· فان ما يجب ان نكتشفه عبر اللوحة : لوحته هو (حيويتها الحضارية) اذا صح التعبير ، وليس تجسدها العصري· او بمعنى اخر : ان ما يجب ان نتعرف عليه في لوحاته ليس هو الفنان (الصانع – الماهر) بل الفنان (المفكر– المبدع) · وشتان ما بين الاثنين ·**

والواقع ان تأملنا لفن **فرج عبو** يؤكد على ان عمله الفني يظل حصيلة بحث متواصل في مجال تطوير التراث الحضارى المحلي من أجل رفعه الى مستواه العالمي · واذا كان قد بدأ ذلك منذ الخمسينات في اقتباسه للقيم التكرارية في الاداء الشكلي فهو يصل به اليوم الى مفرق طريق « حاسم في محاولته لايصال القيم الزخرفية في الفن المجرد · فالكنز الذى يغترف منه هو كنز لا ينضب : انه منجم تكونت عروقه منذ آلاف السنين · فما يحاول ان يبلوره في رسومه يتشعب لديه باستمرار ·

فليس ما يبحث عنه هو من السهولة الى الحد الذى يمكن ان ينجز في اتجاه معين واحد ولكن الفنان في الشرق الاوسط يعيش أبدا عبر هذه التجربة ذات النمو (المتشعب) وليس (المستدق) · وفرج عبو فنان من هذا الطراز ·



المعرض الشخصي لعـــام ١٩٧١
تجريد (زيت)

لقد أغنى اذن الفنان فرج عبو من خلال بحثـــه الشاق المدرسة البغدادية المعاصرة أو جماعة بغداد للفن الحديث بمعطياته الفنية ، وكان ولا يزال مثالا رائعا على منتسبيها مثلما ساهم مخلصا في استلهام التراث المحلي . وما معرضه الاخير عام ١٩٧١ سوى الدليل على الشوط البعيد الذى بلغه من إجل حضارته المحلية : حضارة وادى الرافدين والوطن العربي ومن أجل الحضارة العالمية معا.

(١) انبثقت في الآونة الاخيرة دعوى (تاريخية العقل الحضاري) أو اعتبار التراث نقطة انطلاق ذات نبر مستقبل . وبرايي ان المهم في اقتباس (التراث الماضي) هو طرح (القيم الفنية) ذات الخصائص المحلية ضمن الملامح العالمية للفن ، وليس المهم (الشكل التاريخي) بالذات . فالاهتمام بعنصر (الابداع) هو المعول عليه بعد ذلك في تطوير التراث وليس عنصر (الجودة) . ويمكننا التاكيد أيضا ان انفراد العمل الفني بمزاياه (الصادقة) وليس (البارعة) هو المحك الحقيقي لغناه .

(٢) وهذا هو في الواقع مجمل الشعار النظري الذي طرحته جماعة بغداد للفن الحديث منذ اول معارضها عام ١٩٥١ بشكل وباسم : (بيان جماعة بغداد الاول) .

(٣) راجع نص محاضرة جواد سليم التي القاها في افتتاح معرض جماعة بغداد للفن الحديث الاول عام ١٩٥١ والمنشورة فيما بعد في صحيفة صوت الاهالي في نفس العام وكذلك في دليل معرض جماعـــة بغداد لعام ١٩٧١ .

(٤) تذكر بهذا الصدد اهمامات كل من (اسماعيل الشيخلي) و (نوري الراوي) و (فائق حسن) و (كاظم حيدر) و (ضياء العزاوي) وغيرهم ممن لا يحضرني الاشارة اليهم باقتباس (التكرار) عن الفن العراقي القديم والفن الاسلامي .

أيـــام في المدينـــة

في طرقات المدينة الآمنة كان كل شـــيء هادئـــا مستغرقا بالنوم حتى لتشعر بان الارواح قد غـــارت في مسارب رمل كيثف يدفعها لحظة بعد اخرى الى أبعـد الاعماق وبدت المظاهر للعين الغريبة بســتار مبهـم غريب كأنه يخفي سرا له رغبة عارمة في الكشف عـــن نفسه وفي كل لحظة يحس الغريب بانه سوف يمسك الغموض وسوف ينجلي الابهام ويسطع نور يزيح الاستار ولكن ادون جدوى • قال في نفسه: «اني ارى شيئا لا وجود له فيما وطأت اقدامي من الارض واسم رائحة هواء لـــم أتنفسه قبل ، وتنتصب أمامي أشياء لا اظن غيري وجدها ولكن ما هي ؟ لا أدرى » • وشعر المتجول بالتعب يمسك باكتافه ويحاول القاءه أرضا ولكن لم يكن من شيء يغريه بالاستلقاء فثمة صخور ناتئة تتلقفه لتغرز رؤوسها الحادة في جسده المضني » وامل ان يلقي احدا في المدينة ولكن الدروب الخاوية اثارت فيه خيبة موجعة ودب شيء مـــن الاستنكار في روحه وقال في نفسه : « ما اطول الليـــل » وأرهبته فكرة ان ليس لهذا الليل من نهاية وفجأة تنبـه لشيء عجب امن انه لم يفطن اليه سابقا فقد لاحـظ ان الابواب والنوافذ مشرعة عن أواخرها وبدا له ان كل شيء في المدينة يعرض نفسه ويكشفها • وتجلت له معـــالم الاشياء مغرقة في شفافية قاتمة • وكلما تقدم خطـوة في الطرقات الصامتة انتصبت أمامه المزيد من الاسئلة المحيرة: « يا له من وضع غريب هل سبق ان دخل أحد مثـــل هذه المدينة » وقال في نفسه : (اني لا ادرى وقت شروق الشمس في هذه المدينة اللعينة • وضرب بقبضته الهواء أملا في تحطيم الظلام • ارتدت يده بجانبه وقد أحس

فيها خدرا والما وبدا غاضبا على الكون المحيط به وود لو مد يده واختلس النوم من أجفان المدينة الخامدة• استرق النظر من النوافذ وتسقط السمع من خلف الجدران ولكن ريح اليقظة لم يحن موعد رجوعها بعد •

لم يدر متى أشرقت الشمس وجاء الصباح ، متـــى انقشعت غيوم الظلام ، انما وجد نفسه فجأة في وسط زحام وقد أثقله التعب و الضجيج • وبدا متشوقا للبـدء برحلة الاستكشاف ولكنه أحس ان عيون الناس ونفوسها تنغلق على بعضها في أحكام هائل واخذت الاحياء تتكور ويتداخل بعضها ببعض وانتصبت أمامه صخرة هائلـــة مشحوذة الحواشي تنذره بالابتعاد واحس بالرهبة ، لقد وقفت هذه الصخرة حاجزا بينه وبين شجاعته واقدمه وقال في نفسه : « لابتعد ، لامنع يدي من ان تمد نفسها تتلمس هذه الفصول المرهفة سوف لا اجرح الا يدي من ان تمد نفسها تتلمس هذه الفصول المرهفة سوف لا اجرح الا يدي ولا يسيل الا دمي ولكن كيف السبيل الى ولوج القلب ، لو انني وقفت الى جانب احدهم لربما امكننـــي أن أضع نفسي في مكان مسامتها » وما حاول ان يطيل حيرته ، حاول البحث عن منفذ اخر • انتبه لوجود بعض الاشخاص هنا وهناك كل ملتفت الى عمل ما ، حـــاول ان يقرأ في وجوههم كلمات الافصاح ولكن غشاوة صفراء غطت معالمهم وهلع قلبه فرحا وخوفا معا حين ابتـــدره صوت :

ـ هل انت غريب ؟

ـ نعم

فكر باغتباط ربما وجدت مفتاحـــا ، وقـــال له الصوت :

ـ ما الذى تفعله هنا

ـ انها قصة طويلة

ـ كيف

اجاب بحذر وخوف ألا يفهمه سائله :

ـ لا أدري ما الذى اوحى لي باني غريب عن هـــذه المدينة • لقد وجدت نفسي فجأة هنا ، ربما انـــي لا اتذكر من اي مكان جئت فلأعتبر نفسي جزءا منها •• لقد بدأت احبها •

قال جملته الاخيرة بشيء من الاشفاق على نفسه خشية الا يفهمه سائله أو أن يغضب منه ، او يستهزيء به ولكن لم تبد على الوجه الجامد اي من امارات التغير• شجعه موقف صاحبه على ان يسأله :

ـ لماذا انت منفرد ؟ لم لم تلتحم مع أبناء مدينتك ؟

ـ انت تراني هنا وهناك اخرون مثلى لا يهمهم ان وجدوا انفسهم منفردين أم اذا وقفوا مع غيرهم جنبا الى جنب كما ان الذين في الداخل لا يهمهم من أمرنا شيء • انهم

ملاحظة : هذه أول قصة تنشـــر للكاتبة

الآمـــنة

امـــيرة فيصـــل

من الكثرة والقوة حيث ترى ، صخرة صلدة لا يهمها أن يفلت منها ذرات • إذا ارادت العودة فما عليهـــا الا أن تلتصق بالام دون أن تزداد صلادتها صلادة ولا حجمهـــا حجما •

ـ لا بد لهذا الجلمود من نواة

ـ انا لا يهمني ان اعرف

ـ وقد تكون جوفاء ، وما هذا الا كساء خارجي

احاطه ابن المدينة بنظرة صامتة إعلمته انه يجب ان يلتزم الصمت وأن لا يعيد مثل هذا السؤال على مسامـــع احد قط •

جرجر قدميه متثاقلا مبتعدا وطرح نفسه في زاوية خاوية نفسه من اى من المشاعر قائلا « اني احس بالارهاق لانتظر يوما اخر » •

اخذ يحس بالخدر وهو يرى غبار الظلمة ينهمـــر ممثلا ما جرى من قبل وقال (انهاليلتي الثانية) وفـــي ركنه المنعزل احس برغبته في الاستسلام لشيء حـــاول استراق يقظته ، انه يحس بالخدر ولكنه لذيذ مبشـــر بالراحة ، بالصفاء ولكن •• لا ! هب واقفا « لابدأ جولة الليلة الثانية ، ترى هل اسلك طرق الليلة الثانيـــة ، ترى هل أسلك طرق الليلة الفائتة أم ابحث عن دروب اخرى » •

ترك القياد لقدميه في هذه الرحلة ، واستغـــرقه التفكير فيما مر عليه من مشاهد ، تكتل المدينة الغريب ضد محاولة اقتحامها وفكر « انها مدينة صامدة ، ولكن ماذا لو تعرضت لقوة أكبر منها ؟ » ابتسم بأسى وقـــال « انها في الليل مدينة مفتوحة • انا الان املك المدينـــة

ولكن ما فائدة هذا التملك الذى لا يشعر به احد ؟ ما فائدة تملكك لمدينة خامدة كأنك تمتلك مقبرة » راودته رغبة في ان يلج احدى هذه الابواب المشرعة ويدخـــل الى بيوت المدينة مفكرا (لعلني اصل الى القلب) وكانت تضطرب في روحه مشاعر الخوف والاقدام ، الرغبـــة والنفور والقنوط والامل • وهو يخوض امواج الليـــل الصامت مستطردا في افكاره (قدتبتلعني دوامه ماء •ولكن ما الذى سوف يتغير فسواء وجودى في الاعماق أو على السطح فالمهم هو ان اكون قائما في مكان ما ، مـــا دامت روحي تبقى مضطرمة » وخيل اليه انه يسمع نداء حازمـــا خطف بين افكاره المتشابكة ، وقبل انيعي الحقيقـــة باغتته صرخة سمرته ارضا تواردت على ذهنه شتـــى الاحتمالات واختلطت في رأسه صور الموت والهـــلاك ممزوجة بامل الخلاص والفرار ينازعها امل ضعيف في السيطرة والانتصار •

ـ من انت ؟

دوى في السكون صوت قاطع آمر حتى لخشي انتهب المدينة مروعة ، وعندما التفت الى الصوت وجد امامـــه رجلاجهد في ان يعطيه ملامح وتفاصيل معينة فلم يفلح انه كأى فرد من الناس الذين رآهم من قبل ولكن حـــين حاول ان يرسم له شكلا معينا •• شبها •• لم يجـــد له شبيها قط •

افتتح الحديث معه اى كلمة تفيدني في التأثير عليه» لكنه لم يجد ما يقوله • وعاجله الرجل مرة اخرى

ـ ألا تريد ان تجيب ؟ •• من انت ؟

ـ لماذا تصرخ هكذا سوف ترعب الناس

ـ ان هذه المدينة لا تعرف الرعب

ـ من انت ؟

ـ أأنا الذى اسألك أم أنت ؟

ـ انا هو انا ولا أعرف شيئا اخر

ـ هل انت غريب عن هذه المدينة ؟

ـ لا اظن

قال بحنق زائد :

ـ لو قلت بانك غريب لكان ذلك افضل لك أما أن تكون ابن المدينة وتخالف شرائعها ونظمها فليس في ذلك فائدة لك •

ـ ولكن بماذا خالفت النظم والشرائع ؟

ـ ان خروجك ليلا لهو جناية كبرى ومخالفة عظمى

ـ ولكني لا علم ذلك

ـ آه •• انه الخطر العظيم يكمن فيمن يجهل الشرائـــع

والقوانين وان اكثر ما تحذره هذه المدينة هم الجاهلون لشرائعها ..

- ولكن لماذا

لانهم سيسنون لانفسهم شرائع خاصة بهم وفي ذلك جريمة عظمى واشارة لخطر داهم حرك فيه غضب الرجل شيئا من الحذر ولكنه قاهر بسؤاله

- ولكن لماذا انت تسير في شوارع المدينة ليلا ؟

ورن بعض الهدوء على رجل المدينة وقال

- يبدو انك غريب حقا .

صمت هنيهة ثم قال بصوت حاد النبرات مادا يده امام وجهه كانما رأى شيئا حقيقيا لا يمكن له ان ينكر روايته :

- حين تسمع اقدام تطرق شوارع المدينة ، سوف يعلم الكل انه انا .

هم ان يسأل من انت وماذا تعني (بأنا) ولكن الرجل قال له بنبرة متسلطة

- هاقد قرب طلوع الفجر فيجب ان تبحث لك عن مأوى وان تحفظ شرائعنا وتطيعها والا فأذهب الى السور الذي هناك لتنتظر فتح الابواب واخرج الى الابد دون عودة » واستدر على عقبيه ومضى .

(٢)

كنت انتظر بفارغ الصبر اطلالة الصباح لعلي اجد من يكشف عن هذا الغموض المتشابك ، من يدلني على نقطة استطيع ان احل بها بعض من عقدة الابهام ، وتذكرت كلام الرجل اذن في امكاني ان اذوب في الجلود وان اكون احدى ذراته ، ولكن ذهني لم يتقبل هذه الفكرة ببساطة وفجأة تنبهت الى اني قد اوغلت في المشي والبعد حتى وجدت نفسي في مكان بعيد موحش خاو ليس فيه اشارة لوجود كائن ، ليس من صوت ولا حركة ولم يكن هناك بيوت او شوارع ولا شيء من معالم المدينة . لم يكن هناك الا الصمت . احسست ببعض الهدوء والسلام ووددت لواضع رأسي على احجار الطريق واغوص في نوم عميق . لاح لي من مسافة ليست ببعيدة مرتفع وفي اعلاه شيء لم اتنبه جيدا ، حدتني رغبة في الصعود الى الاعلى لاى ما هناك . تسللت المرتفع بمشقة . ولكن المرتفع وقف بصمود ورفض استقبالي ، وكلما ارتفعت اكثر كانت الصخور تلين تحت يدى وبدأ كأن الريح تحملني الى الاعالي . ومن ثم وجدت نفسي فوق . وعندما اطللت برأسي كاد قلبي ان ينخلع لعمق الهوة التي فغرت فاها لتتلقفني ، وشعرت كأن مكيدة تصبت لي وفات الاوان فقد شبكت بالمصيدة ، وجلت بنظري في الانحاء البعيدة كانت الريح تشتت الظلام وتبعثره هنا وهناك وجدت المدينة جاثمة على البعد ساهية لا تلقي بالا لوجودي ، وشعرت بالغضب لهذه اللامبالاة ، وودت لو صرخت باعلى صوتي لاثير الرعب والقلق ولو لثوان . وتذكرت موقفها مني في النهار الفائت فامتلأ قلبي غيظا ، لو كانت لدي القوة لا مرت الجبل ان يلقي غضبه نارا وحديدا على هذه المدينة الشريرة . وفجأة لفت نظري شيء عجبت لاني لم الحظه . كانت الاسوار هناك منتصبة باستهتار تبعث بنظرات الهزء والسخرية وبدت الي كالطوق يختنق ويحاول ان يمد يده ليتشبث برقبتي ، ليسحقني ، ادرت نظري بسرعة أوقع على بناء ، سارعت بالدخول اليه فلم يكن سوى اربعة جدران في كل جدار باب وشباك وعدا ذلك كان مقفرا ، تذكرت كلمات الرجل من ان اجد ماوى وفكرت يبدو ان هذا البناء لا يعود لاحد والا لما اترك مهجورا هكذا .وانه مناسب لي جدا . طرحت ما احمله من امتعة قليلة وضعت رأسي فوقها .

لم ادرك كم مضى من الوقت حين تنبهت من اغفاءتي وكنت قد تركت النوافذ والابواب مغلقة فكانت العتمة كاسية الداخل سوى بعض الثقوب المنيرة . وعندما فتحت احدى الابواب صدمني اشعاع غامر ووخز عيني بقوة . وعندما تعودت النظر في النور خرجت الى الساحة فبدت المدينة من بعيد واضحة المعالم هذه المرة ولكن دون دلالة على الحركة . كان الفضاء ساكنا منطويا على نفسه وكانت الارض والسماء مشدودتين بخيوط النور الخفيفة . وفكرت (ماذا افعل ؟ ؛ لاذهب الى المدينة) . ولكن كيف يمكنني النزول ولعنت غباوتي وانتابني القلق تهت بين الخوف والهزء من نفسي . اذن لقد وقعت في المصيدة حقا .

واخذت ادير النظر لعلي اجد مخرجا . خطوت في انحاء القمة وفجأة كأن ماء باردا صب علي ناطفا حيرتي وقلقي بثوان قصيرة . فقد وجدت شعبا ينحدر موغلا الى اسفل ، اسرعت اهبطه ولدهشتي كان طريقا واضحا محددا سرت فيه بسرعة اسابق نفسي حتى صرت دون ان اشعر بالتعب ولا بانقضاء الوقت وسط المدينة وقد تملكتني الدهشة والفرح معا ، اذن ليس افضل مما اخترت مأوى .

والان ماذا افعل ؟ لابد ان اجد عملا . فقد بدأت ذخيرتي تنفد . تجولت في المدينة وانا افكر (ترى ماذا يمكنني ان اعمل) وحينما صرت في طرف المدينة كنت المح الجبل حين اخطو بضع خطوات كممارس ازلي يقف عنيدا صلدا في قوته وجبروته ولكن شيئا من قنوط كان يجلله . فقد تراءى لي ان رغم صلادته وجبروته كان حزينا . فقد كان وحيدا اعزل هذا الهيكل العظيم ، وكان التصاقه بالارض يفشي بسر عجزه ، كالرجل المشلول الذى يهدد اعداءه بتحطيمهم لو وقعوا تحت قبضته ولكن انى له ذلك .

استدرت داخلا المدينة مرة اخرى . مررت ببعض الحوانيت المنعزلة والمعامل الصغيرة وبعض مخازن الحبوب والخضار ودكاكين الحدادة . استلفت نظري احدها .

ولكن اي مهنة قذرة ومتعبة • ولكن شيئا فيها استهواني ودفعني الى ان اجرب هذا النوع من الاعمال • فقد كنت لا اعدم القوة في نفسي وسيلين تحت ضـربـاتي اقسى الحديد • ولكن هل يقبلني صاحب الدكان اقتربت من الباب وقد وضع تحته سلم قصير يفضي الى هوة معتمة ذكرتني بعالم الطفولة الغريب الغارق بالاشباح والعفاريت • فلو كنت طفلا لهربت بعيدا واطلقت ساقي للريح تلاحقني الرؤى المفزعة وتحاول ان تنتشلني ابشع المخلوقات واقساها • والان فارقت عهد الطفولة • ام انني الان لا ازال طفلا ولكنه يرى الحياة في كل مكان سواء في اعمق المهاوى او في ذرى الجبال ، فحيث اكون لابد ان اعيش • لايهم ماذا اعمل وماذا اكسب أ أربح ام اخسر •

وقفت هنيهة لا اجرؤ على الدخول وفكرت (لابد ان احدا سيخرج من الداخل) ولكن ليس من جواب الا الطرقات الملحة والا شواظ النار الملتهبة • جازفت بالدخول ، في البداية لم يثر دخولي التفات رب العمل فقد كان مستغرقا في عمله تتوالى طرقاته بانتظام يثير الدوار واخيرا المحني فرفع رأسه • لابد انه افكر باني جئت استخدمه في عمل لي • حرت كيف انقل له رغبتي واخيرا قلت له بسرعة

— اني ابحث عن عمل •

اجابني متعجبا

— انت ؟

وظل يتفحصني بشك وريبة وقد اثاره مظهري وملبسي الذي يتنافر مع من يمتهن مثل هذه المهنة ثم قال :

— اني فعلا بحاجة لمساعد لي فقد مات منذ مدة قصيرة مساعدي السابق ولكن انت لا يبدو انك الفت هذا النوع من الاعمال •

فكرت بصوت عال « احتل مكان رجل ميت » فاجاب مبتسما (ما الغرابة في ذلك انها سنة الحياة يذهب البعض ويأتي اخرون) •

كرهت النكوص ولم اجد بدا من ان اقول له : « استطيع ان اقول لك واثقا اني سآلف هذا العمل بسرعة اني شديد الرغبة فيه » فقال : (اذن لا بأس ، أتعرف اجور مثل هذه الاعمال •••) قاطعته •• « لايهم الاجر »•

هكذا اذن سأقضي حياتي — سأسجن نفسي في سرداب تحت الارض بعيدا عن الدنيا من شروق الشمس الى غروبها منزويا في هذا الركن القصي حتى اذ جاء الليل فسأذوب في الظلام • ولكن لا بأس فقد غدوت من هذه المدينة فلي عمل ومأوى ثم بقيت هناك اشياء ابغي كشفها• لن اكون ابنا لهذه المدينة حقا الا حين تفتح صدرها امامي•

عندما شارف اليوم على الانتهاء استعد صاحب العمل لمغادرة الدكان وقال لي ان كنت تريد مواصلة عملك هنا فلابد ان تأتي غدا صباحا بعد شروق الشمس مباشرة • وخرجنا الى الشارع • فها جمني النور والهواء الدافق ، تنفست بعمق وخلت الي عشت في ذلك القبو سنين عديدة او انني ميت هارب من اسر القبور • وعند ما ودعني الحداد صمت فيه متعجبا

— الا تغلق دكانك ؟

— لماذا ؟

كان هو الاخر يبدو مشدوها لصراحتي • اجبته :

— الا تخشى اللصوص ؟

— لا يوجد عندنا لصوص • الم تعرف اننا في المدينة الامنة ؟ • هل انت غريب عن هنا ؟

— كيف هي امنة ارجو ان توضح ذلك ، ارجو ان تكشف لي بعض الغموض الذي يلف مدينتكم هذه من الذي اعطاها الامان ؟ اهو ذلك الجبل المشلول ؟

— ان لهذه المدينة حاميا يحميها ويحرسها منذ اقدم العصور ، متى جاء الحامي لا احد يدرك ذلك ، لقد توارثت الناس الاحساس بوجوده منذ اقدم الازمنة • وعرفه الخلق عن السلف ففي هذه المدينة لا سرقة ، لا قتل ، لا نهب ، لا اعتداء ، لا اثم ، لا خيانة يعيش الناس في امان واستقرار هادئي البال مطمئني القلوب • موكلين امورهم الى الرجل العظيم الى حامي المدينة •

— واين حاميكم هذا ؟ اين يسكن ؟

— لا احد يدري ، ولا احد يهمه ان يدري فما دام الكل يعيش في اتم راحة وامان • فلماذا البحث عنه • ولكن يقال انه فيما مضى يعيش بين الناس يتفقدهم ، يقضي حوائجهم ، يقضي على الظلم وينشر العدل • يأخذ بيد الضعيف وينتقم من المعتدي حتى اذا استتب كل شيء واصبح كل في محله اختفى من حياة النهار وانتقل الى حياة الليل • وفي بعض الاحيان حينما يهرب النوم من عيني احد الناس لابد ان يسمع خطواته الرزينة تطرق الطرقات بهيبة وجلالة فيكون ذلك كافيا كجلب الراحة الى قلبه المتعب فيغرق في عالم الامان اللذيذ ويذهب عنه كل الم وسهر •

— اذا غزا المدينة احد من الخارج فماذا تفعلون •

فاجابني هازئا :

— انك جاهل حقا ، وعديم النظر ايضا ، الا ترى تلك الاسوار الجبارة ان منظرها كاف لردع كل من تسول له نفسه التفكير بذلك • ولكن من يجرؤ على مثل هذا الشيء ؟ انك احمق لتفكر هكذا • ولم يردعني هزؤه عن مواصلة اسئلتي فقلت ببرود اثار حفيظة الحداد

— اليس له شروط ما ؟

طفرت عيناه الى رأسه غضبا وقال بحدة :

— كيف تقول هذا ؟ لولا اني انست بك ولولا معرفتي بجهلك فانك لوقلت مثل هذا الكلام لغيري لجزعت مما يحصل لك • اذ سوف لا يبقى لك ذكر بين العالمين •

ـ سيمزقونني كالكلاب الضارية، الست تقول انه ليس في مدينتك اعتداء ، فكيف يفعلون بي هذا ، وانا لم افعـــل شيئا ولم اؤذ احدا بشيء ؟

ـ كيف ؟ انك كمن يضرب قاع سفينة مملوءة بالناس بالفأس ، فليس لها مصير الا الغرق فكيف تشكك بمقدرة وعظمة من له كل الحول والطول • من تغذيـــه المدينة بارواحها ، ولو بذل الكل له ما يملكون من مال وارواح وقوة ولو غدوا له جميعا عبيدا لما اعطوه حقه في الجزاء والاكرام • من الافضل لك الا تعيد مثل هذه الاقوال على مسامع احد قط • لو كان لرجل ولد مثلـــك لما تردد في تسليم ولده فلذة كبده الى المدينة لتقتص منه وتكم فمه الى الا بد اننا نضحي بكل شيء في سبيل راحتنا وسلامتنا •

فارقته دون كلمة وداع تضطرب في ذهني شتـــى الافكار •• فكلما زاد بحثي عن الحقيقة تكاثفت الغيوم لتحجبها عني • وفي كل حين ازداد جهلا بما ارى • وكل ما اتوجه اليه يشبح بوجهه عني • وساءلت نفسي (ما الذي يهمني في كل ما يجري ؟ لماذا اشغل نفسي بهذه الغوامض• لم اريد معرفة ادق التفاصيل ؟ فلدى مأوى اسكن فيـــه وعمل اقتات منه الا يزعجني احد ولا يعتدي علي معتد ان سرت في طريقي و ان لم يعجبني الوضع فان الاسوار على قيد خطوة مني يمكنني ان اغادر هذه المدينة واوليها ظهري الى الابد • فما الذى يهمني من امرها • ان الكـــل **يبدون في راحة تامة • انهم يحسدون انفسهم لما يتمتعون به من هناء واستقرار » •**

افقت من افكاري وانا عند قدمي الجبل ، ازدادت سرعتي كأني اهرب من مطارد عنيد وصلت المأوى كان غارقا في الظلام دفعت الباب ودخلت متلمسا طريقي • القيت نفسي وقد ضرني التعب والارهاق ، بـــدا كأن الارض تئن من تحتي • لم اشعـــر بميل لمواصلـــة **التفكير ، ولكن رغم تعبي كنت اشعر براحة تامة ولـذة غامضة اضفى عليها عالم الليل الهادئ عذوبة ورخاوة • تسقطت السمع لما يحيطني ولكن ليس هناك الا الصمت• وفكرت فيما آلت اليه حياتي ففي هذا المكان ليس هناك الاي والعالم • وشعرت كأني اذود في كل ما حـــولي في الجبل ، في الهواء ، في الصمت •• واصبحوا جميعـا كلا واحدا ، كتلة شفافة • ونفذ الى روحي عبير غامض اشاع في كياني الرضا والسرور وقلت في نفسي : (لم هذا الهناء من اين اتى ؟) تصورت المدينة قابعة عند قدمي الجبل كالكلب الذليل يلحس قدمي صاحبه دون ان يبدي له صاحبه اي اهتمام • هذه المدينة لم تعد تهمني في شيء، لقد ذاب حذري ورهبتي منها وفجأة انتفضت في رغبة في النزول الى المدينة في اجتياح طرقاتها كالفاتح العظيـــم يدق قدميه بثبات في ارض المدينة المغلوبة • وعجبت من تحول افكاري هذا التحول السريع ، فبينما كنت اهرب منها بنفسي وافكاري منذ قليل وجدتني ارتد اليها غازيا فاتحا • تذكرت ليلتي الاولى في المدينة ولقائي بالرجل الغريب كأن ذلك قد حدث منذ زمن بعيد موغل في بعده يا للعجب لا اصدق ان ذلك مر قبل ثلاث ليال فقط •• لا •• كأن الليالي التي مرت لا يمكن عدها واحصاؤهـــا وفجأة برقت في ذهني بسرعة خاطفة فكرة عجبت لاني لم اشعر بها قبلا • هذا الرجل الغريب الذي التقيتـــه في المدينة لعله يكون هو حامي المدينة وحارسها • واستعدت حديث الحداد وطرقت ذهني كلمات الرجل الغريب «حين تسمع اقدام تطرق شوارع المدينة فسيعلم الكل انه انا» وقد قال الحداد انه منذ زمن طويل قد اختفى من مجال الرؤية وسعيد الحظ هو الذي يمكنه سماع طرقات قدميه• وهل اكون انا دون غيري قد حالفني الحظ بلقائي ومكالمته ومناقشته ودون اظهار اي نوع من الاجـــلال والتوقير اللذين كانا من الممكن ان يبديهما اي فرد من المدينة • ورحت ابحث في ذهني عن كل كلمة قالها ، عن هيئة ، شكله ، مشيته • واخذ ذهني يصور لي مالم يمر بخاطري من قبل • ويجسم لي مظاهر الغرابة والاختلاف فيـــه عن بقية البشر هل اتمكن من رؤيته مرة اخرى ؟**

هربت مني كل رغبة في النوم وكأن هاتفا دعاني بالحاح فنهضت بسرعة وانهدرت مع الشعب طاويا الطريق دون ان الوي على شيء حتى **وصلت المدينة • بدت المدينة مغمورة** بسكون مقفرة من اهلها **وكأن غازيا متحمـــسا اجتاحها** فتشارد السكان **امامه يسابقون الريح وبقيت المدينة** تنتظر عودتهم ببلادة ، **ولا تدري سببا لكل تلك الجعجعة** وذلك الفوران **الذي انطفأ كما التهب فجأة ودون سابق انذار ••**

كنت مستغرقا في افكاري حين دخلت احدى الفروع، انتشلني من خواطري شيء كوخز النار رفعت بصري فرأيت رجل الليل الذى القيته قبلا • ودعـــاني داع للهرب • استدرت وخيل الي ان هناك من يصـــرخ امرا بالوقوف • واهبت بنفسي ان اواصل طريقي الذي كنت سائرا فيه • استدرت تجاهه التقيت ببصري معه وكان مظهرا لغضب وضغط بيديه على كتفي كأنما ليثقب بى الارض شجعت نفسي واغريتها بالثبات فحينما يحدث ما حذرته فلابد من المجابهة حتى النهاية • ولو ان هذا الرجل كان الحامي حقا فانه سيكون من سمو الاخلاق والرفعة مثل ماذاكرلي حتى انه لا يؤذيني بشيء • وقال:

ـ انك انت نفسك ، ذلك ماتوقعته •

وسألته بعزيمة

ـ ما الذي توقعته ؛

ـ ما الذي اخرجك ليلا ، الم امنعك ؛

ـ ما الذي يضيرك في ذلك مادمت لا اوذي احدا ولا ارتكب جرما ، اليس لكل شخص الحق في فعل ما يريد؟

اجابني بحدة :

ـ حين يكون هذا الحق غير متوفر لكل هذه المدينة ، فكيف تطالب انت وحدك به ؟

ـ ما الفائدة في منعهم من الخروج ؟

فقال بهدوء هذه المرة ما اشعرني بانه غير متضايق من الحديث معي عكس ما يحاول ان يظهر :

ـ لقد تقرر ذلك منذ زمن بعيد وكل جيل يأتي كان يرى الذين سبقوه يعملون نفس الشيء فلا يناقشون ، ولا يسألون ، وانما يسيرون حسبما سار عليه الذين سبقوهم • **لقد وجدوا جميعا الراحة في ذلك •**

وقلت مجازفا :

ـ من الذي منعهم ؟ انت ؟

ـ ولماذا تظن ذلك ؟

فاخبرته بكل ما سمعته في المدينة وما تسقطته من الكلام وما استنتجته انا فقال :

ـ انت تختلف عن هؤلاء جميعا •

(ورسم بيده دائرة في الهواء) انت لست مثلهم ، ان في ذلك شيئا غريبا لم يحصل من قبل والمفروض انه يجب ان اتخلص منك لقد قرأت افكارك في المرة السابقة التي التقينا فيها وآملت ان يستبطنك الخوف وتخرج بعيدا عنا • ولكن يبدو انك عنيد •• لقد اخترت ذلك البيت الذي في اعلى الجبل اليس كذلك ؟

ـ ما الذى ادراك ؟

ـ انا لا يخفى شيء علي

ـ اذن انك انت حامي المدينة ، كل الدلائل تشير عليك •

تحرك ببطء كأنه ينوي الانصراف وقلت في نفسي (هل اتبعه ام استدير في طريقي) وبقيت واقفا كان قد ابتعد قليلا (ما افعل الان ؟) ولم انتبه الى انه قد اختفى وكأن الارض ابتلعته ، عدوت الى الجهة التي تقابلني ، ولكن ليس من اثر ، حيرني امره • اين ذهب بهذه السرعة وشعرت انه لم يكن لكل هذه الاسئلة من جدوى • فقررت الذهاب الى مأواى • ولكن لم يبق الا القليل لتشرق الشمس وعملي الذي يجب ان ابدأه باكرا ، اتخذت طريقي الى دكان الحدادة وشيئا فشيئا كانت الحياة تعود للمدينة • وخيل الي ان اهلها الاغبياء يسلمون ارواحهم يوما بعد يوم لشخص يحفظها لهم ثم يرقدون امنين واذا رفض ذلك الشخص ارجاعها لهم ؟ او انه مات فجأة فما الذي يفعلونه ؟ ولكن من الذي سوف يستيقظ ويعرف الحقيقة• شعرت بالمقت لهذه المخلوقات التي بدأت تدب في وهن ، هؤلاء الذين قضوا ليلهم في خدر لذيذ والان حين اصبحوا يعانون من صداع لعين ، بودهم لو تكاتفوا جميعا بوجه الشمس ليعود الظلام •

حينما وصلت كان الحداد يقترب ايضا من الدكان• وعندما التقت عينانا شعرت كأنه يخفي تحت قناعه حقدا مكينا عن به طوال الليل وكأنه يلعن القدر الذي رماني عليه ، صدمتني نظراته الحقودة فلم استطع حتى ان اكلمه • ابتدأنا يوم العمل بصمت وبين لحظة واخرى كنا نسترق النظر كشخصين يدبر كل منهما مكيدة لصاحبه توالت طرقاتي بعنف وكأنها تقرع رأسي الذي كانت تدور فيها الاف الافكار ما ان تخسر واحدة تتلوها الاخرى ٥١٠ •• ما اقسى هذا الطنين المتواصل • تركت المطرقة وخرجت طالبا شيئا من الهواء • وكنت افكر (لماذا لا اسأل الحداد عن سبب صمته ، وعن سبب تجاهله لي) ولكنني كنت اجد مشقة في تحريك شفتي وقفت فترة امام الدكان اجيل بعيني في الرائحين والغادين وفجأة شعرت برغبة الفرار من هذا الاتون المحرق • فغادرت المحل وكأنه شيء لا يعنيني ، خرجت من المدينة متخذا مساري نحو الجبل • ارتفعت الى القمة ووقفت قليلا ارنو الى المدينة لم المح منها شيئا كانت الشمس قد اسدلت فوقها استارا من الضياء فبدت المدينة بكل ما فيها كأنها في قاع جهنم • اشحت عنها بنظري ، دخلت البيت ، اغلقت الابواب والشبابيك واستلقيت مرهقا ، متعبا وهذه الرأس اللعينة ، لو استطعت لقطعتها ، فقد غدت اثقل من طن من حديد (اى عالم هذا الذى القيت نفسي فيه ؟) وثرت على نفسي (لماذا لا اقبله كماهو؟) وهكذا خلال وقت لم اشعر بطوله استقر في روحي متهم يدافع عن نفسه وقاض يدينه بوحشية واصرار • وانتبهت •• انى لم اغص في قلب المدينة رغم عظم اهتمامي بها • وانما كنت اما ان امسها من الخارج في دكان الحداد الواقع بعيدا عن القلب • او ان انظر اليها من أعلى حيث يعمي بصري نور الشمس الكثيف في النهار والظلمة في الليل عن رؤية ما في هذا القلب •

وصارحت روحي بشيء من الحذر ، (انني اخاف هذه المدينة) رغم ان حبها يتملك قلبي في بعض الاحيان وحين ارى انغلاقها على نفسها يكاد يعميني الحقد عليها • وفي الليل عندما اهم بأن اصرخ بقوة واسمعهم صوتي اخشى ثورتهم وغضبهم • وهكذا لم افعل شيئا • ولم اخاطب سوى نفسي كمن يكتب حروفا في الهواء او كمن يصرخ في واد مقفر • حتى الحداد لم استطع مواجهته وانما لملمت نفسي وهربت بها الارى اكان ذلك خوفا منه ام احتقارا له •

ومضت بي الساعات والايام دون ان اجرؤ على النزوح من قلعتي كاني خائف من شخص يترصدني •

وفي عصر احد الايام قبيل الغروب انحدرت الى المدينة بعد ان طحن روحي اليأس والقلق وغمرني السأم في مستنقع آسن كنت احس في فمي طعم الغبار وتعلو جسمي كله نتانة كريهة لو اجد الآن نهرا لالقيت روحي فيه لعلني ازيل بعض هذه الادران التي احس بانها تلدغني وتدس سمها في جسدي • وكنت انتقل من مكان لاخر وانا مقيد القدمين كأني مربوط بحبال تعصرني دون رحمة • وأمام ناظري لم المح السواد الكثيف • فلا اذكر انني مررت بانسان او شجرة او دار • وفكرت في الهرب

مرة اخرى . ولكن مم اهرب ؟ وامتلأت حقدا في ان اقرر شيئا في الغد وان ابحث عن عمل ، فقفلت راجعا يثقل خطاي الحزن والالم لشيء لا ادريه ، حينما وصلت الدار لم اجد رغبة في الدخول . جلست عند الباب ساهما مثقل القلب والنفس . واثقلت الوحدة المريرة على روحي ولكن اين المفر ؟ انتظرت رحيل الظلام المتباطىء . وبدأت اشغل نفسي في التفكير في الايام السعيدة التالية ، سيتغير هذا كله ، وسيتبدد هذا الالم والشجن ، ليس ليس لي الا ان انتظر .

فجأة تنبهت الى حركة خفية ، وارهفت السمع ، لا زلت بين اليقين والشك نهضت واقفا اتجهت نحو مصدر الحركة لمحت شبحا يرتقي الطريق مسرعا حاولت ان اتبينه فلم افلح وعندما اقترب اكثر عرفته انه هو رجل الليل . ابتدرني بقوله :

ـ حسنا فعلت بالبقاء هذا اليوم في مأواك

لم اجد رغبة في محاورته فاكتفيت بالصمت . قال

ـ انك لا تجيب

اجبته بضجر :

ـ لا ادري بم اجيبك ، فلا رغبة لي في الكلام

ـ لماذا ؟

ـ هكذا

عدت الى الجلوس في مكاني وقف هو على حافة الجبل يدير بصره في الارجاء البعيدة ثم عاد وجلس بجانبي قال :

ـ شعرت بالوحدة ، فجئت لزيارتك

ـ وماذا كنت تفعل قبل وجودي ؟

ـ ولكنك الآن موجود وقد اتيتك

ـ يبدو انك اخترت وقتا غير مناسب

ـ لماذا ؟

ـ لاني اليوم ثقيل النفس لا رغبة لي في الكلام مع احد .

ـ يبدو انك حزين

ـ كما تراني

وكان يوالي اسئلته فاجيبه باقتضاب ، حتى سالني

هل تخبرني من اين اتيت ، وما الذي اتى بك .

ـ انا ليوم كما قلت لا رغبة لي في الكلام ولكن لا يمنعني ذلك من سماعه ، فاذا كنت تحب فيمكنك ان تحدثني أنت .

ـ بم أحدثك ؟

ـ حدثني عن هذه المدينة الغريبة ، عنك انت ، عن حاميها .

ـ عن ماذا اتكلم ، ليس في هذه المدينة وعند هؤلاء الناس شيء غريب ، انهم في كل مكان نفس الناس ونفس المدن ، انهم جميعا يتوقون للوصول الى غاية واحدة بشتى السبل .

قلت وقد ايقظني كلامه :

ـ ما الذي يبحثون عنه ؟

ـ انهم جميعا يحبون الشيء الذي رأيته في هذه المدينة ، انهم في غاية السعادة الان ، لا يجدون احدا نال ما نالوه فامتلأوا زهوا وخيلاء .

قلت كي اوقعه في الكلام علّه يكشف لي شيئا مما خفي علي

ـ ولماذا فعلت لهم ذلك ؟

واجاب بضحكة مريرة :

ـ أأنا فعلت ذلك ؟

قلت متلهفا

ـ اذن من ؟

اجابني بشيء من الحنق ـ فعل ذلك ـ شخص لا ادري أاذا كان مجنونا ام انه جمع في رأسه عقل مائة رجل ، لقد بلغ بهذا الرجل الحب او الكره حدا انه قال هذه المدينة اتركوا كل شيء لي وسلموا امركم بيدي ، دعوني افعل كل شيء وحدي ، سوف احميكم من الاعداء ساوفر لكم الامن والراحة ، سانتقم من القوي وانتصر للضعيف ، ساضع كل شيء في نصابه ، وانتم انصرفوا الى اعمالكم هادئين مستقرين . فليس بعد اليوم خوف، ولا رعب ولا قلق ، سوف لن يقلق نومكم منغص ، ولن يعكر راحتكم أمر ، سوف لن يخشى السائر في طريقه طعنة من الخلف ، ولا يجد امامه حفرة تفغر له فاها ، لن تخشى الام على وليدها لعنة الحرب و ....

قاطعه :

ـ متى كان ذلك ؟ في اي وقت ؟

ـ لا احد يدري ، وفي بعض الاحيان اقول في نفسي لابد انها حكاية نسجتها اوهام الليالي وسربلت حياتنا بها وانا نفسي كنت افكر في ذلك كثيرا فقد نبعت في خصلة لم يكن احد يتوقعها ولا يرغب بها ايضا . فمذ كنت صغيرا كنت اسأل عن كل شيء ، ما هذا الشيء ؟ وكيف اتى ؟ ولماذا هو هنا ؟ وكنت استشعر من اهلي قلقا وانزعاجا ، وبينما كانت المدينة غارقة في غيوم الحذر الواهنة كنت اضع فوق جرح الظلام ملحا نافذا في اكشف اعماقه . وكنت اشكك في كل ما اراه واسمعه ، وشعرت باني اعيش في قبو بعيد عن الحياة الحقيقية ، وكانت روحي تصرخ بي لفك اساري والخروج الى عالم النور ، لابد ان اعرف كل شيء . كنت الاحظ كثيرا من الاشياء تفقد من بين ايدينا دون ان يفكر احد بالاشارة الى ذلك حتى الانسان يختفي ، يقتل ، يسرق ، يجوع ، يتألف ، دون ان يجرؤ شخص على الشكوى او الاشارة ، او الاتهام او الاسترحام ، وحينما كنت اصرخ لقد قتل انسان او اختفى فلان ، وفي هذا البيت شخص يتألم وان اشياء

كثيرة تمحى من الوجود كان الكل يقول اننا لا نفهم لهذه الكلمات معنى ·

اعياني التفكير حتى لا ادري ماذا افعل وهنا تذكرت **الحامي ، اين هو هذا الرجل العظيم اذا كان له وجود حقا فلماذا لا يظهر ؟ اليس ذلك واجبه ؟ الـم ينصب نفسه لذلك ؟ ان الكون كله يمجده ويعظم اعماله · وحتى الطفل الصغير يعرفه جيدا ويعرف اعماله الكثيرة ويتعلم تقديسه وتبجيله · ولكن اين هو ؟ لماذا لا اراه ؟**

ولم ادر لماذا وقف الناس ضدي مشتعلين غيظا ومشحونين بغضا وسعيرا · وفي عيونهم شواظ مستعر حتى اني حينما اسير بينهم اخشى ان يحيلني اللهب المخيف في لمح البصر هبابا تذروه الرياح ، وكنت اعاند نفسي واشجعها لتنجو من الهوة السحيقة التي وجدت نفسي فيها دون ان يكون لي دخل في ذلك · ولاني لم اطق العيش في الظلام · لذلك قررت ان افلت بنفسي الى عالم نير وضاح · ولكن يا للسخرية فليس امامي الا اللجج المظلمة لابحث فيها عمن يهديني ·

وحينما وضعت قدمي خارج الدار لاول مرة تملكني شيء من الرهبة والتردد ، وتهيبت روحي من شيء مجهول، وكانني انتهك حرما مقدسا، ولكن اصراري ورغبتي العنيفة القت بي في الخضم وقد فتلت مني كل خوف ،و تردد ، وانطلقت كاني مشدود الى هدف يجذبني دون ارادة مني· ولكن الذي حدث لم يكن يخطر على بالي ابدا، فقد بدا لي وكأن كل شيء قد رتب ووضع لاجلي · وكأن العالم كله كان في انتظاري ليسلمني المدينة التي صغت لي وينفض يده من كل شيء بعد ان يسلم الامانه التي اثقل كاهله بها زمنا طويلا ، فاية سرعة تلك التي انقضى فيها كل شيء · وهذا الكون الذي كنت احسب نفسي فيه ذرة مستحقرة لا يمكن ان ترى او تحس ، واذا به فجأة فوق كتفي احلق في الاعالي طائرا الى ابعد نقطة في السماء وفي ساعة عبث او جنون وبنفخة خفيفة انفضه بعيدا كذرة غبار فيتهاوى ساقطا بين يدي الجن والشياطين ·

سحرتني المدينة النائمة تتردد انفاسها بوهن ورخاء وهي غارقة باعذب الاحلام ، ولكن صوتا ملحا كان يخدش نصاعة الصمت المهيمن كانه انذار مزعج · من أين يأتي هذا الصوت ؟ ما هو ؟ واخذت اتبعه واخرج بعيدا ·· بعيدا كانني مسحور ، فاقد الارادة حتى وصلت هنا ·· »

وهنا قام من جلسته الحالمة واطل من الجبل لينظر اسفله وقد جرفته ذكرياته بعيدا عن الشاطىء حتى اوغل بين الامواج الرخية تحمله برفق لتنقله الى عالم اخر ليعيش مرة اخرى تلك اللحظات الحاسمة في حياته ولم يكن الرجل الواقف امامي سوى قشر خاو أما روحه وكيانه فقد ابحرتا في ذلك العالم الرحيب ، واسترسل في كلامه المنبثق من ذلك الزمن الذي ليس له حدود :

ـ « تيقنت ان الانين قادم من القمة ، ولا بد ان اصعد ، وجاهدت تمزقت يدي وتهرأت ثيابي حتى وصلت الى القمة وجدت البناء نفسه ·· »

واشار اليه كانما ليريني اياه لاول مرة ·

ـ ·· دفعت الباب المواجه لي وجدت في الارض كومة ملتفة على نفسها توقف الانين برهة بعد ان دخلت ثم تواصل بوهن شديد · انه انسان ؟ ولكن من هو ؟ ما يفعل هنا ؟ تكومت بجانبه · وعلى الضوء الضئيل تبينت لي بعض ملامحه ، شيخ طاعن في السن جدا · صرخت به من انت ؟ مالذي اتى بك ؟ ولكن لم يجبني ·· ركعت بجانبه حدقت فيه فهالني عمق الاخاديد التي حفرت في وجهه · وقلت في نفسي من اي زمن هو ؟ وفجأة قفز قلبي بين اضلعي حين برقت الفكرة في خاطري · ايكون هو ؟ ومن غيره ؟ تزاحمت الاسئلة في رأسي · وكنت اخلق لكل سؤال جوابا دون ان تسكن الزوبعة التي اجتاحتني ، يظهر قد غرق في غيبوبة ، ولكن لعله قد مات ، ولم عرف من هو · يجب ان اعرف بعد ان تجاوزت حدودي وخرجت عن الطريق المرسوم لي ، فيجب ان استمر في طريقي لارى ما خبأ لي في نهايته ، ماذا افعل الان ، هل اوقظه جسست بجانبه دون ان ابدي حراكا وكأن كل عصب في قد ربط الى الارض باوتاد قوية ، تحرك الرجل قليلا انتفضت ، واحطته بذراعي وقلت له بتضرع شديد وكأن في جوابه اسكاتا لحيرتي وظلالي من انت ؟ اجبني ؟

رفع ناظريه ببطء وحدق في وجهي مليا قبل ان يقول بوهن : « لا يمكن للانسان ان يفشي سره الذي يطويه بين اضلاعه في الوقت الذي يشعر فيه انه ليس ثمة فائدة من حمله وتطويق قلبه به لذلك يجب ان يفك اسر قلبه · ولكن الرجل الحق هو الذي يتحمل هذا القيد الى اللحظات التي يراها مناسبة · انك تسألني من عساي اكون لقد كبرت على الجدال والنقاش والمراوغه وليس لي الا أن أختار اقصر الطرق · من انا ؟ ـ · من انا ؟ من عساه يعرف ؟ هل تستطيع ان تعرف لون الوردة في الظلام؟ وانا الذي عشت حياتي الحقيقية في الظلام هل استطعت معرفة لون نفسي ؟ » ··

وقاطعته منتصرا : انت الحامي ·· انت حامي مدينتنا ال ··

اردت ان اقول العظيم · ولكن اية عظمة امام ناظري ! هذا الشبح الذي يحرس المدينة الحامي لو ان احدا ادرك الحقيقة ماذا يمكنه ان يفعل ؟ ·

اعدت عليه السؤال ابلهفة : هل انت حامي المدينة ؟

اجابني بان ترك رأسه تهوي على صدره · شعرت بانه لا رغبة له في الكلام ، خرجت ووقفت على حافة الحبل انظر الى اللانهاية التي انبسطت امامي · اختبرت

أثر ما يجري في نفسي فلم أجد شيئا كأن ما يجري امر طبيعي حاولت ان اثير العجب في روحي ولكن يجب ان اعود الى المدينة ، والذي رأيته هل اطويه في صدري ام أذيعه بين الناس ؟ هل اعتبره سرا ام مشاعا يجب ان يعرفه الكل . تذكرت الرجل دخلت مرة اخرى حدقت فيه لا يزال رأسه متدليا على صدره عيناه نصف مغمضتين وشفتاه مفترقتان قليلا كأنه غارق في فكرة عميقة ، جلست قربه ، هززته . ولكن ما هذا . هل مات ؟ يبدو انه ميت . ودعاني داع للهرب ، بعيدا .. بعيدا ، اسرعت الى الباب مرقت منه وفجأة تسمرت كيف سأهبط ؟ هل هذا كله سحر ، هل قادني سحر الى هنا والقاني بشبكة متينة ، تهاويت جالسا . افكر ، عاد كل شيء امام ناظري منذ ان وضعت قدمي خارج الدار ثم الرجل واقواله . ثم المدينة التي بقيت بلا حام يحميها ما الذي يجري لها الان ؟ واذا عثر علي هنا ماذا سيفعل بي ؟ ولكن من يعرف الرجل . ومن يصل هنا ؟ انا اعرف ابناء مدينتي ليس لديهم مثل هذا الفضول لاكتشاف ما خفي عليهم فمن الذي سيصل هنا . والميت ما اصنع به، ادفنه ؟ اين وبأي شيء ؟ وبينما كنت غارقا في افكاري كان الظلام يتفكك ويضمحل شيئا فشيئا . وبدت الكائنات تتوضح امامي ، قمت من مكاني درت حول البناء وجدت الشعب غمر الاطمئنان قلبي . وبسرعه توضح لي ما افعله ، لاحت لي صخرة ذات رأس مدبب رفعتها سلكت الشعب وعند اسفل الجبل في ارض رخوة ، حفرت بكل قوتي ثم سحبت الرجل العجوز وضعته في الحفرة واهلت التراب عليه قفلت راجعا الى المدينة قبل ان تستيقظ ، وانا احس بان رأسي قد انتفخت من شدة التعب والارهاق ؟!

ران الصمت قليلا . كان واقفا على حافة الجبل تومض عيناه وكنت اتابعه بكل ما يقول تمر المشاهد امامي خطوة بعد اخرى . لم اطق سكوته اردت استعجاله ولكني تظاهرت بالصبر وعدم الاهتمام ، التقى نظرنا برهة . وكنت اختبر عاطفتي تجاهه وكبت شعورا في يحدثني على ان اكرهه وقلت في نفسي يجب ان اعرفه اولا ، طال صبري ، لا زال يحدق في اظهرت عدم اهتمام لذلك حاولت ان ابتسم ثم قلت له بمراوغة ليواصل حديثه : اين عرفت ؟

ـ ماذا يمكنني ان اقول .. لقد قلت لك سابقا ان الكون كان معدا لي وعلى غفلة مني فتحت يدي ووضعت المدينة كلها في راحتي ماذا تريدني ان افعل ؟ لقد اطبقت يدي على الجوهرة باحكام .

اثارتني لهجته المستهترة ولكنه لم يبال واستمر بحديثه :

ـ ماذا يمكنك ان تفعل حين تجد كل شيء ملكك الماء والهواء ، الارض ، والحياة نفسها افعل ما تشاء ، اغترف ، اقتل ، الهو ، اعبث ، خذ واملأ جعبتك قدر ما تستطيع ماذا يمكنهم ان يفعلوا اولئك الاغبياء .

واشار نحو المدينة ساخرا هببت من مكاني وقد ثار كل عصب في . كيف يمكن لهذا الانسان ان يتكلم هكذا وصرخت فيه من اعماقي :

ـ يا لك من خسيس ، قذر .

اقتربت منه ، امسكت به وانا اواصل الصراخ فيه :

ـ كيف تقول ذلك ، ، كيف تجرؤ على الاجهار برأيك ؟ أكنت تخدع الناس ، تنهبهم ، تقضي عليهم ، هؤلاء يقدسونك ويعتبرون حياتهم مرتبطة بك ..

قاطعني قائلا بأناة :

ـ كان عليهم ان ينبهوا ذلك ، من يدري لعل الرجل الذي التقيته لم يكن الحامي اصلا ولعلها اسطورة . من قال لهم بأن يتركوا حياتهم تقودها اسطورة ؟

اجبت بحنق :

ـ كان عليك ان تنبههم للواقع . ان توقظهم من الغيبوبة التي هم فيها .

ـ انبههم ؟ من سيصدقني ؟ لو فتحت فمي للحيت من الوجود بأسرع من غمضة العين ولماذا افعل ذلك ؟ هل انا بليد مثلك لافكر بذلك ؟

بلغ غضبي ذروته ، واشد ما اثار غيظي انه كان يدلني على ما كنت اخشاه من اهل هذه المدينة ازعجني انه كان يعرف نفس الحقيقة التي كانت روحي تحس بها وكان قوله كطعنة اهاجت روحي . ودون ان اشعر اسرعت اليه اردت ان امسكه بين يدي لامزقه اربا ، لا ادري كيف اندفع هاويا الجبل منجذبا بسرعة خارقة الى الهوة وهو يطلق صراخا وحشيا .

كان صراخه يعلو ويعلو ويتعاظم فوق الكون ، وكانت الاصداء تتجمع وتتركز في نقطة واحدة في اعمق نقطة من روحي وعقلي وقلبي وتضج وتصخب بتواصل مجنون ومرعب ، وفجأة وبضربة قاطعة صمت كل شيء الا ان الاصوات ظلت تموج في راسي . واحسست باني مقيد **لا استطيع الخروج من الدائرة الصغيرة التي وضعت** نفسي فيها ، ماذا فعلت ، ما الذي جرى . ولكن ماذا هذا الرعب والوجل ؟ من اي شيء انا خائف ؟ تذكرت كلامه مرة اخرى واشعلت النار اقواله من جديد في روحي حتى انني وددت لو انه حي لاقتله من جديد .

علي أن ادفنه ولكن الظلام في الهوة كثيف جدا ، لابد ان انتظر الفجر . واي فجر هو . تراجعت الى باب البناء جلست على الارض ولاول مرة احسست بالبرد يلذعني لملمت ثوبي علي اردت ان ادخل ، ولكن لا ، لا اسلم روحي لهذا البرد عله يطفيء قليلا من لهيبها .

توجهت الى المدينة وانا مثقل بالهموم اردت ان اتبين الخطأ والصواب في اعمالي فلم استطع . حدث كل شيء

بعجلة وبسرعة ودون قصد مني • ما الذي سوف يحدث ؟ وما الذي سيفعله اهل المدينة حاولت ان اقرأ تأثيرا مخالفا لما كانوا عليه سابقا • وقلت في نفسي ما هذا العبث ، انهم لا يشعرون هل اقف وسطهم واصرخ بالحقيقة ومن سيصدقني ؟ لابداني قد حفظت كلام الرجل فها انا اردد نفس اقواله ، هل اتركهم في جهلهم ولكن كيف استطيع ذلك وانا الذي كرهت حذرهم وغيبوبتهم ؟ هل احل انا محل الحامي القديم ؟ وما فائدتي ، هل اعمل ما عمله السابقون واعتبر المدينة ملكا لي اتصرف فيها بما اشاء • وهذا ما كانت روحي تنفر منه نفورا شديدا • وكان كل سؤال وجواب مطرقة تدق رأسي بقسوة وهنا تذكرت الحداد وحواري معه لو اني اذهب واقول له الان انكم مخدوعون • ليس لكم حام وانما مفترس يشرب من دمائكم وانا قتلته بيدي هاتين وهو مدفون هناك في أسفل الجبل قرب الاخر الذي سبقه ، وربما هناك غيرهما قطعا نفس الطريق ووصلا لنفس النهاية • وهنا افقت اكثر • هل اكون مثل من سبقني ، وصرخت روحي ، لا ، لا اريد ذلك• ان ذلك غير ممكن • لابد ان امر من هنا قبل ان تنطبق المصيدة علي ، لاهرب بعيدا فانا عاجز ، عاجز لا استطيع شيئا • اذن لاخرج من هذه المدينة الجهنمية غدا بعد شروق الشمس لانتظر امام الاسوار لادير ظهري دون رجعة لهذه المدينة الخائفة •

لابد ان استريح الان ، فلاذهب الى مأواي ها ان الشمس اشرفت على الغروب وحان وقت الرحيل فلاذهب واستريح قليلا في انتظار الغد • تمثلت روحي جالسا هناك في اعلى الجبل يغمرني الظلام وحيدا وبعيدا منفردا مع روحي والجبل والظلام • وادركت كم انا وحيد ، وأخذت اردد هذه الكلمة وكأنها موسى تجرح قلبي وحيد •• وحيد • كأني بذرة القت بها الرياح بعيدا عن موطنها • اردت ان افر من نفسي ولكن الى اين هذا السجن المتين الذي سلطت علي فيه سيوف العذاب والحيرة وحتى الهزء من نفسي والاحتقار لها • ومرة اخرى وجدت لابد ان اخرج من هذه المدينة ، وكأنما بهذا الهروب سأنفصل عن نفسي •

وصلت الى مسكني متعبا مرهقا ، جمعت مالي من حاجات وطويتها استعدادا لرحلة العودة ، تمددت على الارض واضعا رأسي على حزمتي ، مفكرا ، لو اني ذهبت وصارحت اهل المدينة بالحقيقة علهم يدركون وضعهم • ولكنهم لا شك سيقتلوني اذن ما العمل ؟ ليس فيما اخترته من مراجعة • لابد ان ارحل •

حينما تبدد الليل ولم يبق الا عتمة خفيفة حملت امتعتي وخرجت وقفت امام الباب وانا القي نظرة على ما حولي ثم الى المدينة النائمة ، لا تزال غارقة في نومها اللذيذ ، وبعد قليل ستهب وتصخب وتمور بالحياة والحركة شعرت وكأن روحي امتلأت بعبير غامض وحنو لكل شيء يغلف ذاتي وكياني الا اني وبقسوة شديدة ادرت ظهري عن المدينة متوجها الى الاسوار مسرعا كأني اخاف من شيء يتعقبني ويحاول ان يقف في طريقي • وسرت مطرقا رأسي الى الارض محاولا طرد أي فكرة عن ذهني • وشيئا فشيئا كان يتغلغل في صوت لم اتبينه كأنه نداء رقيق ومتلهف يدعوني للعودة • وتصورت مدينتي وكأني ابن عاق ركب رأسه واهواءه وتركها وحيدة متخاذلة تملأ الغصة والالم قلبها • ووجدت روحي تستجيب للنداء الحنون وصرخت بضراعة ، اريدك معي يا مدينتي الحبيبة ، فلا استطيع شيئا بدونك ، لا انفذ أي عمل ان كنت وحيدا ، فلا تتركيني وحيدا في قلب العاصفة وانما ضميني الى قلبك الرحب •

وقفت اخطف النظر للاسوار مرة وللانحاء المقابلة حيث المدينة مرة اخرى • لا ادري في أي اتجاه اخطو خطواتي القادمة • ثم وبدون تردد قفلت راجعا صوب المدينة •

١٩٧٢ سنة الكتاب الدولية

الأحساس بالمأساة لدى

الشاعر الايراني يعيش اليوم تجربة الحياة بكل ما فيها من زخم وتوتر وقلق ٠٠ ويعاني ، داخل التجربة، الحصار الروحي والنفسي الذي يفرض على الفرد الايراني من البيئة التي تحيط به ٠

وتنعكس ابعاد هذه التجربة ـ كما يعيها الشاعر ـ على القصيدة الايرانية المعاصرة باشكال وانماط مختلفة تقسم الشعراء المعاصرين في ايران الى فئات ان تختلف أحداها عن الاخرى فان كلا منها يعكس ـ عبر اجوائه وانفعالاته الخاصة ـ احساسه الموصوب بواقعه كفرد ايراني محاصر

الرهط الاول يمثل اتجاها فرديا يتجسد في ذهنية رومانسية تعبر عن التجربة والمعاناة بصرخات تجريدية تنطلق عبر قصائد تعكس قلق الشاعر وانفعالاته الذاتية٠

وفي هذا الرهط نمر باسماء شعراء من امثال نادر نادر پور ـ فريدون مشيري ـ فريدون توللى ـ حسن هنرمندي وسواهم ٠ ان هؤلاء يعبرون عن التجربة القاسية التي يعيشونها بقصائد غنائية تبتعد في ايماءاتها ٠٠ عن التجربة الاجتماعية المعاشة ويصورون المأساة داخل عالم ذاتي مغلق ٠٠ بلا ابعاد وهم في غنائياتهم هذه يبتعدون عن مسارات المجتمع وتفاعلاته ويظلون فيما يعبرون عنه ٠٠ مرتبطين بالذهنية الرومانسية وبالعالم المغلق الذي يمارسون داخله تجربتهم المكثفة المرة ٠

اما الرهط الثاني فيستجيب بانفعالية الى مسؤولياته الاجتماعية ويسعى ليحمل القصيدة الفارسية الحديثة ابعادا اجتماعية تعكس المعاناة والتجربة والحصار الروحي والنفسي المفروض اليوم على الفرد الايراني من الاجواء التي يعيش داخلها

هذا الرهط الذي يسهم ـ كالاخرين ـ في بناء القصيدة المتفتحة على جميع الافاق ٠٠ يعيش تجربة الحياة والعصر وواقع المجتمع الايراني بحساسية رهيفة ووعي متفتح ومعاناة حادة تجعله يتجاوز التقوقع الذهني الرومانسي والابعاد الذاتية الضيقة ليتحدث بجرأة عن مأساة الفرد الايراني الذي يعيش داخل سجن كبير والذي يقاد الى الموت والفناء ٠ بمختلف السبل والوسائل ويثار ضد اخيه ليفضي احدهما على الاخر كما سنرى ذلك في قصيدة (سجن من ورق) ويتحدث عن الغربة ويحلم من خلال القضبان التي يعيش خلفها ٠٠ بالحرية و لانعتاق كما سنرى ذلك في قصيدة (الغربة ٠٠) ويرى في الحياة الكبيرة قفصا صغيرا لا يقوى على الخروج منه كما سنرى ذلك في قصيدة (لو٠٠) ويرى الصمت والكابوس مخيمين على كل شيء في المجتمع الذي يعيش فيه كما سنرى ذلك في قصيدة (المحراب ٠٠)

وهناك ـ بعد ذلك ـ رهط ثالث من الشعراء الايرانيين ينظر من خلال واقعه المر المثقل الى الافاق الاكثر بعدا ٠٠ فيعبر عن عمق التجربة بتحسسه مأساة الانسان في كل بقعة من العالم فيهتز لما يجري في هذا الشرق ويتوجس مما يحيط به ويتعرض له ويدعو الى التمرد وتحطيم جدران الصمت التي تعيش خلفه بعض الشعوب (كما في قصيدة الشرق الصامت) ويقوم برحلة عبر هذا العالم المضطرب المتفجر لينقل مأساة الانسان في وادي الاردن وفي مدينة القدس وفي وادي ميكونك ويصور بوذا والمسبحة التي في يده تحولت حباتها الى رصاص (كما في قصيدة انسان الحادثات ٠٠)

والتجربة التي يعيشها الفدائي العربي فوق الارض السليبة تحرك في اعماق الشاعر الايراني احساسه المرهف الموصوب فتهز وقفة الفدائي وهو يعانق رشاشته

الشاعر الفارسي الحديث

احمد عبد الكريم

يريد ان يطهر ارض القدس من الدنس الذي لحق بها.. يؤلمه ان تمتد الى مقدسات الرجال .. يد اشباه الرجال من الصهاينة.ومن هذه الاهتزازت والانفعالات الوجدانية العميقة تجاه الفدائيين والعمل الفدائي تولـد قصيدة (الفدائيون العرب) للشاعر الايراني محمد علي سبانلو الذي ذاق بعد مرور اشهر قلائل على نشر هذه القصيدة .. طعم السجون الايرانية الرهيبة التي تنتظر كل من يحاول الوقوف الى جانب قضايا الحق والحرية والانعتاق ... في ايران .

وفيما يلي نماذج من التحسس الواعي لقدر الانسان في الشعر الايراني المعاصر

القصـــائد ..

سجن من ورق

وضعونا داخل سجن صنعت جدرانه من ورق
كانوا يدرون بأنا .. ابدا
لانقوى على الهرب ...
ثم قادونا الى حيث القبور
غير أنا كيف كنا يا ترى ..
.. نقدر ان نضع اعوادا للمشانق .. ؟
والصلبان المتآكلة التي تبعثرت بين القبور ..
لم تكن تكفي لصنع عش لقبرة
ثم قادونا الى النهر لكي ...
يلقوا بنا الى اعماقه
غير ان النهر كان مكتظا باجساد الضحايا ...
فلم يقو على ابتلا عنا

وبعد عناء .. تمكنوا من خداعنا
قالوا لنا ....
من يقتل اخاً له .. سيطلق سراحه
فكان ان لم يبق منا احد .. على قيد الحياة ..
وكان موتنا الجماعي ..
موصوما بجرم .. جديد

(ع . ألف . پر وزار)

غربة :

تريث عند القضبان .. وذرني
اذّق في قفزاتك .. طلاوة الحرية
اجلس .. وابكني بدموع عينيك
وبددْ وحشة القضبان .. في اعماقي
هل يا ترى نبتت عند اقدام القصور .. أزاهر ..؟
أما زال في حد يقتنا اخضرار .. ؟
ام ترى اصاب بنفسجنا الذبول ..؟

....

اجلس بجانب القضبان .. وتبَسّمْ
حدثني عن الفراخ .. عن لهوها مع القطط
وكيف ترى نضبت من الحوض المياه .. ؟
كيف شيعت القطط الاسماك .. بدموع التماسيح
وبريق نظراتي .. أما زال ملتمعا في باحة الدار..؟
واهاً ايها الطائر .. يا رائد الحرية ..
حلقْ يا اعظم من يحلق
وأرني .. طلاوة الحرية ..

(علي رضا نوري ازده)

لو ...

قلت لو بنيت ريشي
لتمكنت من التحليق فوق السهول النائية
.. لجعلت ظلي يمتد الى كل مكان ..
.. لحومت على قمم الجبال .. كالعقبان
ونما ريشي .. ولكنْ ...
.. لم اجد افقا لتحليقي
.. غير القفص

— ★ —

قلت لو افتح للنطقِ فمي ..
.. لتحدثت حديثا يسكر الآذانا
.. لأطلقت صراخا يدوى كدقات الطبول
.. لغنيت مثل الناي من اعماقي .. واحسنت الغناء

وعندما فتحت للنطق فمي
كان غنائي انفاساً تتلهث

وانزويت في ركن موحش من القفص
وذرفت الدمع في صمت كئيب ..
والهم يعصرني .. لأنني لا اعرف
ما الذي يبقيني في هذا القفص
... وعَم تراني ابحث ...

(محمد زهرى)

المحراب

. مضى من الليل هزيع
.. والنوم لم يزل يجفو غرفتي
وعيناي المرهقتان .. المصوبتان نحو النافذة
.. يطل منهما ..
.. سهر عنيد
ووسط غابة من الهواجس المقرورة
.. اغصانها يأس ..
.. ثمارها ألم ..
اهرعْ .. اهرب .. اصرخ ..
.. لعلي اقوى على النجاة .. من نفسي

— ★ —

اركض .. والخوف معي يركض ..
ومارد في أثري
واهرع .. واليأس يسخر بي ...
وصدى ضحكاته تجعلني كطائر جريح ..
ليس في مقدوره التحليق في الافق
واهرب .. والآلام تستفحل
وصريرها يحيلني الى تمثال من الصخر ...
... لا يقوى على الهرب .
واصرخ لكن يد العبث
.. الى فمي تمتد .. فتقفله
.. واظل مقرورا .. بلا نفس

★

ووسط غابة من الهواجس الباردة
تجرفني دوامة الاضطراب
واليأس يفريني ..
ويزداد التصاقي .. بالقلق

...

والصمت كالكابوس مخيم
.. على كل شيء .. اينما كانا ..
واعماق الصدور في السلاسل ترسف
وكل ما في الوجود
.. يغط في صمت عميق
.. والانين من وطأة الصمت موصوبومبتسر

...

والخوف يبدو .. كأنه .
.. التهم كل المسافات والفواصل
والرعب .. يطلق اسنان الظلام ..
لتقضم .. في لحظةٍ .. كل الكائنات

(محمود كيانوش)

الشرق الصامت

الشرق العظيم ..
.. بوجهه المتجهم .. المتألم
.. بجسمه الذي غدا ..
.. من طعنات آلاف الخناجر داميا
منتصبا في دروب الفجر
وبوذا
في معبـــده

يجلس وحيدا
مكتئبـــا
في يده سبحة من رصاص
و ....
بهـــا يستخير
وانا اهتف صارخا
.. ايها الشرق .. انت يا صابر
.. حطم صمتك الغـــالي
وقل للاخرين
.. ان يتركوننا وشأننا
غير اني لا اسمع ..
سوى اصداء صوتي .. صوتا آخر
... وثمـة ..
مئات آلاف من الاجداث .. تجيف

(غلام حسين سالمي)

★

انسان الحادثات

مثل الطيور النازحة
.. رحلت من افق الى افق

★

حلقت نحو الشرق
نحو وادي الاردن المنافح
.. والفدائيون البواسل
بروح اشد صلابة من الاهرام
وباوجه
.. مثل نحاس ملتهب
وتحت وابل من الرصاص المنهمر
يقاسمونني
.. كسرة من خبز الشعير

★

وعند ذاك .. انطلقت
.. لاشرب ماء النيل
.. براحتي يديّ

– ★ –

وفي مدينة القدس .. المقدسة
.. كنت وحيدا وجدار المبكى
.. وادمعي تنهار مدرارا
وفوق اسطح مدينة الجليل
.. رأيت مسيح الله بعلقه اليهودُ
.. مرة اخرى .. بمسمار الصليب

– ★ –

وعلى حصن خيبر القديم
على بساتين كشمير الساحرة
على نهر الكنج وبنارس
على جاوة الحزينة ... مررت
ولاحت لعيني ميكونگ
مفروشة بالجثث والدماء
وعندما صافحت عيناى
.. بوذا الصابر
عليه بزة قديمة .. عسكرية
في يده قبضة البندقية
.. وفي زقاق الحادثات .. يحارب

– ★ –

عندما كانت السماء
.. تمطر بارودا وكوارث
والنوم في مزارع الرز
.. من سعير النار والنابالم .. يضطرب
والغابات من فزع موصوب .. ترتعد
.. كنت انا
واخوتي الفيتكونغ
نقوم بالحراسة
في هواى
.....
.....
.....
.....
وهاانــــذا ...
انسان كل الحادثات
انسان كل الكارثات
اعود من الشرق .. واجلس هاهنا ..
في انتظار المعجزات

(غلام حسين سالمي)

الفدائيون العرب

الفدائيون العرب يحملون الى الليل .. شعلة النار
الفدائيون العرب يتطلعون عبر النهر المتجهم .. الى القمر
وتحت الشعاع الذى ينساب في ليلة التم
.. والفجر يوشك ان يطلا
.. والقيامة تقوم فوق ضفاف البحر الميت
تراهم يعانقون النار ..

– ★ –

الفدائيون العرب يهدون كنوز الصبر – التي
غنموها منذ ايام الجهاد الأول –
للدم والنار والسجون
.. للتراب والاشواك والمطر
وما زالوا يصولون في البراري .. أبطالا

– ★ –

الفدائيون العرب يطلون من كوة الصباح
يهدون للرياح ..
.. رمادا فضيا .. من بقايا عظام
.. طحنتها معارك الصباح

– ★ –

زهرة الاحزان – من فوق كثبان الرمال –
تمعن الطرف في المقاييس التي مسخت
.. في مقدسات الرجال وقد غدت في يد اشباه الرجال
في براءة الجلاد من سفك الدماء

في التهام لحوم الضحايا بملاعق من فضة
في جدار المبكى الذى لوثته دموع التماسيح

– ★ –

اخوتنا المجاهدون
.. يرفضون مدنيَّةَ الدولار
– جواز المرور في هذه الايام –
.. الفدائيون العرب .. اجل
انهم فوق رمال الصحارى –
على ضفاف النهر المتجهم –
في متاهات الدروب ..
ومن اجل العقيدة السمحاء .. يتساقطون فـــوق التراب
.. بل ومن اجل الحقيقة المطوية التي تقول :
الارض من الانسان
والانسان من تراب ..

(محمد علي سبانلو)

الحب

مصطفى عبد الله

أرى شجرا ،
وعش حمام ، وظل يدين .
أرى قمرا وأميرا .
جيادا محملة بالجداول ،
وحورا تمطان في برك العسل .
أرى وطنا بوشم العصافير فيه .
وتفاحـة ،
معلقة فوق هدب الحدود .
وبردا سلاما ، ودفئا ، وحضنا
وأما ، وعينين حارستين .
أرى جبلا ،
نملـة ،
مكحلة ، والرموش حشيشا ومد .
أرى من يغني ، قديما جديدا ،
وقلبا أتى ، وسيأتي .

●

استطعت :

أمامي حبيبي هلال
التفت :
وكان بلادي ...
التفت :
ألا يا حبيبي تعال .

●

أرى دقتين على الباب أو دمعتين ،
وكلبـا ،
وكرسيه باردا ،
وكانت برمشين ،
على كل رمش بلاد .
أرى بردها فوق كرسيه ملكا .
أرى الدقتين بيوتا تخاف .

●

بدأت وقنطرتي في البدايه ،
كانت صغيره !

ندوات ومقابلات

لقاء مع إسماعيل فهد إسماعيل

اعداد : محمد الجزائري

في الكويت اجيزت « كانت السماء زرقاء » رواية اسماعيل فهد اسماعيل (مواليد العراق ١٩٤٠)، وحين صدرت روايته الثانية « المستنقعات الضوئية » منعتها الرقابة ، وصادرت نسخها ، ثم عادت فمنعت الرواية الاولى .. وكان الروائي الشاب ، قد أصدر مجموعة قصص قصيرة عام ١٩٦٥ في بغداد بعنوان « البقعة الداكنة » ، وعن دار العودة ستصدر له « الحبل » روايته الثالثة ، ثم « الضفاف الاخرى » لتكتمل رباعية هذا الكاتب الذي ظل العراق ، ملح زاده ، ونهار عينيه ، في حله وترحاله .. والذي تنمو عبر شخصيته ، خصوصيات الانسان المحب لوطنه والذي يمتلك اختزالا لمعادلاته الصعبة . وحين يضحك من الاشياء فهو يضحك بعمق « المهرج » وبفلسفيته ، وفطريته ، وحين يبكي ، لا ادري كيف تساقط احزانه ، .. لكن الانسان الذي فيه ، يتحدث دائما بعينين خضراوين ، ويحس ينتفض الصدق ، ويتعانق حد الاندماج بالدور .

أجرينا معه هذه المحاورة النقدية لعلها تضيء جانبا من تجربة هذا الكاتب الذي تحدثت الصحافة الادبية غير قليل عن أعماله ، وبخاصة روايته الاولى .

● **نحن نعرف ابعاد اللعبة في مشروعك الروائي – ضم الاعمال الاربعة بعد طبعها مستقلة في كتاب واحد – كيف تتجاوز حلقات السلسلة لتقف ومعك القيد الكامل ، الذي يؤطر السنوات العشر من « السماء الزرقاء » التي (كانت) حتى الركون على « الضفاف الاخرى » ؟**

سألناه ، ونحن نتقاسم الخبز والحقيقة ، والضحك المشترك على تهريجية العالم الملغوم بالمفرقات الكاذبة .

فأجاب :

● في الواقع ان هذا العمل الرباعي لا يعدو كونه عملا روائيا واحدا ، يتكون من اربع روايات قصيرة يجمعها وحده الزمان والمكان ، والخط البياني التصاعدي الذي يرصد فترة ما بين سنتي ٦٠ و ٧٠ رغم اختلاف الشرائح الانسانية المتناولة ضمن هذه الاعمال ، واختلاف الاحداث ايضا .

وانا حين أتحدث عن هذه الفترة الزمنية الحرجة التي تمخضت عن احداث وتطورات استطيع ان اقول أنها (رهيبة) نظرا لقصرها من حيث عدد السنين ، واحتوائها على العدد الهائل من الاحداث والتطورات والتغيرات السريعة ، وبرأيي ان هذه الفترة من عمرنا السياسي تساوي أضعاف أضعاف عمرنا الزمني ولهذا السبب بالذات ارى ان محاولة رصد مثل هذه الفترة، رغم قصرها، ليست من السهولة بمكان ، اماعن عملي وسط هذا الزخم وهذا الخضم فلا يعدو كونه محاولة للمشاركة فقط ، لكن سؤالك هذا يضعني امام امر واقع ومحاولة للتفسير والاجابة عن الحلقة الراصدة بين «السماء الزرقاء» وحتى « الضفاف الاخرى » .

● **كيف .. آمل ان تفسر لنا ذلك ؟**

ـ حاولت أن ارصد خطا بيانيا لتطور قطاع معين من « البورجوازية الصغيرة » عبر تفاعلها مع الاحداث خلال هذه الفترة الزمنية ، اذ انني حاولت رصد التمرد والرفض العبثي في « كانت السماء زرقاء » وبعدها

« الوجودية المتصوفة » في (المستنقعات الضوئيـة) عبورا الى التطرف اليساري في رواية « الحبل » وانتهاء بالالتزام السياسي في رواية « الضفاف الاخرى » ٠

وانا في رصدي هذا لا ارمي الى رسم خط سياسي متزن ومتسلسل تماما كما على الواقع بالقـدر الذي حاولت فيه ان اعبر عن فهمي لهذا (البرجوازي الصغير) الذي ما كان واعيا ولا عارفا للارض التي يقف عليهـا قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ٠

فالانسان الذي كان ملتزما او واعيا سـيبقى – حتما – بعيدا الى حد ما وأحيانا الى حد كبير جدا ، عن المرور في هذه التصورات ٠

والذي اعنيه بالضبط هو – المثقف البوجوازي الصغير المتفرج – الذي انفعل بالاحداث دون ان يشارك فيها مشاركة فعالة واعية بادىء الامر ، وليس في وسطه او نهايته ٠٠

● – في محالة الدخول الى عالم الاخرين ، ماذا تتمنى ان تحقق تجاوزا للضفاف ، ٠٠ التوغل في زمن المستقبل ام استذكار الطفولة واحداث ما قبل ١٩٥٨ ؟

– « التمني شيء والعمل شيء آخر ، وبالنسبة لي فكل ما سبق وكتب (مني) لا يستطيع ان يقدم لي ولو بعض رضى ٠ ولعل السبب يكمن في كوني احس انني لم انجح الى الحد المطلوب ، فكل ما سبق وكتبت لا يعدو كونه محاولة ، ومن كان يعيش المحاولات لا يسـتطيع تصور ما سيحدث ، فانا لا زلت بسـبيل البحث عن عن الاداة الفنية التي تؤهلني لرصد العصر الذي اعيشه والرصد هنا لا يعني (التصوير الفوتوغرافي) بالقدر الذي يعني المشاركة في تغيير هذا الواقـع مـن هـذا استنتج مع نفسي ولنفسي بانني لا زلت بحاجة الى ثقافة اجتماعية ودربة وثقافة فنيه أكثر » ٠

● – ويظل هذا الحصار يؤخرنا ، يظـل هـذا العسف الحواري – النقدي يدفعنا الى الداخل ، الى تحسس « خشونة » شغاف القلب ، حين ينبض بالخوف من الابيض وتضاده اللوني ٠

وأمام هذا التوهج اللوني ، أزاء الذات المتواضعة ، أحدق في الكلمات ، كلمات الروائي الذي كتب عن الذات عبر تشبثها بوجودية ارضية ، تصاعدت فيها انفـاس الصرائف والشطوط والبصرةالقديمة وابي الخصيب ، الوطن أرضا ورجالا واغنيات ، حتى دفعته الى اكتشاف ان المسار الحتمي هو هدف البحار رغم ان الاشرعة لم تعد قوية النسيج ٠٠

من هنا كان لا بد ان نخرج من دائرة الحصار الى الانفتاح الاكثر خصبا ٠

تساءلنا :

– القراءات تشكل « المعلم » الى جانب كونهـا تفعل فعل السجان والداعية الثـوري ٠ ٠ الى اي حد تستطيع اختيار كتابك المغذي مـن رفـوف المكتبات ؟

– من حسن حظي انك طرحت مشكلتي الخاصـة قبل توجيه هذا السؤال ، اذ أني عانيت الكثير ولا زلت من قراءاتي ، لان الفترة الزمنية التي امتـدت ما بين ١٩٥٠ – ١٩٦٥ كنت خلالها اقرأ دونما توجيه خـارجي ذاتي مما ادى الى سقوطي في الاجواء العبثية والوجـودية والتي لا زالت تمارس ضغوطها على اسلوبي حتى الان ٠ لكنني وبعد ان امتلكت البعض من الوعي بدأت وبمساعدة اصدقائي – بتوجيه قراءاتي ، عبر ما يفيدني من ثقافة علمية وفنية ، وعليه وبعد خبرة دامت سبع سـنوات (٦٥ – ٧٢) استطيع ان اقول : انا الان قارىءجيد وهذا ما يبررني امام ذاتي ككاتب غير جيد !

اما عن اختياري للكتاب ، فأما اعتمد فيه مـدى طليعيته واحتوائه على التحليل العلمي الى جانب قراءاتي للتراث والاقتصاد بصورة خاصة ٠

● – انا اطمح للقارىء الواعي ، وليس القارىء الجيد فقط ، ومعنى ان العين تمتلك حسـها النقدي ، وتعزز ،، بمساعدة العملية الذهنية ، القيم المقروءة ٠٠ فالى اي مدى تحقق لعينيك حسها النقدي عبر القراءة ؟

– بالنسبة لقراءاتي ، فانا نادرا أقرأ الكتاب مرتين وعادة اقرأ الكتاب مرة واحدة ، ولكن ببطء شديد (قراءة نقدية) بالاضافة الى مناقشة ذهنيه واسـترجاعات ومناقشات ، وتوقف قد يطول أمام الاكتشافات الجديدة وهذا ما حدث لي لدى قراءتي لنجيب محفوظ اذ انني عبر هذه القراءة استطعت ان اخرج بمنهج فلسـفي ، وكذلك تجربتي القرائية مع غسان كنفاني وعبد الوهاب البياتي ودستوييفسكي وصلاح عبدالصبور ويوسـف ادريس ، فانا عندما اقرأ لفلان فذلـك يعني انني استحضر هذا الفلان عندي وبكل ابعاده في ذهني ، ومن هنا تأتي منهجة الاستنتاجات القرائية ، ومن السخف ان انكر بان الكثير من القراءات استوقفتني ، اذ انني غالبا ما اكتشف نفسي اثناء قراءاتي ، فاطبق الكتاب من اجل ان اكتب ، كذلك اود ان اقول بان قراءاتي لفلان تعني ايضا مقارنتي لفلان (اخر) او « آخرين » تأثروا به او اثروا فيه ٠٠

● – في الرواية العربية الحديثة اضاءات انارت خطك الفني ، فهل تداخلت بعض تأثيرات نماذج معينة في صلب ثقافتك واسلوب طرحك ومن تقيم من الروائيين العرب ؟

– بالنسبة للخط الفني الذي انتهجته فاعتقد بانه ليس جديدا على الادب سواء منه العربي او العالمي ٠

فاستعمال الحرف البارز محاولة للتوصيل ، والتداعي محاولة اخرى لكشف ابعاد البطل والاحداث ، ٠٠ أما بالنسبة لي فالذي دفعني الى انتهاج هذا الخــط هو محاولة كتابة الرواية التي بلا راويه • او بمعنى اخر محاولة تقديم العمل الذي يشارك فيه القارىء فيتفاعل وينفعل دون توجيه مباشر من الكاتب (الراويــة) وبتلخيص اخير محاولة توفير (القراءة – والاكتشاف) •

وهذه الحاجة وحدها هي التي دفعتني للبحث عن اسلوب مناسب ، واخيرا انتهاج هذا الخط ،

أما عن الرواية التي اضاءت ، فالحقيقة ان كتاباتي هي حصيلة مجمل ثقافتي وجميع تأثراتي ، وعن السبق في هذا المجال هناك : نجيب محفوظ ويوســف ادريس وعبد الرحمن الشرقاوي وغسان كنفاني وغائب طعمة فرمان وكاتب ياسين ومالك حداد وفؤاد التكرلي •

● – « ليت للبترول عينا » مجموعة شعرية ، لم تر النور لحد الان ، ماذا تكشف في الشعر من علاقة في اعمالك القصصية والروائية ؟

– الشعر كان عندي طموحا في غير محله ، ومن خلال قصائد قليلة كتبتها ونشرتها في الصحف المحلية املت بالمشاركة في كشف الواقع والاسهام في تغييره ، لكني في النهاية اكتشفت عقم وسيلتي هذه ، اذ انهــا كانت مليئة بالمباشرة والسطحية • هــذا فيما يخص « ليت للبترول عينا » ، اما فيما يخص الشعر فانا اقرأ الشعر اكثر من قراءتي للقصــة او الــرواية ، وذلك نتيجة قناعتي بان الشعر هو افضل اشــكال الادب القرائيــة (واقــول القرائيــة لان المسرح هو اقوى اشكال الادب تأثيرا) من ناحية الوصول الى المتلقي لانه يخاطب الوجدان اولا •

أما عن تأثيره على اسلوبي ، فانا لا آمل – منــذ اكتشافي لنفسي شعريا – ان اكتب الشعر ، لــكني آمل ان يمتد تأثير قراءاتي الشعرية على لغتي الى حــد ولو قليل ، كي استطيع ان اوصل ما في ذهني بشــكل أســهل •

● – السياسة والحب ، ونقل التجربة الذاتيــة عبر تزاوجها مع التجربة الجماعية ، محاور مهمــة في نتاجك الروائي والقصصي ٠٠ هل يغتني هذا التزاوج عبر المسائل الحسية وحدها ، ام عبر التخيل والحلم أيضا ؟

– سؤال لذيذ كنت اود ان اطرحه على نفسي ٠ ٠ السياسة والحب قبل كل شيء اود ان اثبت ان الحب هنا ليس رمزا ، وانما هو وسيلة للتعاطف مع نفسي ، محاولة تقديم رشوة لكسب تعاطف القارىء واستمراره في القراءة ، لعلي حققت القليل ممــا اهــدف اليــه ، لكن ذلك لا ينفي ان افتقاري الى الاداة الفنية المجديــة والبديلة المثلى هو السبب الاول والحقيقي في هــذه المزاوجة ، اما عن السياسة فأظن ان الغــايـة تبرر الوسيلة » !

واخيرا فالحلم والتخيل موجودان عبر تطــويـر الحدث •

● – واخير ٠٠ اذا امسكت بيدك مبضعا وشرحت رواياتك واستطعت ان تخلص ابطالك من سلبياتهم فما هو حجم العملية الجراحية التي تقوم بها ازاء الازدواجية عنــدهم ؟

– بالنسبة الى ابطالي فانا اجهد قدر الامــكان لاختيارهم من بين الناس ، ومسألة المبضع غير ممكنة ما دام الواقع فاعلا اما عن الازدواجية فهي برأيي نتيجــة طبيعية للفرق الشاسع ما بين التكوين الذهني والممارسة السلوكية عند الكثير من الافراد وهذه مسألة طبيعية في المجتمعات الطبقية •

● – والسفر والتجربة ؟

– اضافة •

خمسة ملايين كيلو متر

كانت الشمس حارة ، تلدغه في صدره ، وذراعيه ، وفخذيه ، وكان ينظر الى صديقه باستغراب ، ويحدثه بيديه ، ورجليه ، وبكلمات مقتضبة يمسح العرق ، عمره ست سنوات

- لا يوجد شيء في جيوبي
- اوف
- مهترئة جيوبي
- اوف
- الا اكسب شيئا
- اوف
- لقد ضيعت ثمن الملح
- اوف
- بماذا سأشترى الملح لابي
- اوف
- سيضربني
- اوف
- ارأيت
- اوف
- ابي يلدغني باخفافه كالقطة
- اوف
- يستعمل سوطا خاصا لمعاقبتي
- اوف
- ابي يكاد يكون بشعا
- اوف
- انا ارتعش
- اوف
- لماذا يريد مني ان اشترى الملح ؟
- اوف
- الملح ‥ الملح
- اوف
- وهو يعلم ان جيوبي مقطعة
- اوف

يستغرق في البكاء يمسح العرق بكمه ، يحرك فخذيه بعصبية من فعل الحرارة ‥ وتظل الشمس مشتعلة ، ويستمر في البكاء ، ويستمر صاحبه في ترديد صوت واحد .

الشمس تحجبها الريح ‥ اوراق كثيرة يجرفها العاصف ، تصل الى قدميه يطأها ، يتريث قليلا فوق كل ورقة ، يستمع الى خشخشتها يتلذذ لاصواتها بكآبة . عمره عشر سنوات يحدث صديقه

- الحرب
- اوف
- نحن في زمن الحرب
- اوف
- ابي يشمر ساعديه ، ويقول سنربح الحرب
- اوف
- يعطي الاوامر لاصدقائه ، ويتكلم كثيرا
- اوف
- الحرب
- اصوات القنابل ،والطلقات ، واخبارالموتى ،اوف

O ⊙ O

- اخبار اليوم
- اوف
- سنربح الحرب
- اوف

الرنك في قلبي

عبدالقادر بن الحاج نصر

ـ لا نملك بندقية واحدة ، لم يشتر بندقيـــة ولا رصاصة ، والحرب الحرب الطلقات ، يتحدث كالمذياع

ـ اوف

ـ الجنود يأتون الى منزلنا

ـ اوف

ـ احذيتهم غليظة

ـ اوف

ـ أستطيع ان انام في فردة حذاء احدهم

ـ اوف

ـ ابي يتحدث عن الاحذية ، ولباس الكــاكي ، والابطال ، والنعاج والخرفان والبرد والكهوف وهـــــو مستلق في الدفة ٠

ـ اوف

ـ هددني بارسالي مع العصابات

ـ اوف

ـ ابي والحرب مسكين يجب ان نعرف ، ابي وفراش ساخن ابي والمذياع ، والانتظار اخاله يكذب يخيل لي لا ادرى

ـ اوف

ـ وتتصارع دوارات الريح في الفضاء ويكتسح الغبار المنظر ويختفيان ، ارجلهما تدوس التراب والاوراق اليابسة والكآبة وتحتجب الشمس ٠

في مكان امين اربعة جدران قطرات مطر تنـــزل غليظة باردة على التراب ، يمدان ايديهما من ثقوب الجدران ويتحسسون الجو عمره ست عشر سنة

ـ الوجوه المدفونة بالوقت

ـ اوف

ـ الاقنعة

ـ اوف

ـ دار العجائب

ـ اوف

ـ لا اصدق قناعا

ـ اوف

ـ سيشترى لها اشياء كثيرة

ـ اوف

ـ يقـــول لي انتظر تـــرقب يجب ان نترقب ٠ السنوات كالحة ليست لدينا فلوس زمن التقشف وهـــو ينام في فراش دافىء لان اعصابه متوترة ٠

ـ اوف

ـ يقول لنا اشار عليه الطبيب بالتحمم

ـ اوف

ـ ونحن نترقب

ـ اوف

ـ سنوات الخير

ـ اوف

ـ انت ٠٠ لا يهم جيوبي مقطعة ، يهددني بالسجن

ـ اوف

ـ لقد طلبت منه ان يســـمع لي

ـ اوف

ـ يهددني بالسجن

ـ اوف

وتتقطر السماء٠ تعتصر٠ يأكلها المخاض٠ تلد قطرات أكبر من اللازم تنذر بالفيضان ٠ ينزع يـــده من الثقب ويجلس على ركبتيه ويأخذ في ترديد النشيد الوطني للبلده٠ ثم يخنقه البكاء يشهق وتشهق السماء ويتنهد الاخـــر (اوف)

على رصيف متاكل يتحركان الرصيف محـــروق بالشمس ، والريح • عيونهما محفاة بالسواد احدهما يرتدي (شورط) قطعا ، يكشف عن عورته والاخر يرتدي سروالا باليا عمره عشرون سنة ••

ـ انهم هنا
ـ اوف
ـ ينظرون الينا
ـ اوف
ـ سيضحكون
ـ اوف
ـ ابي ايضا عندما يكون في خلوته يضحك منا
ـ اوف
ـ ابي عليه ملامح البورجوازيين • مسكين •
ـ اوف
ـ اتريد ان اخيفهم •
ـ اوف
ـ عندما امر أمامهم
ـ اوف
ـ سأنزع (الشورط) •• وامشي عاريا
ـ اوف
ـ سأريهم عورتي
ـ اوف
ـ انهم سعداء
ـ اوف
ـ اسعد من اللازم
ـ اوف
ـ سأخيفهم
ـ اوف
ـ بعد قليل سنصل امامهم
ـ اوف
ـ وسأنزع الشورط
ـ اوف

ينظرون اليه ، يضحكون منه •• ثم يصمتون •• يحجبون عيونهم بايديهم • يقولون في صوت واحد • انه فوضوي ، يمر أمامهم ، يرمي (الشورط) وسطهم ، ثم نواصل السـيـر ، وعندما يختفي وراء انحناءة النهـج يقهقه • ثم يجلس عاريا وياخذ في النشيج ، ثم يتلو في صوت متهدج النشيد الوطني

●

عمره ست وعشرون سنة ، شـعره ابيض ، يداه مخذولتان يتنقل ببطء •• يستند على كتف صاحبه •

ـ لقد كذبوا علينا
ـ اوف
ـ الاختصاصيون
ـ اوف
ـ المرتزقة
ـ اوف
ـ احس بالرجفة
ـ اوف
ـ أريد ان اتقيأ
ـ اوف
ـ اريد ان اتقيأ عليهم
ـ اوف
ـ لنقف قليلا
ـ اوف
ـ لا استطيع المشي وراءهم
ـ اوف

يجبره على الوقوف ، يتقيأ مرات متتالية •• يضع يده على بطنه يعصرها ، ينظر الى السـماء • تتحرك فكاه في عصبية ، في حركة مجانية مرات متتالية ، ثم يبصق • يتقدم يقف ، يرتفع صوته بالنشـيد الوطني ، يجبر صاحبه على الجلوس ، يجبره على البكاء ويجبره على التقيؤ ، يجبره على الخوف •• ولكنه لا ينتزع منه اية كلمة ويبزغ فجر •• وتطلع شمس •• ويأتي ليل ويلعب الاطفال ويتحدث الاختصاصيون عن حركة الكون ، التقشف ، والوضع والواقع •

ـ تونس ـ

في العدد القادم :

- توماس مان يتحدث عن تشيخوف •
- **عالم سوفييتي يكتب عن ملحمة جلجامش**

العربات

ياسين طه حافظ

ال ع ر با ت ال سبع

تمشي ،
تتعقب وجهي
مثقلة بالنفط وبالقهوة والسكراب وبالصمون
واوراق الدائرة المنقولة والبشر الملفوفين بأكياس ٠

ال ع ر با ت ال سبع

تأخذ وجهي حين تمر من الباب
السبت السبت السبت السبت السبت
وتلقي وجهي في العودة عند الباب ٠
أتنقل معصوب العينين مليئا بالاحجار ورجات التيارات
يتدحرج وجهي فوق العجلات وبين كراسي الدائرة الجهمة
والسوق ودفع أجور الماء ومكتب بيع الغاز تدفعني
الابواق ورائحة البنزين وتصدمني الصرخات ٠
أنزل من احدى عربات الاسبوع
أقعد منهوكا عند اليوم ـ الينبوع
أغسل وجهي ، أتذوق طعم النسمه
والزهر الابيض والوجه النعمه
فيجيء الجوع
يمد الي خناجره السبعه
فأقبل وجه الجمعـــــه
وأفارقها ٠
أحمل في كفي سلاسل يوم السبت
وأعود
السبت السبت السبت السبت السبت
تجوب بـــي

ال ع ر با ت ال سبع

النفط على وجهي ، الاكزوس الوحشي
ينهش من رئتي شرائح ، والقلب المرمـــي
على سلم مدخنة تتناوشه النار وديدان الخوف
تتبادله صيحات الرجل الاخر والرقم الساقط
والاسم الحذف
أمس الجمعة ـ كازينو المنشورة أسماؤهم للقتل ـ
سجلت اسمي ونويت :
أن أنسف خط السكه
وافجر احدى العربات السبع
وأغير سير الزمن المتدحرج ألغي وجه الزمن
البشع
لكني استيقظت اليوم على وجهي
جص الحائط والحبر وأوساخ المعمل والزيت
وانـــا
في احـــدى

ال ع ر با ت ال سبع

كيسا من فحـــم
يلقى بعد قليل في احدى الساحات ٠

الشهادة

راضي مهدي السعيد

مثلما تولد الاغنيات الحزينه°
مثلما يشهق الماء في اعين الرمل حين تضلُ السفينه°
مثلما تلتقي راحتان على ربوة سكنتها الدموع°
أنت قد جئت من عالم كل ساحات دنياه ظماى
لصدى أغلقت بابه ظلمات السنين التي قد بكتها الدموع°
وخطى لم تزل راسمات مواعيدها في مدارات ليل المدينه°
وسواقي البحار المذيبة أشواقها في رماد القلوع°
حين تنأى المسافات عن شاطىء ينأى ينأى
زمن راحل عن مصباته وجراحات ابنائه في المآقي سجينه° •
مثلما تنحني هامة عانقتها النجوم المضوأة الاشرعه°
أنت في صوتك المسترق احتميت احتماء الشريد بظل السكينه°
أنت يا حاملا سرك المختبي بين جدرانك الاربعه
ما بلغت الذرى في نداءاتك المستكينه
صرت لا شيء في هذه الارض من بعد أن كنت شيئا •

★

مرّة قالت الشمس هاتفة للرياح : احمليني جناحا طليقا
على منكبيكِ
لأرى كيف تسرقينَ شعاعي وتلقينه في المداخن°
وأنا ـ مثلما تعلمين ـ الدم المتفجر في صهوات الجراح°
الكوامن
والبريق الذي يطفيء الليل من مقلتيك •
فأنزوت في القفار الرياح الهجينة واستسلمت للعراء°
ونمت في الصخور الظماء عيونا سواكن°
فبكت غربة وشكت عريها للسماء
أيها المرتمي زهرة فوق ثلج الشتاء
ان في قلبك البستباح الربيع المذوّب عطرا وشوقا لكل
المدائن

أنتَ لست الوحيد الذي قد تمزّق منه الرداء°
ومشى رافعا كفه بين كل حشود الرهائن
ما غفت مقلة للضحى في مغاني الضياء
أو خبت شعلة للنجوم التي عرّست في بحار قناديلها
التمعت في المآذن

★

وطأت أرضك الخيل حتى ارتميت°
وارتديت التراب قناعا لتهرب من ساحة البشر الانبياء
كيف لم تنتحر حين قلت : انتهيت
هذه لحظة للشهادة كانت طريقا طويلا يموت بها الانطفاء
آه من جبهة سقطت قبل ان تستشف النداء !
ربما لم تكن عارفا انت من أي قاع نبعت ومن أي واد
أتيت •
وطنا كانت الارض للحاملين الجراح°
قبل ان يولد الموت او تتحنى السيوف دما من ضلوع
السبايا
ليت كل العيون التي أطفأتها الرياح
تلتقي ها هنا أنهرا من شموس لتغسل ما نام بين الحنايا

●

جعتَ • والزاد في يديك
نمت • والشمس اومأت ـ حينما اشرقت ـ اليك
أنت يا من حنا عليك
وتر يشرب الصدى عالما فاض سحره من صباحات
شاطئيك •

منقار من حديد

سعدون العبيدي

الشخصيات :

الام ٠٠ في السادسة والعشرين من العمر

ملاحظـــة :

١ ـ لا يبدو من الطفلة اي شيء ، كذلك الحال بالنسبة الى (صديقة) التي يسمع صوتها فقط ٠

الام (تمشط شعرها الطويل)

الابنة (نائمة) ٠٠٠٠ لا يبـــدو اي شيء منهـا للمتفرج ٠

الام (الى ابنتها) ساخيط لك ثوبا جديدا يـــا عزيزتي ، ساشتري لك قطعة من الحلوى وغطاء يمنــع عن صدرك البرد ٠٠٠٠ العيد قادم ، والشتاء على الابواب بل نحن فيه ، نامي يا ملاكي ، ساقص شعري بعـــد اسبوع بل بعد ستة ايام ، غدا سأطرق أكثر من بـاب باحثة عن رزق ، ساغسل اواني وصحون بعض البيوت ، يحسبون انهم يتكرمون علي بخمسة دراهم او سـتة ، هذه النقود القليلة هي نتيجة جهدي يا صغيرتي ٠٠٠٠ انها لا تكفي لشراء طعامنا ٠٠ اريد ان اجعل منك مخلوقة سعيدة ـ ليتني استطيع قص شعرى كل يوم ليت هذا الشعر يطول في كل ليلة ٠٠٠٠ ليت هناك دواء لاطالة الشعر ٠٠٠٠ نامي يا حبيبتي نامي ، ايه ، مات ابوك ٠٠ اعني قتل في المنجم قبل عام ، وتسعة ايام ، كان يوما اسود ٠٠ لم يعثرو على اثر له ٠٠ ثار المنجـم وانتهى الامر ٠٠ نامي يا فؤادي ، سابذل جدي في سـبيلك ، فانت املي في هذه الدنيا ، ساقص شعري لاطعمك ٠٠ انت ياحبيبتي نامي ٠٠ اعلم ان البرد يلدغ عظامـك ، ليتني استطيع ضمك في صدري ٠٠ الم الدنيا ظالم يا زهرتي ، كل ما اجنيه هو لك ، سادخر عشرة فلوس يوميا كي اجمع مبلغا يسد بعض حاجتك في المستقبل ٠٠ اجل يا محبوبتي عشرة فلوس يوميا اني افكر في هذا ، سأجرب يا طفلتي دعي الضيم لي وحدي ٠٠ انت ما زلت في منتصف السنة الثانية ٠٠ ساسقيك من دمي ان عجزت عن شراء طعامك ، يا لصلابة الدنيا وجفافها ٠٠ هنـاك الاف غيرنا ، بل ملايين في هذا العالم الواســع الغني يبحثون عن لقمة عيش ، فرشهم الارض وغطاؤهم السماء ٠٠ نامي يا نسمتي العطرة ٠٠ حرارة جسمك قبل اسبوع كانت نتيجة مرضك ، ليتها كانت لصالحك كي نطوي بها قرص الشتاء ٠٠ نامي ايتها العين ٠٠ سكون الليل يقلق بالي وبالك ، دعيه لي وحدي ٠٠ فانوسنا يـكاد يلفظ انفاسه الاخيرة ، ساشـتري نصف قنينــة نفط لاسقيه ، نصف قنينة تبعث فيه الروح ٠٠ ساجعله بنير من اجلك ٠٠ صوتـك ياطفلتي يبعث في نفسي أمـل المستقبل ٠٠٠ ساحملك معي صباح غد لاجول طارقـة ابواب بعض البيوت ، لاغسل بعض الصحون ٠٠ بعض الملابس ، من اجلنا كلينا ٠٠ من اجل لقمة العيش ٠٠ يجب ان اعيش كي تعيش انت ٠٠ ارجو ان تكـــوني هادئة في نومك ، نامي ايتها الحب ، ايتها المســتقبل (تقبل ابنتها بهدوء) ٠٠ انت تحلمين ، فمك يبتسـم رغم كل شيء ، رغم الفقر والبرد رغم العوادي والنائبات ٠٠ ستشرق الدنيا لك ايتها الدنيا عندما تكبرين ٠٠ سوف لا يطول الهم ٠٠ كانت امي تعيش في حالة اصعب من حالتنا هذه ٠٠ فقدت بصرها في الاربعين ، بعد ان بكت ليل نهار لوفاة جدك ٠٠ يجب ان لا اشرح لك مصاعب الماضي ٠٠ نامي يا ربيعي ، نامي ٠٠

((برق ورعد))

شباكنا القديم لا يحجب ضوء البرق وجـدران غرفتنا الفقيرة ترحب بدخول صوت الرعد ٠٠ لا تخافي ٠٠ ساحيطك بكل عنايتي ، سـاتحمل العبء عنـك ،

المساكين تعج بهم الارض سيقل عددهم سنة بعد اخرى ، سيقل عددهم سنة بعد اخرى ، سوف لا يبقون هكذا ، وانت ايضا ،عندما تكبرين ستبتسم لك الدنيا سوف لا يطول هذا الفراغ اود لو كان ابوك معنا الان .. ولكن . انه بعيد . بعيد . نامي يا حمامتي الهادئة . نامي نامي . نامي ساقص شعري بعد اسبوع ، لقد طال الان ، كم احب الشعر الطويل ، ليتني استطيع الاحتفاظ به هكذا ، اني اقصه من اجلك ، اجل من اجلك بعد اسبوع .. نامي ايتها العين .. نامي ، الوحشة قاتلة في الليل ، انها كظلام . جارتنا صديقة تبدد تلك الوحشة تتلكم معي عبر شباك بيتها احيانا ، لسانها طيب ، الا ان قريبتنا قالت بان قلبها يختلف ، حقودة .. غادرة .. اتهمتها بسرقة احدى دجاجاتها .. اني لم ار فيها صفة الحقد والغدر .. ساكلمها .

((تسير نحو شباك الغرفة الصغير ، ثم تفتحه قليلا وتنادي)) .

الام :
صديقة ..... صديقة

صوت صديقة :
اهلا بك ..

الام :
كيف صحتك اليوم ..

صوت صديقة :
لا بأس ، وانت

الام :
كما تعهدين .

صوت صديقة :
ربما سيسقط مطر غزير هذه الليلة

الام :
سنغرق اذا ... سقف غرفتي كرمل الصحراء .

صوت صديقة :
اقض الليلة في بيتي ان كنت قلقة .

الام :
شكرا .... سافكر في ذلك

صوت صديقة :
حسنا

الام :
عواء كلب جارنا ابعد عني النوم ليلة امس .

صوت صديقة :
لم اسمع شيئا

الام :
جران بيتكم اقوى من حيطان غرفتي

صوت صديقة :
ماذا تعشيت الليلة ؟

الام :
هواء ورغيف خبز وماء

صوت صديقة :
غدا ساجلب لك صحنا من الرز

الام :
زاد فضلك

صوت صديقة :
اطفلتك بخير

الام :
ستكون ..... انها نائمة

صوت صديقة :
خبريني ان كنت جائعة الان

الام :
لست جائعة

((برق ورعد))

صوت صديقة :
صوت الرعد .

الام :
انه غريب هذه المرة

صوت صديقة :
أيخيفك

الام :
كلا ، بل يجعلني احس بالوحدة .... يجعلني افكر بحالي قبل اكثر من عام .

صوت صديقة :
حاولي نسيان الماضي

الام :
يصعب علي

صوت صديقة :
هل وجدت مفتاح غرفتك

الام :
ليتني

صوت صديقة :
ربما سقط منك في الطريق ...

الام :
لا ادري

صوت صديقة :
سيكون بابك مفتوحا ليل نهار

الام :
ليس في غرفتي ما يستحق السرقة ، سيضيع اللصوص اوقتهم بدخولها .

صوت صديقة :
عليك بشراء مفتاح آخر .

الام :
ساحاول شراءه سيكلفني اكثر من خمسة دراهم

صوت صديقة :
ربما اقل
الام :
بل اكثر
صوت صديقة :
بعد ايام ستحصلين على اربعة دنانير
الام :
من يدري
صوت صديقة :
تفاءلي بالخير
الام :
لحظة واحدة لقد استيقظت ابنتي ...
(تتقدم نحو السرير) .. يا عزيزتي
حسبت انه صوتك ... انت ما زلت
نائمة حرارة جسمك معتدلة ، ساغلق
النافذة بعد قليل وانام بجنبك ،
سألفك بذراعي يا صغيرتي ،
(تعود الى النافذة) ... لم تكن هي.
صوت صديقة :
اذن كنت تحلمين
الام :
بل سمعت صوتا كصوتها .
صوت صديقة :
ربما استيقظت لثوان ثم نامت
الام :
لا اعتقد
صوت صديقة :
انت تبالغين
الام :
وانت لا تدركين محبتي لها
صوت صديقة :
انني ام ايضا .... عندي ثلاثة اطفال .
الام :
لم أعن .
صوت صديقة :
(مقاطعة ! الامهات سواء في العالم
الام :
هذا صحيح
صوت صديقة :
متى ستقضين على شكوكك
الام :
دعك من هذا ... ليست بشكوك
صوت صديقة :
انت متعبة
الام :
اشعر بذلك

صوت صديقة :
اين ستذهبين غدا
الام :
الى حارة النهر ... سابحث عن عمل
صوت صديقة :
شعرك طال كثيرا
الام :
شكرا
صوت صديقة :
انه جميل
الام :
سيموت جماله
صوت صديقة :
متى ستقصينه
الام :
في الاسبوع القادم
صوت صديقة :
ليت لي مثل شعرك
الام :
اتحبين الشعر الطويل ؟
صوت صديقة :
تماما ... لقد وضعت على رأسي مختلف
العقاقير والادوية دون جدوى ..جلدة
رأسي نصف ميتة
الام :
استعمال الادوية الكثيرة شيء يجلب الضرر.
صوت صديقة :
ما هي نصيحتك ؟
الام :
لا ادري .
صوت صديقة :
بل تدرين .
الام :
ليتني استطيع مساعدتك .
صوت صديقة :
لابد وان يكون هناك دواء خاص لتقوية الشعر
الام :
ربما عجينة الحناء .
صوت صديقة :
انت تمزحين
الام :
ابدا
صوت صديقة :
عجينة الحناء لا تساعد على تقوية الشعر ،
بل تغير لونه .

الام :
اذن انت ادرى .
صوت صديقة :
لو كان شعري كشعرك لاحتفظت به .
الام :
(بالم) .. ايه .. مجبرة على قصة
« **برق ورعد** »
الام :
السماء تهدد بفيضان كبير .. (**تمد يدها عبر الشباك**) .. قطرات المطر بدأت تنهمر .
صوت صديقة :
الحرث بحاجة الى ماء .
الام :
ان كان المطر غزيرا فسيقتل الزرع
« **عواء كلب يسمع عن بعد** »
الام :
اسمعت ؟
صوت صديقة :
عواء كلب .
الام :
انه بالوحشة
« **عواء الكلب ينطلق مرة اخرى** »
صوت صديقة :
اود ان لا اسمعه .
الام :
اقفل شباك غرفتك وعودي الى الفراش .
صوت صديقة :
اسمعي .. صراخ وعويل ..
الام :
لابد ان يكون قد حدث شيء
« **اصوات تتعالى عن بعد** »
الام :
ربما نشبت معركة ..
صوت صديقة :
ارى لهيبا يتعالى .. انه حريق .. سأخرج الى الشارع .. لنخرج معا
الام :
لا استطيع ان اترك طفلتي .
صوت صديقة :
انها نائمة
الام :
لا استطيع
صوت صديقة :
حسنا اذا ، اني ذاهبة .. السماء تحمر . سأخبرك بكل شيء عندما اعود .

الام :
تساقط ايها المطر .. عونك اينها السماء .. اللهيب اخذ يتسرب الى البيوت المجاورة .. انه يتعالى ..
« برق ورعد »
الام :
(**تمد يدها من الشباك**) قطرات المطر بدأت تتساقط بشدة .. بدأت تكبر .. انها حتما ستطفيء السنة النار .. لكنها ستقتل الحرث .. ستقتل اكثره .. (تعود الى ابنتها وتبدأ بالبكاء) ... فيضان ونار .. ليتني استطيع ان افعل شيئا .. اريد أن اغادر الدار يا ابنتي .. ولكن .. لا .. لا استطيع تركك يا طفلتي .. لا استطيع .. نامي .. نامي نامي .. (تعود الى الشباك مرة أخرى) ... الرحمة يا الله .
« **تطفأ الاضواء لعدة ثوان** »
ــ ضربات موسيقية مناسبة ــ

« **المشهد الثاني** »

ــ نفس الغرفة ــ

ــ بعد مرور اربعة ايام ــ

« **تدق ساعة المدينة معلنة الثانية عشرة ليلا** »

الام : (تتكلم في نومها) .. قلت لك مـــرارا اني لا اعرف اي دواء يساعد على اطالة الشعر .. اذهبي الى الطبيب واعرضي عليه الامر .. ان جلدة رأسك مريضة يا صديقتي .. انت واهمة .. ثقي بانني لو استطيع علاجك لفعلت .. كنت لا اظن انـــك حسودة الى هذا الحد ، لا ادرى ماذا تريدين مني .. ارجو ان لايكون شعرى سببا لزرع البغضاء بيننـــا في المستقبل .. اني اودك يا صديقة .. ليـــس من المعقول ان تدب الغيرة في نفسك من اجـــل شيء بسيط ، شيء ليس من صنعي .. جلـــدة راسى قوية وشعرى طويل اسود ماذا تريدين مني ان افعل به .. هل اقطع راسي واقدمه لك .. ارجو منك ان تتركي علبة الثقاب جانبا ، ارحمي حالي واتركيني لوحدى فمشاكل الدنيا كثيرة عـــلى صدري ، حملها ثقيل يا صديقة .. انت اسعد مني حالا .. لك زوج وثلاثة اطفال .. ملامتـــك لي لا داعي لها اطلاقا .. علبة الثقاب في يدك تذكرني بالحريق الذى شب قبل اربعة ايام .. اجل ، قبل أربعة ايام عندما التهمت السنة النيران صفا طويلا من البيوت ، ولولا الامطار الغزيرة في تلـــك الليلة لتحولت المنطقة كلها الى ارض جرداء . . (تقوم في نومها) .. لا .. لا .. لا تفعلي . ،

انها حماقة منك يا صديقة ، لا تمسكي بهذا الفأس، لا اريد ان افقد رأسي ، ان فعلت هذا فسوف يلاحقك رأسي المقطوع ، سوف لا ينفك عن عتابك ليل نهار ، في كل يوم ، في كل ساعة ، في كل دقيقة ... رحمة بي يا صديقة ... رحمه بطفلتي اليتيمة ... ساقص شعري واهديه اليك ... سوف لا ابيعه الى صانعة الشعر ... اجلبي المقص وقصيه بنفسك ... اراك مصممة على حرقه ، اقسم باني سوف لا ابيعه ، دعي الفأس جانبا .... ارم بعلبة الكبريت بعيدا ، الشيطان هو الذي يدفعك لطريق السوء ، اطرديه عنك .... سيطري على نفسك .... **(بفزع)** ... لا... لا... **(تتراجع)**

.. قفي مكانك ايتها الحمقاء ... قفي .. بريق الفأس يخيفني ... لا تفصلي رأسي عن جسدي ... تعسا لي ، كان يجب ان اشتري مفتاحا جديدا ، كان يجب ان لا ادع الباب مفتوحا ... ستقضين حياتك في السجن بعد قتلي ، بل ربما ستحكم عليك المحكمة بالموت .... تذكري زوجك واطفالك الثلاثة ... دعيني اعيش ، اقسم باني ساقص شعري كل عام واقدمه هدية لك ... هدية دون مقابل ... لا تكوني هكذا يا صديقة .... كفي عن ملاحقتي ، كفي بربك ... كفي ، كفي ، ...

ايه .... الهي ... ليت هذا الشعر الكثيف لم ينبت على رأسي ، ليته كان رمادا ... امهليني دقيقة ... واحدة يا جارتي ، دعيني اقص عليك هذا الحدث ، انه حقيقة ، حدث وقع لامرأة مثلك قبل الف عام ... اسمعي ... لحظة واحدة ... لم انت هكذا ....

« **دخلت امرأة بيت جارتها بغية السرقة ، وكانت تلك الجارة الارملة تملك نعجة وست دجاجات ومرآة موضوعة في اطار خشبي جميل ، كانت تتكلم مع نفسها في المرآة** كل ليلة قبل ان تذهب الى فراشها لتنام ، لقد اصبحت المرآة شيئا هاما بالنسبة لحياتها ، فهي الصورة والصديقة ، وهي التسلية والنفس . وفي ليلة من الليالي الباردة حلمت الارملة انها لو احتفظت بالمرآة سالمة لسنة كاملة اخرى فستتحول نعجتها الكبيرة الى قطعة من الذهب الخالص ، المطعم بالياقوت ، وسيتكاثر دجاجها بشكل عجيب . ،

اخذت الارملة تحسب الايام وتمنت لو ان عجلة الزمن تسير بسرعة فتطوي فترة السنة في يوم او اسبوع ، لقد صدقت الحلم ولم تتمالك نفسها من شدة الفرح ، فأخبرت جارتها الحقودة بسر الامر قائلة بانها ستصبح بعد اشهر قليلة من اغنى نساء المدينة .

اخذت السارقة تفكر في خطة محكمة لقتل الارملة والاستيلاء على المرآة السحرية ذات الاطار الخشبي الجذاب ، فاستطاعت بعد ثلاثة ايام الحصول على مفتاح دار الارملة وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دبت زاحفة كالثعبان فدخلت البيت ... كان المطر على اشده في تلك الليلة ، وكانت كثافة الغيوم الهائلة تتزاح بين اونة واخرى اثر موجات البرق العارمة ... لم تستطع السارقة متابعة السير في صحن الدار التي تحولت ارضه الترابية الى قطعة لزجة متزحلقة ، فبقيت قابعة وكانها تسمرت بمسار تندب حظها العاثر ، وبعد نصف ساعة رفعت رأسها الى السما طالبة الخلاص الا انها فوجئت بضربة برق هائلة قاضية كحد السيف ، . وهكذا تحولت السارقة في تلك اللحظة الى كتلة من الرماد سرعان ما امتزجت بماء المطر ثم انحدرت معه الى بالوعة الدار .

تساءل الناس عن سر اختفاء تلك المرآة وكفوا عن البحث الذي دام اكثر من اسبوع بغية العثور عليها ....

مر عام كامل دون ان يتحقق حلم الارملة المسكينة فباعت مرآتها ونعجتها ، كذلك باعت نصف دجاجها، ثم هاجرت الى مكان آخر ، وقبل موتها رأت طيفا اخر كان فحواه قصة الجارة السارقة ، فاخبرت بعض صديقاتها بحكاية الحلم وانشر الخبر . »

ارأيت يا صديقة ... سيكون العقاب على اشده لو اقدمت على قتلي .... فصل رأسي عن جسدي بهذه الفأس لا يجديك نفعا ... كم اشفق عليك يا صديقة كوني طيبة واذهبي الى بيتك ... اعطني علبة الثقاب ، . حسنا اذا ، دعيني اغادر هذا المكان ثم افعلي به ما شئت ، ارض الله واسعة يا صديقة ... سأحمل طفلتي واهاجر الى مكان اخر ... ماذا تقولين .. ؟ **(بفزع)** ... لا . لا ... ابتهل اليك .. **(تصرخ)** ... الهي ، لا ... لا تشعلي النار .. كفى ايتها الغادرة ... لا احتمل هذا الالم انني احترق ، لم اشعلت النار في بيتي ... **(تبكي بمرارة ثم تشهق وتستيقظ)** ....

(ضربات موسيقية مناسبة)

ماذا جرى ....؟ شيء غريب ... انه حلم ... حلم ... ... كنت احلم ، كان حلما مزعجا، بدا لي وكأنه حقيقة ... ولكن ... (بحيرة) غير معقول **(تسير مسرعة نحو ابنتها)** انها نائمة **(تجول انحاء الغرفة)** كل شيء هادىء ، لو لم يكن ما رأيته حلما لهلكت لا محالة . اني ما زلت على قيد الحياة ، هذا شيء يسعدني ... ايه ... قلبي ما زال يخفق بشدة ، . ضوء الفانوس ما زال مشتعلا ، نسيت ان اطفئه ، لا ادري متى وكيف

اغفيت ، انا قلقة ومتعبة ، هذا من اثر الحلم ٠٠٠ اشعر بالبرد ٠٠٠ بالخوف ٠٠٠٠ الوحشه ٠٠٠ اين وضعت المرآة ٠٠٠ اريد ان انظر لوجهي ، لابد وان لونه قد تغير ٠٠٠ ز د اصفرارا ٠٠٠٠ **(تبحث عن المرآة فتجدها في احدى زوايا الغرفة)** مالي ارتجف ٠٠٠ (تنظر الى المراة) ٠٠٠٠٠ شيء ينقصنـــي ٠٠٠ لا ، لا ، اني على خطأ ٠٠٠ تصورات لا صحة لها نتيجة الحلم ٠٠٠ ولكن ، مهلا « **تتمعن جيدا الى وجهها في المرآة** » لقد فقدت شيئا ٠٠ ٠ اجل ، لقد فقدته ٠٠٠ فقدت شعزي ٠٠٠٠ **(تبكي بمرارة وشدة)** ٠٠٠١انه شعري الذي فقدته ٠٠٠ سرقوه مني هذه الليلة ، قبـــل ساعة ، قبل نصف ساعة ٠٠٠ لا ادري ، يا لحظي العاثر ، لقد اوعدتني صانعة الشعر بمبلغ اربعه دنانير ، ماذا ساقول لها بعد يومين ، ليتني لم انم ٠٠ ليتني لم انم ٠٠٠ **(مستمرة في البكاء)** ٠٠٠ لم اكن احسب ان شعري سيقص ويسرق ٠٠٠ اردت ان اشتري مفتاحا لبيتي يوم امس فلم تكن عندي نقود كافية ٠ سوف لا استطيع اطالة شعري مرة اخرى وبيعه الا بعد اشهر ، يا لسوء الطالع ٠٠٠ الم اخر ، بل كارثة جديدة اخرى فوق رأســي ٠٠٠ ايه ٠٠٠٠ ايه ٠٠٠ ماذا اصنع ٠ ٠ ٠ «**تجول في انحاء الغرفة بارتباك وقلق** » ٠٠٠ ما هذا ؟ **(تنحني وتلتقط مقصا كان قد سقط على ارض الغرفة)** ٠٠٠ عجبا ٠٠٠ انها هي ٠٠٠ قصت شعري وتـــركت المقص ، لقد نسيته ٠٠٠ كانت مرتبكة ولا شك ٠٠٠ اجل انهـــا هي ٠٠٠ هي ٠٠٠ ولكـــن لا ٠٠٠ من يدري ، ربما غيرها ، حارتنا تعج بالنسوة،

« **صوت صديقة يسمع عن بعد** »

صوت صديقة : ماذا جرى ٠٠٠ لم هذا البكاء ٠٠٠؟

الام (تجري نحو الشباك وتفتحه) ٠٠٠ اني لا احتمل هذا العذاب ٠

صوت مابك ؟

الام الا تنظري، لقد قصت السارقة شعري وهربت به٠٠٠

صوت صديقة هذا مستحيل ، ولكن كيف ؟

الام لا ادري ٠٠٠ لا ادري ٠٠٠٠

صوت صديقة البكاء لا ينفع شيئا يا جارتي ٠٠٠

الام ماهو نصحك ؟

صوت صديقة ليتني استطيع مساعدتك ٠٠٠ انني اسفة لما حدث

الام سيكون شعري وبالا على سارقته ،

صوت صديقة ماذا ؟

الام ان لم تعده الي قبل اسبوع فسوف يحترق بيتهـا ويموت زوجها ٠٠٠ ستصبح ارملة تتسـكع في الطرقات كالمجنونة ٠

صوت صديقة من قال لك ذلك ؟

الام شعور خفي سيصبح حقيقة ٠٠٠

صوت صديقة رحمتك يارب ،

الام وجدت هذا المقص على ارض الغرفة ، بعض الشعيرات مازالت عالقة بحافتيه ٠٠٠٠ انه كمنقار الصقر٠٠٠

صوت صديقة انت متعبة ٠٠٠

الام صاحبة هذا المقص امرأة في الخامسة والعشرين من العمر ٠٠٠ تسكن هذه الحارة

صوت صديقة اوهام ٠٠٠ دعي القلق وذهبي الى فراشك٠

الام تلك المرأة ارادت قتلي فلم تستطع ، لا بد وانهـــا كانت ترتجف عندما قصت شعري ٠٠٠٠ حذرني البعض من معاشرتها ، قالوا انها قرينة السوء ، حسودة ، غادرة ، تتصنع الطيبة ٠٠٠٠

صوت صديقة اذهبي الى فراشك

الام سيكون شعري حبل مشنقة يلتف حول عنقها ، انها هالكة لا محال ،

صوت صديقة الى فراشك ٠!

الام ما لاسنانك تصطك ٠٠٠٠ الخوف يرتسم على قسمات وجهك يا صديقة ٠٠٠ اقدام السارقة انطبعت على صحن الدار ولا شك ، سأضع ورقة عليها واقصها بنفس المساحة ٠ سأرفع الدعوى الى المحكمة ٠

صوت صديقة بمن تشكين ٠٠٠ ؟

الام بجارتي ٠٠٠

صوت صديقة من هي ٠٠٠؟

الام ستكون حياتها مرة ٠٠٠٠

صوت صديقة قلت من هي ؟

الام خذي هذا المقص يا صديقة ٠٠٠ انه يخصك **(ترمي بالمقص من الشباك**

صوت صديقة (بدهشة) ما معنى هذا ؟

الام اخرجي والتقطي المقص ، انه على أرض الحارة ، تحت شباكك ٠

صوت صديقة (باحتجاج شديد) اني لم اسرق شعرك ، كفى نعيقا ٠

الام المقص في انتظارك ٠٠٠ اخرجي

صوت صديقة اغربي عن وجهي **(يسمع صوت شباكها وهي تغلقه بشدة)** ٠٠٠

الام (تغلق الشباك) ٠٠٠ ليتني استطيع قتل هـــذا العذاب ٠٠٠ لم اقل انها سرقت شعري ، لكنـــي واثقة من ذلك ٠٠٠ لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ وربما اكون على خطأ ٠٠٠٠ كانت اسنانها تصطك وجسمها يرتجف ٠٠٠ترى ، متى ستعيده الي ٠٠٠ متى ٠٠٠ **(تسير صوب فراش ابنتها)** ٠٠٠ ايه يا صغيرتي ٠٠ ٠ فمك يبتسم ٠٠٠ انت تحملين ٠٠٠ دع العذاب لي وحدي ٠٠٠ نامي ٠٠٠٠ نامي ٠٠٠

« **موسيقى مناسبة** »

يسدل الستار

نقد

نجيب محفوظ والرواية الفلسفية

جورج سالم

بدأ نجيب محفوظ بعد ان انجز ثلاثيته الكبيرة وكأنه قال كل ما يريد ان يقوله ، أو كأنه استنفد تجربته الروائية في دراسته للمجتمع الذى اراد ان يعبر عنه اذ صوره أدق تصوير وأدانه واظهر كل ما ينطوى عليه من قيم فاسدة وتطلعات وآمال ، وبكلمة مختصرة فقد صور بقسوة لا ترحم البورجوازية الصغيرة بكل ابعادها ، وفي مثل هذه الحالات يجد الروائي نفسه في طريق مغلقة فاما ان يلتزم الصمت واما ان يكرر نفسه في آثار جديدة هي نسخ مشابهة لآثاره القديمة • ولكن نجيب محفوظ ، بمهارة فنان اصيل ، وعطاء روائى مبدع ، لم يختر هذه الطريق ولا تلك ، بل سعى وراء اسلوب روائي جديد يحمل تجربته في الحياة ونظراته الى الكون • وقد درج النقاد على تسمية الروايات التى كتبها نجيب محفوظ في هذه المرحلة بالروايات الفلسفية(١) ، وفي هذه المرحلة لم يعد الروائي يعنى بتصوير الواقع ونقله وفق الطريقة التى حددتها الرواية البورجوازية كما تجلت في آثار اشهر ممثليها بلزاك وديكنز ، بل راح يطرح مشكلات انسانية تعتمد على التجريد ، والبحث عن معنى الحياة والعدالة والحرية والوجود والخير والشر وغيرها من المشكلات الفلسفية واللاهوتية • وتتجلى كل خصائص هذه المرحلة ، سواء في المضمون او في الشكل ، في رواية تطبع هذه المرحلة بطابعها ونعنى بها رواية اللص والكلاب ، وعلى هذا الاساس ينبغي ان تقرأ هذه الرواية وتدرس وتفسر•

ولكن ما المقصود بالرواية الفلسفية ؟ وكيف يصوغ نجيب محفوظ المشكلة الفلسفية في قالب روائي ؟ وما الفرق بين الرواية الاجتماعية والرواية الفلسفية عنده ؟

اننا في هذه الرواية ، كما هى الحال في أية رواية أخرى ، امام اشخاص واحداث ، ومعنى ذلك ان الرواية ليست حوارا وجدلا فلسفيين حول مشكلة من المشكلات ، لان مثل هذا الحوار وذاك الجدل يبعدانها عن الرواية التى تعتمد قبل كل شيء على الحوادث والاشخاص والبيئة والحركة وغير ذلك من مقومات من الرواية ، على هذا النحو يضعنا نجيب محفوظ في جو روائي بحت حين يعرض شخصياته وتطورها ونموها واصطدامها بعضها ببعض •

يقدم لنا نجيب محفوظ بطل روايته هذه ـ سعيد مهران – وقد افرج عنه فخرج من السجن الى العالم بعد أن قضى فيه سنوات عدة• وها هوذا ينطلق ليصفي حساباته مع اعدائه الذين خانوه وليلقى ابنته « سناء » التي لم يكف لحظة واحدة عن التفكير فيها ، فيسعى الى لقاء عليش سدره الذي خانه ووشى به فزج به في السجن ونزوج من امرأته نبوية • وتبدأ بذلك سلسلة من الصدامات التى جابهه بها العالم ، فقد انكرته ابنته ولم تتعرفه ولم تبد نحوه الا الخوف والفزع • فلم يزده هذا اللقاء الدامي الذى انتظره طويلا الا رغبة فى الانتقام من اعدائه ، ويلتجيء في ألمه هذا وحزنه الى بيت احد الاولياء ممن كان يتردد على مسكنه مع ابيه ليشهد حلقاته ، فيجد عنده المأوى والمأكل ، وفي اليوم التالى يسعى لرؤية رؤوف علوان احد رفقائه الذى طالما أعجب بافكاره وتأثر بها واهتدى بهديها ، فاذا بهذا الصديق القديم الذى كان صحفيا يناضل في الحرية قد انقلب كائنا آخر ، الفيلا والثراء والرياش الفاخر ، انه الان « جثة عفنة لا يواريها التراب ، اما الاخر فقد مضى كأمس أو

كأول يوم في التاريخ ، او كحب نبوية او كولاء عليش لقد خان هذا الصحفي نفسه اذن ، وخان المبادىء التي استقاها منه سعيد مهران ·

خائن صديقه هذا ، وخائن تابعه عليش ، وخائنة زوجته ، انه انسان محاصر بالخيانة ولا بد له من ان يجابه الخيانة ويقضي عليها · انه لص ، اما هــؤلاء فكلاب وعليه ان يقضي عليهم · وليس يحتاج الا الى مسدس يستعيره من احد معارفه القــدامى ، ومأوى يجد ، عند الغانية نور في منزل بعيد عن الانظار على مقربة من المقبرة · ويمضي سعيد مهران فيما عقــد العزم عليه فيتسلل في الليل الى منزل عليش ســدده ويطلق عليه النار ، الا إنه يدرك في صبيحة اليوم التالي عن طريق الصحف انه قتل شخصا آخر بريئا لا يعرفه، وأن غريمه عليش قد ترك الشقة الى مكان مجهول في اليوم نفسه الذى زاره فيه · لقــد اخفق في الضــربة الاولى ، وعليه الان ان يضرب الخائن الثــاني رؤوف علوان · وهكذا يمضي الى قصره ، حتى اذا ولجه وجده مع خدمه كامنين له ، وبدهاء كبير يعدل صديقه الصحفي عن تسليمه الى رجال الشرطة ، ويكرر سعيد مهــران المحاولة فيصيب في المرة الثانية خادم صديقه ، وتبدأ منذئذ المطاردة الطويلة الاليمة ، وقد اججــت نارهــا الصحافة ، ولا سيما صحيفة رؤوف علوان · اما سعيد مهران فمختبىء في منزل الغانية نور · قد خاط لنفسه ثوبا عسكريا يخرج فيه بين حين وآخر ، أو يضيــق المخبرون ورجال الشرطة عليه الخناق رويدا رويدا ، ولا يلبث أن يقع بين أيديهم وهو يحاول العودة الى الشقة التي غابت عنها نور طويلا ونسي فيها بزته العسكرية · وبدت المقاومة غير مجدية الا انه صمم على الموت اذ كان عليه ان يختار بين الموت وبين الوقوف امــام العدالة · فانهال الرصاص حوله فخرق أزيزه أذنيه · واطلــق الرصاص مرة أخرى وقد ذهل عن كل شيء ·

يقول نجيب محفوظ مصورا نهايته المفجعة :

« وواصل اطلاق النار في جميع الجهات ·

« واذا بالضوء الصارخ ينطفىء بغتة فيسود الظلام· واذا بالرصاص يسكت فيســود الصمت · وكف عن اطلاق النار بلا ارادة · وتغلغل الصمت في الدنيا جميعا· وحلت بالعالم حال من الغرابة المذهلة · وتساءل عن ·· ولكن سرعان ما تلاشى التساؤل وموضوعه على السواء وبلا ادنى أمل · وظن انهم تراجعوا وذابوا في الليل · وانه لابد قد انتصر · وتكاثف الظلام فلم يعد يرى شيئا ولا اشباح القبور · لا شيء يريد ان يرى · وغاص في الاعماق بلا نهاية ، ولم لنفسه وضعا ولا موضعــا ولا غاية · وجاهد بكل قوة ليسيطر على شيء ما ليبــذل مقاومة اخيرة ليظفر عبثا بذكرى مستعصية · واخيرا لم يجد بدا من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة ··· بــلا مبالاة ·

●

تطالعنا هذه الرواية اول وهلة ، بصورة للمجتمع ، وهذا ما حدا بكثير من النقاد والقراء الى اعتبارها رواية اجتماعية ، فهي تصور الفساد في المجتمع والظلم الــذى يعانيه انسان يريد ان يعيش حياة سعيدة فلا يتاح لــه ذلك ، ويريد ان يتمتــع بالسعادة متمثلة في ابنتــــه وزوجته ، الا أن زوجته وابنته وعشيق زوجته يتنكرون له ويوردونه موارد التهلكة · وقال الامر نفســـه في تصوير شخصية رؤوف علوان الذى مثل على الصعيــد الاجتماعي ، الوصولية والانتهازية وغيرها من المفاســد التي نراها في المجتمع · بل لقد رأى بعض النقاد في رواية اللص والكلاب ملامح رومنطيقية[٢] ، فهذا اللص الشريف الذي يريد ان يحقق العدالة يجد نفسه مطاردا على يد العدالة ، مظلوما منتقص الحقوق على نحو يذكرنا ببطل رواية البؤساء لهوغو ·

الا ان هذه التفسيرات كلها لرواية اللص والكلاب لا تمس صميمها · بل لقد تبدو على ضوئها رواية عادية جدا شبيهة بالروايات البوليسية · لا شــك في أن نجيب محفوظ قد خلق اشخاصا يحيون ويتحركون في هذه الرواية ، ولا شك في أن هؤلاء الاشخاص انمــا يعيشون في مجتمع معين ، الا انه ، في اعتقادى ، انطلق من هذه الارضية التي لا بد منها في الرواية كيمــا يتجاوزها الى طرح الموضوعات الفلسفيــة التى أراد الروائي ان يعبر عنها بعض المشكلات في هذه الرواية · وهذه المشكلات هي وحدها التي تعطيها بعدا جديــدا عميقا أصيلا · فخروج سعيد مهران من السجن ليس مجرد خروج انسان من السجن بل هو مجيء الانسان الى العالم · ولقد ربط بعض النقاد ربطا ذكيا بين السجن في ادب محفوظ وبين رجم المرأة ، وتتردد هذه الثابتة في اكثر من رواية من رواياته · وحين خرج البطل الى العالم وجد امامه الشر في كل مكان : لدى اصدقائه ، ولدى اقرب المقربين اليه ، ولدى السلطة · وكان عليه أن يجابه الشر ، ولكن ايستطيع الانسان ان يجابــه الشر ويقضي عليه ؟! ذلك هو السؤال الفلسفي الذي تطرحه الرواية· ولقد أجابت عنه على نحو مأسوى حين صورت عجز الانسان امام الشر وانسحاقه تحت وطأته · بيد ان الرواية لا تطرح مشكلة الشر فى العالم الا لتنتقل منها الى موضوع اكبر هو موضوع عبث الحياة · لقد نفى نجيب محفوظ غير مرة في احاديثه ومقابلاته ، ان يكون كاتبا عبثيا · ولكن هذا النفي لا يغير في شيء من الوقائع العبثية الصارخة في رواية اللص والكلاب · منها مقتل انسان بريء على يد سعيد مهران يقول : « سعيد مهران جاء ليقتل زوجته وصاحبه القديم فقتل الساكن الجديد شعبان حسين » · جريمة بلا جدوى ، صــورة للعالم الذى لا معنى له · ويقول سعيد مهران مخاطبا نفسه : « ذلك انك قتلت شعبان حسين · من انت يا شعبان ؟ أنا لا اعرفك وانت لا تعرفني · هل لك اطفال ؟ هل تصورت يوما ان يقتلك انسان لا تعرفه ولا

يعرفك ؟ هل تصورت ان تقتل بلا سبب ؟ ان تقتل لان نبوية سليمان تزوجت من عليش سدره ؟ أردت ان أحل جانبا من اللغز فكشفت عن لغز اغمض » ٠

ومنها مقتل بواب رؤوف علوان ٠ فلقد تصور سعيد مهران « انه لكي يكون للحياة معنى وللموت معنى يجب ان يقتل رؤوف علوان » ٠ ويضيف قائلا : « فالرصاصة التي تقتل رؤوف علوان تقتل في الوقت نفسه العبث، والدنيا بلا اخلاق ككون بلا جاذبية ٠ ولست اطمع في اكثر من ان اموت موتا له معنى ٠ « الا ان رصاصة سعيد مهران أصابت الخادم الشيخ في مظهر عبثي آخر ٠ « لم يصب رؤوف علوان ، ولكن البواب المسكين سقط ـ بريء ضعيف آخر » ٠

ومنها اخيرا علاقته بنور ، لقد احبته هذه المرأة حبا لم يكنه له اي انسان اخر ٠ أحبتهواعجبت به قبل ان يتزوج ٠ واحبته بعد ان هجره الجميع ، ثم آوته في منزلها ولكنه كان عنها في شغل ، فلم يبادلها حبها ، ولم يظهر نحوها اي شعور او عاطفة ٠ الا انه في نهاية المطاف بدأ يتعلق بها ويحن اليها ، وحين ادرك انها اختفت الى الابد اكتشفت انه كان يحبها ٠ يقول نجيب محفوظ : « وتمثلت لعينيه في الظلمة بابتسامتها ودعابتها وحبها وتعاستها فانعصر قلبه ، ودلت حاله على انها كانت اشد تغلغلا في نفسه مما تصور ٠ وانها كانت جزءا لا يصح ان يتجزأ من حياته المزقة المترنحة فوق الهاوية ٠ وأغمض عينيه في الظلام واعترف اعترافا صامتا بانه يحبها ٠ وانه لا يتردد في بذل النفس ليستردها سالمة » ٠

وهكذا نقع على ملمح عبثي آخر من ملامح هذه الرواية الفلسفية للعالم صورة الروائي فيعلاقة البطل بنور ٠ وتأتي اخيرا نهاية سعيد مهران محاولاته كلها غير ذات جدوى فتكتمل الرؤية العبثية التي عبر عنها نجيب محفوظ ٠ تأتي الجمل الاخيرة من الرواية لتوضح ذلك : « فاستسلم ب لامبالاة ٠٠٠ بلا مبالاة ٠٠ »

ذلكهو المضمون الفكري للرواية ٠ ومحفوظ يتجاوز في ذلك الرواية الاجتماعية ، ليصل الى الرواية الفلسفية ٠ ونتساءل الان : ما الاسلوب الفني الذي لجأ اليه ليعبر عن رؤيته الفكرية هذه ؟ واذا صحت قولة سارتر المشهورة ان كل تغيير في المعنى يستلزم تغييرا في الشكل ٠ فلسوف نجد ان اسلوب نجيب محفوظ الفني في هذه الرواية يختلف اختلافا كبيرا عن اسلوبه في روايات المرحلة الاجتماعية ٠

لا بد ان يلاحظ قارىء هذه الرواية ان نجيب محفوظ قد عدل عن اسلوبه الوصفي التحليلي المسهب الذي كان يعتمد عليه في رواياته السابقة ٠ فلسنا نجد ههنا وصفا دقيقا للاماكن ولا تصويرا مفصلا للشوارع والازقة والغرف والاشخاص ٠ لقد استعاض الروائي عن ذلك كله بوصف الحركة النفسية للبطل وحده ، وفي سبيلذلك ركز تركيزا كبيرا على الحلم لشرح موقف البطل اومشاعره ، واقتصر على ماهو اساسي حاذفا كل ما عداه من خلفية اجتماعية تعني بتصوير حيوات الناس في دقائقها وتفاصيلها على نحو ما نجد في (بداية ونهاية) او في الثلاثية مثلا ٠

والملاحظة الثانية مرتبطة بالملاحظة الاولى ٠ فالروائي يتناول الحدث من نقطة تأزمه قريبا من نهايته وبذلك لا يعود الزمن هو العنصر الطاغي على الرواية والاحداث والاشخاص بدليل ان هذه الرواية تدور في أيام معدودات ، واذا ما شعر الروائي بحاجة الى توضيح بعض النقاط لجأ الىاسلوبالعودة الى الخلف (الفلاش باك)، وعن طريقهذا الاسلوب عرفنا طرفا منحياة مهران فيعلاقته بزوجته وبصديقه رؤوف علوان على نحو موجز يكفي لانارة الحدث وتوضيح الشخصية الاساسية ٠

وهناك ظاهرة جديدة في اسلوب نجيب محفوظ تطالعنا بها هذه الرواية ، تلك هي اعتماد الروائي على الضمائر الثلاثة في آن واحد[3] ، لقد كان الاسلوب الطاغي على روايات المرحلة الاجتماعية هو استعمال ضمير الغائب والاعتماد على المونولوج في بعض الاحيان اما ضمير المخاطب فلم يكن يرد الا في الحوار ، الا ان نجيب محفوظ استطاع في هذه الرواية ان يمزج بين هذه الضمائر مزجا يسترعي الانتباه ٠ يقول مثلا :

« توقف عن السير حتى ادركه الرجل فتصافحا وهما يغطيان على انفعالاتهما الحقيقية بابتسامة باهتة ٠ اذن بات للوغد اعوان ، وسيرى قريبا ما وراء هذا الاستقبال ، ولعلك تنظر منالشيش مستخفيا ياعليش » ٠

ففي الجملة الاولى سرد عادي بضمير الغائب لايلبث الكاتب أن ينتقل منه الى اسلوب المتكلم في الجملة الثانية فالى اسلوب المخاطب في الجملة الثالثة ٠ وتتكرر هذه الطريقة في كثير من فصول هذه الرواية مع الحاح جديد على ضمير المخاطب ، وبذلك يزاوج الروائي بين المونولوج الداخلي وضمير المخاطب ٠

بهذه العناصر مجتمعة ، خرج نجيب محفوظ على الطريقة في الرواية ، وفتح للرواية العربية درباجديدا ٠

---

(١) انظر : محمود امين العالم : تاملات في عالم نجيب محفوظ ـ الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ٠

(٢) انظر : لويس عوض : مقالات في النقد والادب ص : ٢٤٣

مكتبة الانجلو المصرية ٠

(٣) انظر : انور المعداوي : كلمات في الادب ص ١١٥ ـ المطبعة العصرية ٠

نقد الكتب

ملاحظات حول مسرحية

بيت الزوجية

مهدي السماوي

ما زالت بعض المسرحيات العراقية بعيدة عن الخط الفكري الديالكتيكي ، او عن القيمة لعليا للانسان في صراعه ضد قوى تحاول ان تلتهمه للفوز بالشبع • وتاتي مسرحية (بيت الزوجية) لشاكر خصباك كمثال حي لتلك المسرحيات ، رغم انها في البدء من النوع الذي يدعوك لان تقراها ، لانك تعرف ان كاتبها قدم الادب الجيد ، لكن ما ان تنتهي حتى تشعر بالفجيعة •

المسرحية تدور حوادثها قبل ثورة (١٤) تموز باعوام • وتعتمد على شخصيتين هما ، (صلاح) خريج كلية التجارة ، والموظف حاليا ، والمتزوج من (راقية) خريجة كلية التجارة والموظفة حاليا • وابنة عائلة ارستقراطية كبيرة •

يجمع بينهما الحب فيتزوجان رغم الفارق الطبقي • كبادرة اولية لسقوط (صلاح) السياسي المعروف بنضاله ضد السلطة المبادة ، والثوري الذي يعي ظروف بلده ، ثم نتعرف على (قدري) شقيق (صلاح) ، طالب ثانوية يتخذ من اخيه مثلا اعلى في السياسة ، وينظم ليكون اداة صلبة ضد السلطة المبادة •

والمسرحية تضع امامها اكثر من علامة استفهام • اذ انها لم تبرر معطيات وجودها ، ولم تأخذ القارىء الى مردود ايجابي يقنعه بسقوط (صلاح) •• فالربط بينه وبين (راقية) لم يكن موفقا من ناحية الفكر ، ولم يكن هناك صراع جلي بين الشخصيتين ، بل بدا (صلاح) كظل لراقية • بل انه (عبد) كما وصف نفسه •

اذن لماذا ؟

المسرحية لا تجيب ، والمؤلف لا يعطي خليفة لذلك ، والبطل عنده لا يحمل صليبه ، بقدر ما يحمل عاطفته • اذن هل هو الحب الذي دفع بصلاح الى السقوط السياسي ؟ هل ساوم ضد رفاقه في الحزب ؟ هل باعهم للسلطة المبادة • هل دفعه حبه للتخلي عن عقيدته النضالية ؟

من خلال اكثر التجارب الثورية في العالم نرى ان الحب يدفع للقتال ، يدفع لان يعتنق العقيدة ، حب الارض ، حب الجماهير ، حب الثورة ، اما ان يدفع للسقوط فهذا ما لم تبرره المسرحية •

فهي ناقصة ، والخط الدرامي فيها ينقصه البناء السايكلوجي لان تعبر الشخوص عن آرائها • و « صلاح » في التحليل المسرحي ، شخصية غير واضحة المعالم • سقط المؤلف ، وسقوطه واه • ثم ان الظرف الذي كان يسيطر على البعد آنذاك لا يتيح له ان يترك رفاقه لينام في احضان برجوازية اطلق عليها لقب « صاحبة الجلالة » وفي الوقت الذي تطرد فيه (راقية) والدته واخاه (قدري) ، يظل هو يغازلها ••

وفي الوقت الذي يلقى برفاقه الثوريين في السجن يظل هو ساجدا لها ••

صلاح ـ (بحماسة) سأجعلك تعيشين كالملكة يوما يا راقية • اقسم لك على ذلك •

تلك هي الحية اللائقة بك •

راقية ـ انني متأكدة انك ستفعل • (تضيف متهللة الوجه) وسنعيش في سعادة تامة ولن ينغص **حياتنا منغص •**

صلاح ـ (في حماس) سأفعل يا راقية ، سأفعل • أؤكد لك انني سأفعل • (يتناول يديها ويقبلها وهي تنظر اليه بحنان وابتسامة رقيقة رسمت

على وجهها) ص ٣٩ ·

(وقدري) الطالب المندفع اعطاه المؤلف سن المراهقة (١٧ سنة) سن قابلة للنقد ، وقابله للتغيير السياسي ، وغير حاملة بجدارة لكل مرادفات الوعي الذي يريده المؤلف لها · فلو كان (صلاح) اكبر سنا في الثلاثين مثلا ، وقدري طالب كلية قدم من كركوك الى بغداد ليواصل دراسته · فبأمكانه ان يحمل عبئين في آن واحد ·

الاول انه سياسي يعي التزاماته ويدافع عنها من خلال ادراكه وثقافته · تلتقي ب (صلاح) لانه تحول الى عثرة في طريق الحزب وانضم الى جانب الرجعيه ، ويحاول بذكائه الجماهيري المسبق ، ان يتحول الى لص فكر يمتص قوت الشعب بدرايه خاصة · اما ان يرمي (قدري) بالسجن فهذا ما لا يقره تطور المسرحيه كفن درامي وكفلسفة سياسية تحاول ان تعرض وضعا قبل ثورة (١٤) تموز ·

ويستمر الاستاذ (شاكر) بتقديم شخوص تحاول ان تخدم (صلاح) ··

(سنية) والدته · والتي كانت نموذجا طيبا للام البسيطة ، التي تقدم كل ما لديها في سبيل اسعاد ولدها حتى ولو على كرامتها وراحتها ··

راقية - (في عصبية) في كل شيء · انني لا ادير فندقا · انه بيتي ·· المكان الذي ارتاح فيه · وان لقدري عادات همجية لا استطيع احتمالها · فكلما احتاج الى شيء احدث صوته الجهوري دويا في البيت · وان المنغصات تحيط بي حيثما التفت · وباختصار لست اجد راحة في مثل هذا الجو ·

سنية - (في حيرة ألمة) سامحيني يا راقية · هل نحن مقصرون في خدمتك ؟

راقية - (بتحد) نعم · مقصرون في كل شيء · «ص ٢٦» · واستعمالها لكلمة « ابوس راسك » كان لها وقعا جميلا اضاف اليها نكهة شعبية ، وتستمر الام في صعود السلم الدرامي بروعة · وهي اكثر شخصيات المسرحية بناء وواقعية ·

سنية - « تهرع الى صلاح وتقبل رأسه متوسلة اليه وفي صوتها رنة بكاء » ·

ابوس راسك يا بني · أعطه المنشورات · انه ابوك ·· يهون عليك ان تعذبه هكذا ؟ ابوس راسك يا صلوحي ص (١٨) ·

والام هنا ، هي كل تلك التجمعات الطيبة التي تعيدنا الى حالة التروي والنظر عن كثب للاحداث ،انها المحطة التي بعدها المفترق الخطر ، انها تعني القرار الاخير فيما نسلكه بعد ان نتركها ·

والمؤلف يكتب عليها بالموت ، وهذا ما لا يبرره على الاطلاق · الا لان يتيح لصلاح ان يلهو حسبما يشاء ، فقد كانت هناك شخصيتان تذكر صلاح بالتزامه السياسي وكفاحه ، الاولى (قدري) وقد حكم عليه بالسجن · وشخصية الام التي تذكره بواقعه الانساني المعاش ،والى أي جانب يجب ان يقف ، وقد قذف بها في قبر لا ترجع منه ·

اذن انه يتيح لصلاح التمرغ في السقوط اكثر رغم انه يعطيه مرة الثورة والحريه ·

صلاح - « يتقدم نحو الحاضرين بخطوات غير ثابتة وهو يقول بلطف مصطنع وبلسان ثقيل نوعا ما » من نضمكم لا ترهقوا لوجودي · لا تعكروا صفوكم ·· « يواصل السير في خطواته غير الثابتة حتى يقف امام الرجال فيحني برأسه قليلا ويقول بأدب متكلف : السلام عليكم ايها السادة الكرام · « ثم يتوجه نحو النساء ويحيي رأسه قائلا : السلام عليكن ايتها السيدات ·

« ثم يتقدم من راقية ويبالغ في حني رأسه قائلا : السلام عليك يا صاحبة الجلالة الملكة غير المتوجة · - تلوح البسمات على وجوه الرجال بينما ينظر اليه النساء في استنكار - ص ٦٧ ·

راقية - (في حدة) صلاح ، اذهب الى داخل المنزل ولا تفسد الحفلة · انني فهمت لعبتك ·

صلاح - (في عجب) اية لعبة ؟! الا تريدينني ان اشارك في هذا الاحتفال ؟! اليس هو عيد ميلاد ولدي ؟! أم انك تخجلين من وجود ابن الشرطي بين ضيوفك الاستقراطيين ؟! ص ٦٨ ·

بينما نجد في الخط المقابل للبناء الدرامي (نبيله شقيقة راقية وزوجها الدكتور مجيد) نبيله تحاول ان تنسجم مع زوجها باذلة كل جهدها في ذلك وان تكون كما يريد ، وتهيأ له الظرف الذي يدفعه اكثر للتطور العلمي ، وهي المدرسة المواظبة والعاشقة لوظيفتها ولجهدها نحو الطالبات ·

اما زوجها الدكتور (مجيد) الذي يؤمن بالعلم المتضامن من الحب الحقيقي والصادق والهادف لاجل تكامل البشرية ومع ذلك فالمؤلف يعطيه ، بعضا من الطيبة ويجعلها طيبة اجتماعية ، اذ كان الافضل ان تكون سمة سياسية تحاول خلق الانماء الحضاري لاجل البلد ·

و (نبيله) كانت قريبة الشبه منه ، في السلوك، والهدف ، والروابط الاجتماعية ، ومحاولة الابتعاد عن الارضية الارستقراطية التي انجبتها ·

اما الشخصيات (مها ، اعتدال ، نظيمة) فهي شخوص عليلة ، بوق ارستقراطي مجوف ، ذليل لدرجة انه لا يدافع بكثافة عن مواقعه التي يقف عليها ، وظلت مجرد شخوص عارضة لحفلة (عيد ميلاد باسم) ··

ويبرز من الحفلة (منير) الاقطاعي المتربـــع الترف في المدينه ، من محاصيله في القريه ، وهو صورة عن الاقطاعي التقليدي ، وظل يردد (بلا شك ٠٠ بلا شك) والتي تذكر القاريء بتلك الكلمه التي اشتهرت بين اقطاعـي العهد المباد (موافج) ونوابه حيث الاستعبد والتبعيه ، ويظل (فاضل) الفنان التشكيلي ٠ فانه لان ينطلق من الضياع والقلق واللاانتمائية ٠ والـذى لان ينفـص (فاضل) ؟ الانتماء ٠ انه فنان ومشهور ولوحاته تباع، لكن ليس هذا كل شيء ٠ فهو بلا ارضيه ، والارضيـه لكل فنان صادق واصيل هي الشعب ٠ اما غوغائيـــه التطور التي فرزتها تخمه الحضارة والشبع الراسمالي ، والتي تدخل المشاهد في خطوط عنكبوتيه ، فانها وجهت (فاضل) لغير صالح الشعب ٠ ولغير التقدم الانساني ٠

فالواقعيه الاشتراكية هي الاصل وهي المرسى لكل التجارب الحقيقية للادب والفن ٠ ان ظاهرة فنية وادبيه شوارعها التراث والاصاله الشعبيه هي الرؤيا المنتميه الى اصل الانسان وهدفه في الاشتراكيه ٠

« فاضل » قد يكون متاثرا بواقعه البرجوازي ، وملاحظة ذكيه اذ وضعه المؤلف في مثل ذلك الموقف ، لعل بعضا من فنانينا يتذكرون ان الالتصـــاق بالارض والجماهير والتراث هي الثلاثيه الخالدة لكل فنان واع ٠

وبعد ثورة (صلاح) العبد المواطن المعـــدم ٠ الموظف البسيط ، السياسي المهزوم ، على صاحبة الجلالة (راقية) بعد ان حطمت حياته وطردت اخاه (قدري) من البيت ، وعجلت في موت والدته ، وارهقته بالديون ، وقطعته من واقعه النقي ٠ ثار عليها ، وهنا وصلت المسرحية ذروة جيدة ٠

وكان من الممكن ان يستغلها المؤلف لصالح (صلاح) ويعيده الى البناء السياسي والجماهيري ، وان الهفـــوة التي مرت به هي مرحلية ، وليس هناك مبررات ايدلوجية لارتباطه البرجوازي ٠ فيعود صلبا ، متحديا ، قاسيا ، واعيا لاساليب الحرب الرجعية ، واضعا يده على الانتفاضات والجيوب الفكرية الرديئة التي تحارب البرجوازية منهـــا الثوريين ، ومعرفته للاحلاف الاستعمارية والمعاهـــدات الرجعية ٠

لكن (صلاح) يتمادى كأي طفل ساذج غرير ، فبعد وفاة والدته بأسبوع ، يحاول الانتحار من اجـــل ماذا ؟ هل من اجل سقوطه السياسي ٠ وان الجماهير لا ترحم ٠ كلا ٠٠ بل من اجل حبيبته صاحبة الجلالة « راقية » ٠ ومن اجل طفلهما (باسم) يحاول الاصدقاء (مجيد ونبيله وامها) التعاون ضد الاب البرجوازي والمتسلط ٠ الفوقي في احكامه لان يعدل عن قرار الطلاق الذي طلبته « راقية » ، وبعد ان تسمع خبر محاولـــه (صلاح) للانتحار وانقاذه منها تصاب بحاله الرقه وما امكن الرجوع ٠٠ فقد اثبت من خلال محاوله الانتحار انه الحبيب ٠

ويدخل (صلاح) الى بيت والد زوجته ذليلا كي كلب ، يتنازل عن كل حقوقه ، بشكل يسقط كونه انسانا ٠٠ لكن الحب ، الحب الذى هو من نوع غريب وعجيب يعيدهما ثانية ، ويتجهان حالا الى البيت ٠

المسرحية هنا (ردة رجعية) وطبيعي للمؤلف الحق في ان يعطي لشخوصه الفكر الذي يشاء ، ولكنها بالنسبه للمسرحيات التقدمية التي ظهرت في الاسواق او مثلت فهي (ردة) وفيها التعاطف ما يكفي لاستنفاد الدمـــوع والمناديل ٠

وفي رأي ان يكون اسم المسرحية « صاحبة الجلالة » ليأتي اوقع واقرب الى مضمون المسرحية ، فهي ليست مسرحية اجتماعية اطلاقا ،او كما حاول المؤلف ان يريد ، لان شخوصه تفضحه ، سلوكهم ينم عن انهم سياسيون ، وانهم في ظرف يتيح لهم ان يعتنقوا السياسه ٠

اما « بيت الزوجية » فهو اسم يدلل على ان المسرحية اجتماعية تسعى لان توثق البيت وشد اواصر الرابطـــه المقدسة بين الزوج وزوجته ٠

وانا مع المؤلف في عنوانه « بيت الزوجية » عندما نسقط صفه السياسة عن « صلاح » و (قدري) ومشهد الاسترجاع بين « صلاح وابيه » ونهجم اب راقيـــة على صلاح وطبقته ، ومشهد الحفلة ، كل هذه المشاهد عندما تحذف وخاصة ثورة « صلاح » على زوجته في مشهد الحفلة ٠٠ تكون المسرحية عائلية ، وطبيعي هذا لا يمكن اذ معناه حذف كل جوهر المسرحية ، وبالتالي لا تكون هنـــاك مسرحية ٠

ولو كتب المؤلف المسرحية باللهجـــة الشعبيـــة البغدادية ، لكانت اوقع وافضل لدى القاريء والمشاهد العراقي ان قدر لها ان تمثل ، لان الاستاذ « خصباك » نسى ان ازمة المسرح العراقي هو العنصر النسائي، فادخل في مسرحيته ٠٠ (سبع نساء) عدا الخادمة التي قد يعجب المخرج أن يظهرها على المسرح والمسرحية اخيرا هي تجربة تخطاها المسرح العراقي منذ سنوات مضمونا وتكنيكا ٠

مناقشات

المستدرك على فهرست القصة العراقية

صباح نوري مرزوك

نشرت مجلة الاقلام الزاهرة في العدد المزدوج الثاني والثالث من السنة السابعة الصادر في آذار نيسان ١٩٧١ فهرسا بالقصة العراقية ١٩١٠ ـ ١٩٧١ أعده ياسين النصير وهو جهد يستحق التقدير حيث انه اوقف المطلعين على اسماء اكبر مجموعة من القصص العراقية ٠

والقصة ـ كفن من فنون الادب ـ كتب فيها الكثيرون وهم غير متساوين في ذلك فمنهم الناجح ومنهم الفاشل ، وكتب عنها الكثيرون فكانت موضع عناية الباحثين الاكاديميين في رسائل الماجستير او الدكتوراه لبعضهم فكتب عبدالقادر حسن امين في (القصص في الادب العراقي الحديث) ، والدكتور عمر الطالب في (القصة العراقية قبل الحرب العالمية الثانية) و (الفن القصصي في العراق) ، وعبدالاله احمد في (نشاة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٣٩) ، وشجاع مسلم العاني في (المرأة في القصة العراقية) ، كما كانت موضع عناية النقاد العراقيين كفاضل ثامر وعبدالجبار عباس وزهير الداودي وياسين النصير ومحمد الجزائري ومهدي العبيدي والدكتور علي جواد الطاهر وآخرين ، وقد درسها الدكتور سلوم ضمن كتابه (الادب المعاصر في العراق) ٠

ولما طالعت الفهرست المنشور وجدت جملة من الاستدراكات والملاحظات رأيت في جمعها وتبويبها ونشرها اتماما للجهد الذي بذله النصير واستكمالا للبحث مع ان الاستاذ باسم عبدالحميد حمودي قد استدرك على الاستاذ النصير قبل هذا ٠

١ ـ الملاحظات العـــامة :

جملة امور علينا تصحيحها في الفهرست وهي ما يتعلق بتعديل اسم مؤلف أو اسم قصة او تاريخ ولادة او تكرار او غير ذلك وسأرتب هذه الملاحظات حسب الفقرات التي وردت في الفهرس الاصلي ٠

١ ـ الفقرة رقم ٣ الكتاب ديوان شعر وليس قصة ولذا يحذف ٠

٢ ـ الفقرة رقم ٥ هي عينها رقم ٨٠

٣ ـ الفقرة رقم ٢١ الكتاب الثالث عنوانه (شقة في شارع ابي نؤاس) صفة مكان النقاط ٠

٤ ـ بهنام وديع اوغسطين ولد ١٩٣٥ وليس ١٩٥٦ ٠

٥ ـ الفقرة رقم ٢٤ الصحيح (ح ٠ و) وليس (ج ٠ و) ٠

٦ ـ الفقرة رقم ٣١ مكررة حيث انها نفسها رقم ٣٢ ٠

٧ ـ الفقرة رقم ٣٨ القصة باللغة الكلدانية ٠

٨ ـ الفقرة رقم ٤٦ الصحيح (حسان عباس الكاشي) وليس حسام ٠

٩ ـ الفقرة رقم ٥٠ الصحيح (محمد الحسين الاديب) ٠

١٠ ـ الفقرة رقم ٥٤ تشمل كتابين سقط اسم مؤلفهما وهو (حمدي علي) وكتابه الاول بعنوان (شيخ القبيلة) وليس الفيلة ٠

١١ ـ الفقرة رقم ٥٥ الصحيح (حسين الجليلي) ٠

١٢ ـ الفقرة ٨٢ رسمت ٢٨ وهو خطأ واضح ثم ان كتابه مطبوع سنة ١٩٦٢ ٠

١٣ ـ الفقرة ٨٤ الصحيح (دماء على عنق المساء) وليس (عنف) ٠

١٥ ـ الفقرة رقم ١٣٦ (عبدالرزاق احمد السامرائي) ولادته في بعقوبة ١٩٢٩ وهو غير متوف كما ذكر ٠ وكتاباه الثاني والثالث هما الجزءان اللذان يتكون منهما كتابه الاول (مآسي الغيد) ٠

١٦ ـ الفقرة رقم ١٤٣ الصحيح (عبدالرضا محمد علي : النجف ١٩٢٧) وكتابه (قلوب قاسية) طبع سنة ١٩٤٧ في النجف ٠

١٧ ـ الفقرة رقم ١٤٤ تحذف الان هذه المجموعة لصاحب الفقرة رقم ٧٥ (رقيب احمد اليوسف) ٠

١٨ ـ الفقرة رقم ١٦٥ الكتاب الثاني عنوانه الصحيح (حمودي يتزوج)٠

١٩ ـ الفقرة رقم ١٧٥ (عربي عراقي)هو(عبدالقادر اسماعيل البستاني)٠

٢٠ ـ الفقرة رقم ٢٠٩ القصة مترجمة وفي ايرادها هنا يحق لنا ان نحتج على المفهرس الاستاذ النصير في اهماله لكثير من القصص المترجمة من قبل كتاب عراقيين وانا على هذا الاساس تركت هذه النقطة ولم اهتم بها ٠

٢١ ـ الفقرة رقم ٢١٧ ولد ١٩٢٣ وليس ١٩٣٣ ٠

٢٢ ـ الفقرة رقم ٢٣٠ الصحيح (محمود حسن النذيري البصري) ٠

٢٣ ـ الفقرة ٢٣١ الكتاب رقم ٣ عنوانه الصحيح (غرام الفارس) ٠

٢٤ ـ الفقرة ٢٣٦ الصحيح (ابراهيم حقي محمد) وهي الفقرة رقم ٢ نفسها ٠

٢٥ ـ الفقرة رقم ٢٥٧ كتابه طبع في (بغداد ١٩٢٧) ٠

٢٦ ـ الفقرة رقم ٢٥٩ هو نفسه ٧٦ ٠

٢٧ ـ الفقرة رقم ٢٧٧ الصحيح (يوسف رجيب) ٠

وهناك ملاحظات اخرى أهملت لعدم أهميتها ٠

٢ ـ الاخطاء في سنين الطبع :

مما لا يخفى ان من أهم مقومات الفهرسة ذكر محل وسنة الطبع مضبوطتين ولكنني من مراجعة فهرست النصير رأيت ظاهرة معينة واضحة وهي عدم ضبط سنين الطبع لكثير من القصص ورأيت هنا تصحيح ما تسنى لي ملاحظته واختصارا فاني سأذكر تصحيحاتي حسب أرقام الفقرات التي وردت في الكتاب بالرغم من ان بعضها متكرر، ذاكرا على اليمين رقم الفقرة وعلى اليسار رقم الكتاب في تلك الفقرة واني لعلى علم ان بعضها خطأ مطبعي والاخر خطأ علمي من واجبنا تصحيحه ٠

٣/١١	١٩٦١
٤/١١	١٩٥٦
٥/١١	١٩٦٢
١٣/١١	١٩٦١
٤/٤١	١٩٦٨
٦/٤١	١٩٦٦
٣/٦٦	١٩٦٢

٩٨	١٩٦٧
٧/٧١	١٩٥٤
١٣/٧١	١٩٣٩
٨٢	١٩٦٢
٩١	١٩٤٧
٩٦	١٩٦٦
١٠٧	١٩٦١
١١٤	(ط ١ : ١٩٣٨ ، ط ٢ : ١٩٦٤)
١٣٤	١٩٦٠
٢٤٩	١٩٤٥

٣ ـ الكتب المستدركة :

نذكر هنا ما استطعنا الوقوف عليه من مجاميع قصصية أو قصص منفردة أو روايات فاتت الاستاذ النصير مرتبة حسب الحروف الهجائية لاسماء مؤلفيها :

١ ـ ابن الفرات : (اسم مستعار اتخذه الدكتور احمد سوسة)
١ ـ مأساة اللطيفية • (بغداد ١٩٦٤) •

٢ ـ احمد صبحي (كركوك ١٩٣٨ ـ)
١ ـ التائهون • (كركوك ١٩٦٥)
٢ ـ صرخة العمالقة • (كركوك ١٩٦٣) •

٣ ـ اكرم فاضل : الدكتور (الموصل ١٩١٨ ـ)
١ ـ الزنزانة السابقة لم تعد تجيب (بغداد ، بلا تاريخ) •

٤ ـ أنيس زكي حسن (بغداد ١٩٢٩ ـ)
١ ـ الاخطبوط • (بيروت ١٩٦٥) •

٥ ـ باقر محمد حسين
١ ـ العقل والهوى • (النجف ١٩٥٥) •

٦ ـ بدر درويش الرفاعي
١ ـ الصبر طيب • (بغداد ١٩٥٩) •

٧ ـ بهنام وديع اوغسطين (الموصل ١٩٣٥ ـ)
١ ـ الإيام العمياء والناس الحمقى • (بغداد ١٩٦٥) •

٨ ـ جعفر الخليلي (النجف ١٩٠٤ ـ)
١ ـ خيال الظل • (النجف ، بلا تاريخ) •
٢ ـ يوميات • (١ ـ ٢ ، النجف ١٩٣٥) •

٩ ـ جعفر الشيخ علي
١ ـ آمال وآلام • (الموصل ١٩٥٣) •

١٠ ـ جلال • ك
١ـ الوشاح الاسود • (بغداد ١٩٥٦) •

١١ ـ حازم مراد
١ ـ الرجل الذى يكره النساء • (بغداد ١٩٦٩) •

١٢ ـ حربية محمد
١ ـ من الجاني ؟ • (بغداد ١٩٥٤) •

١٣ ـ حسين ورة الكافلي
١ ـ ولادة وابن زيدون • (بغداد ١٩٦٢) •

١٤ ـ ح • هـ • ن (اسم مستعار اتخذته حورية هاشم نوري)
١ ـ دماء ودموع • (١ ـ ٢ : بغداد ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) •

١٥ ـ خالد الحلي (الحلة ١٩٤٥ ـ)
١ ـ عينان بلا لون • (النجف ١٩٦٤) •

١٦ ـ داود ابراهيم
١ ـ ينبوع الالم • (الموصل ١٩٥٤) •

١٧ ـ ذو النون أيوب (الموصل ١٩٠٨ ـ)
١ ـ الكارثة الشاملة • اقاصيص •

١٨ ـ سليم بطي (الموصل ١٨٨٦ ـ ١٩٦١)
١ ـ الاقدار • (بغداد ، بلا تاريخ) •
٢ ـ طعنة في القلب • مأساة (بغداد ١٩٣٦) •

١٩ ـ سميرة دراجي
١ـ رسالة غفران • (الموصل ١٩٥٩) •

٢٠ ـ صباح صادق
١ ـ قصص للمقاومة • (بغداد ١٩٧١) •

٢١ ـ صفاء خلوصي : الدكتور (بغداد ١٩١٧ ـ)
١ ـ نبت السراج أو رحلة أسبانيا • (بغداد ١٩٥٢) •

٢٢ ـ صفاء مصطفى
١ ـ كاترين • (القاهرة ، بلا تاريخ) •

٢٣ ـ صبية الدبوني
١ ـ مسألة شرف • (القاهرة ١٩٦٧) •

٢٤ ـ طاهر مظفر العميد : الدكتور (بغداد ١٩٣٨ ـ)
١ ـ المسلم الثائر • (بغداد ١٩٥٦) •

٢٥ ـ عبدالرحمن مجيد الربيعي (الناصرية ١٩٣٩ ـ)
١ ـ الوشم • (بيروت ١٩٧١) •

٢٦ ـ عبدالرزاق الشيخ علي
١ ـ حصاد الشوك • (بغداد ١٩٥٠) •

٢٧ ـ عبدالرزاق المطلبي
١ ـ الاشجار والريح • (بغداد ١٩٧١) •

٢٨ ـ عبدالله حسن
١ ـ حادثة غرام نتيجتها موت فتاة • (بغداد ١٣٥٣ هجرية) •

٢٩ ـ عبدالمجيد عباس : الدكتور (قلعة سكر ١٩١١ ـ)
١ ـ مثلنا الاعلى • (بغداد ١٩٣٤) •

٣٠ ـ عبدالمسيح وزير (ماردين ١٨٨٩ ـ بغداد ١٩٣٣ ـ)
١ ـ الصنم المحطم • (نشرتها ابنته ايناس) •

٣١ ـ عبدالواحد خماس
١ ـ حمدي • (بغداد ١٩٥١) •

٣٢ ـ عمر الطالب : الدكتور
١ ـ خمسينات اضاعها ضباب الايام • (النجف ١٩٧١) •

٣٣ ـ علي ابو طبيخ
١ ـ خواطر في الليل والنهار • (النجف ١٩٥٠) •

٣٤ ـ علي غالب الخزرجي (كربلاء ١٩٠٤ ـ)
١ ـ مصباح الظلمتين • (النجف ١٩٤٩) •

٣٥ ـ غالب علي الداودي : الدكتور (كركوك ١٩٣٢ ـ)
١ ـ يا ظالمني (ط ١ : استنبول ١٩٥٦ ، ط ٢ : البصرة ، بلا تاريخ) •

٣٦ ـ فاضل جميل
١ ـ الواجب : رواية وطنية تمثيلية • (بغداد ١٩٥٤) •

٣٧ ـ فاضل جودي الحلي
١ ـ التائه الحزين • (بغداد ١٩٥٢) •

٣٨ ـ فهمي • ع • مصطفى
١ ـ ابن الناطور • (الموصل ١٩٥٣) •

٣٩ ـ فرحان عبدالوهيب
١ ـ نفوس وضيعة • (بغداد ١٩٥٦) •

٤٠ ـ كارنيك جورج
١ ـ نورية • (بغداد ١٩٤٧) •

٤١ ـ كاظم علي الخالصي
١ ـ شعاع على حياة ضاحكة • (بغداد ١٩٥٦) •

٤٢ ـ كريم سيف الدين
١ ـ ابتسامة ربيع • (بغداد ، بلا تاريخ) •

٤٣ ـ محمد سليمان فيضي
١ ـ من صميم الواقع • (بغداد ١٩٤٤) •

٤٤ ـ محمد صالح بحر العلوم • (النجف ١٩٠٩ ـ)
١ ـ العفة • (البصرة ١٩٣١) •

٤٥ ـ محمد طاهر توفيق (كركوك ١٩١٤ ـ)

١ ـ ثمرات قلب • (بغداد ١٩٥٧) •
٢ ـ قصة يوسف • (بغداد ١٩٥٥) •

٤٦ ـ **محمود احمد السيد (بغداد ١٩٠٣ ـ ١٩٣٧)** •
١ ـ الطلائع • (بغداد ١٩٢٩) •
٢ ـ في ساع من الزمن • (ج ١ : بغداد ١٩٣٥) •

٤٧ ـ **محمد الدوري**
١ ـ آخر الاسبوع وقصص اخرى • (بغداد ١٩٥٧) •

٤٨ ـ **محمود لطفي (بغداد ١٩١١ ـ)**
١ ـ جريمة المجتمع • (بغداد) •

٤٩ ـ **محمود نديم اسماعيل (ماردين ١٨٩٥ ـ)**
١ ـ مختارات القصص : مجموعة قصص ادبية مختارة • (بغداد ١٩٢٥) •

٥٠ ـ **مدني صالح الهيتي : الدكتور**
١ ـ اشكال والوان • (بغداد ١٩٥٦) •

٥١ ـ **مليحة اسحيق (بغداد ١٩٢٥ ـ)** •
١ ـ ليالي ملاح • (القاهرة ١٩٥٠) •

٥٢ ـ **ممدوح مولود**
١ ـ مبادىء من باريس • (بغداد ١٩٥٧) •

٥٣ ـ **مهدي السويج (البصرة ١٩٢٤ ـ)**
١ ـ ١٢ قصة نافعة • (النجف ١٩٦٩) •

٥٤ ـ **ميخائيل تيسي (بغداد ١٨٩٥ ـ ١٩٦٢)**
١ ـ ضحية العدالة : رواية اجتماعية اخلاقية انتقادية فكاهية • (بغداد ١٩٢٩) •
٢ ـ مرآة الحال : روايات اخلاقية اجتماعية صدرت سلسلتها الاولى بتوقيع م • نجاتي وهي تتالف من :

أ ـ السارق يسرق أو الجزاء العادل • (بغداد بلا تاريخ) •
ب ـ المال والرجال أو ضحية الجهل • (جـ ٢ : بغداد ١٣٤٥هـ)
ج ـ الميت الحي أو جزاء الخيانة • (جـ ١ ـ ٢ : بغداد، بلا تاريخ)

٥٥ ـ **ميرزة شير علي**
١ ـ رياض • (بغداد ١٩٤٨) •

٥٦ ـ **ناجي جابر**
١ ـ الحصان الاخضر وقصص عراقية اخرى ـ (بغداد ١٩٥٦) ـ مع آخــرين •

٥٧ ـ **ناظم كاظم الجلبي (كركوك ١٩٣٥ ـ)**
١ ـ الزوج السجين • (بغداد ١٩٥٤) •

٥٨ ـ **نايف نصر**
١ ـ الخنفساء الذهبية • (النجف ، بلا تاريخ) •

٥٩ ـ **نزار سليم**
١ ـ رغم كل شيء • (بغداد ١٩٧١) •

٦٠ ـ **وهبي حسين كوزهجي (كركوك ١٩٤٢ ـ)**
١ ـ الشمعة الاخيرة • (كركوك ١٩٦٥) •

٦١ ـ ••••••• **(المؤلف مجهول)**
١ ـ فتاة بغداد • (بغداد ١٩٢٢) •

هذا ، ما تيسر لي جمعه من المستدركات التي فاتت اخينا المصير ، وهذا لا يعني ان استدراكنا هذا هو الاخر يكتمل به فهرست القصة العراقية ، ولكن هناك قصصا كثيرة ربما قد فاتتنا •

في العدد القادم :

● مصادر دراسة القصة القصيرة في العراق •
فهرست واسع أعداد أحمد فياض المفرجي •

كما تواصل الاقلام القاء الضوء على الادب العربي في أقطار المغرب العربي فتنشر قصتين من تونس •

● قصة جديدة لانور الغساني

شعريات الاقلام شعريات الاقلام

اعداد علي ضياء الدين

الاتحاد السوفيتي
- متحف لستانسلافيسكي
- في ذكرى شوارز ٠

فرنســـا
- مسرحية جديدة لانوي
- جوائز الكتب الاجنبية

بريطانيا
- لغة الشعر الميتة
- رجل حدثي

الولايات المتحدة الامريكية
- معرض الوجوه
- معرض فني سوفييتي
- كتاب عن هنري جيمس

بلجيكـا
- معرض هنري ميشو

الاتحاد السوفييتي

متحف لستانسلافسكي

« هنا كانت تعيش عبقرية المسرح ، هنا كان وعي المسرح ، هنا كان قلب المسرح ٠ من هنا اعطتنا عبقرية ستانسلافسكي النور لنا جميعا »

هذه كلمات قالها (ايفان موسكفين) فنان الشعب السوفيتي وواحد من اقدم الاعضـــــاء في فرقـــة Moscow Art Theatre ، وهو يشرح تلك العاطفـــة العميقة التي تجتاح كل زائر حين يمر بعتبة ذلك البيت ذي الغرفتين الكائن في شارع ستانسلافسكي ، المعروف سابقا باسم شارع (ليونتيفسكي) ، وفي هذا اعتبار واحترام كبيران لذلك الشخص الذي كرس حياتـــــه للمسرح ٠٠



تؤدي الاعمدة الخشبية المنقوشة للسلالم الواسعة ، الى شقة ستانسلافسكي في الطابق الاول حيث كان يؤدي فيها مع ممثلي فرقته التمارين الاولى ، ويعطي الدروس لطلاب الاوبرا وستوديو الدراما ، ويخطط للانتاجات التي ستعرض بعد ذلك بواسطة طلابه على خشبة المسرح الذي يحمل اسمه ٠

من قاعة المدخل الفسيحة ، يمكن للمرء ان يدخل عبر ممر ضيق الى (معمل) ستانسلافسكي كما هـــو حيث كان يجرى تطبيقاته في اصول التمثيل ٠ الغرفـــة بسيطة ذات رفوف عديدة للكتب ٠ الجو مثالي ومشجع على التأمل والعمل المبدع ايضا ٠ وبجانب السرير يوجد هاتف يربطه باصدقائه في المسرح خلال فترات مرضه ٠ وفي هذه الغرفة وضع ستانسلافسكي مخطوطة كتابـه (الطريقة) الذي يضم نظرياته الرائعة في فن التمثيل ٠ وتضم الغرفة الصغيرة التي تقع تحت سطح المنزل مباشرة صورا فوتوغرافية من (البوم)العائلة ، نرى فيها ستانسلافسكي طفلا وشابا ويمكن ان نرى الستارة الحمراء التابعة لمسرحه في البيت ٠

٢ ـ في ذكرى (شوارز)

بمناسبة مرور خمسة وسبعين عاما على ميـــلاد الكاتب المسرحي السوفييتي الموهوب (ايفجيني شوارز ١٨٩٦ ـ ١٩٥٨) ، كتب (نيقولاي شوكوفسكي)فـي مجلة « الادب السوفييتي » مقالا تضمن بعض الانطباعات التي كونها نتيجة صداقته الحميمية والعميقة للكـــاتب والتي استمرت فترة طويلة ٠

شعريات الاقلام شعريات الاقلام

يقول (شوكوفسكي) : انه لمن الصعوبة بمكان ان اكتب عن (شوارز) ، لا لشيء الا لاني قد عرفته جيدا جدا ولمدة طويلة . تقابلنا وربطتنا في الحال صداقة . وكان ذلك بعد وصوله الى « بتروغراد » سنة ١٩٢٢ . ولقد رأيته للمرة الاخيرة قبل وفاته بشهر في ١٩٥٨ . لقد ارتبطنا سوية ، وتكلمنا كثيرا ، اتفقنا على اشـياء كثيرة ولم نتفق على اشياء اخرى ، ولقد رأيت فيه الاخ قبل الصديق .



ولد (شوارز) في (قازان) عام ١٨٩٦ . كان ابوه بجامعة قازان وتزوج عندما كان طالبا مـن « ماريـا فيودوروفنا شيلكوفا » .

عندما كان في الثانية من عمره ، اخذه ابواه معهما الى شمال القوقاس ، الى مدينة (مايكوب) . وفي اعوام الحرب الاهلية عاش في (روستوف اون دون) . وهناك بدأ يكتب الشعر للمرة الاولى ، كان معظمه شعرا هزليا ، وفي تلك المدينة اصبح ممثلا ، وهناك تزوج .

جاء الى (بتروغراد) في تشرين الاول « ١٩٢١ » . وكانت (بتروغراد) ولمدة طويلة حلم الحيـاة عنـد (شوارز) ، الحلم الذى حاول تحقيقه على مدى سنوات عديدة . لقد نهل « شوارز » من الادب الروسي ، احبه الى درجة الجنون ، وكل عالمه الداخلي قد تشكل به . ان بوشكين ، غوغول ، تولسـتوى ، دوسـتويفسكي ، ليسكوف ، والاكبر اهمية ، تشيخوف ، لم يكونوا معلميه فقط ، ولكنهم رفاقه اليوميون ، ومرشدوه الى كل فعل، لقد كان هؤلاء هم الذين بلوروا ذوقه وآراءه .

لقد كانت (بتروغراد) مدينة الادب الروسـي . عرفها جيدا من الكتب قبل ان تقع عيناه عليها ، واحبهـا قبل ان يراها ، وكان في نفسه خوف منها قليل ، وها هي الان (بترغراد) تروعه بشمسها الرائعة .

وارتبط في (بترغراد) بجماعة ادبية اسمها (الاخوة سيرابيون) وانظم الى (نادي بيت الفنون) وبدأ الناس يألفونه كما لو انه قد عاش معهم مائة عام .

لقد كان (شوارز) فقيرا جدا ، وكان يجـد في العمل من اجل قليل من النقود . وقد ارتبط بصداقـة مع (نيقولاي اولينيكوف) . واحب الواحد الاخر ، واحب كلاهما اضحاك الناس واضحاك نفسيهما ، اذ رأى كـل منهما الجانب المسلي الذي يبدأ يثير الجد والاهمية .

وهكذا كانت اول اعمال (شوارز) اشعارا هزلية كان يكتبها في كل مناسبة وبلا مناسبة . وبـدأ مـع (اولينيكوف) العمل في قسم الاطفال في (دار الدولـة للنشر) ، وكانت هذه طفولة أدب الاطفال ، الطفولـة السعيدة .

كان (ايفيجيني شوارز) كاتبا ــ وجد نفسه ــ في وقت متأخر . فلقد كانت السنوات العشر الاولى من حياته الادبية مليئة بالمحاولات ، والاحلام ، الاشعار المحلية . وبعد بحث طويل وجد (شوارز) مكانه في المسـرح ، في الدراما ، وبدأ عمله ككاتب مسرحي لمسرح الاطفال . ثم بدأ يكتب للكبار بعد ذلك . وفي عام (١٩٣٤) طبـع مسرحية اطلق عليها

The Aduentures of Hohenstaufen

وكرس النصف الاول من الثلاثينات للبحث عـن المجال الذي يمكنه ان يعبر من خلاله بحرية عن افكاره وفلسفته الشخصية . والواقع أن اول اعماله المسرحية ذات القيمة The Naked king little Red Ridding-Hood ثم عام (١٩٣٤) .

لقد استخدم (شوارز) الحبكات القديمة كما فعل الشاعر الانكليزي (وليم شيكسبير) ، وحكايات الجنون كما فعل (غوته) في (فـاوست) ، وكمـا فعـل (بوشكين) في (التنقيب عن الحجر) ، حيث استخدم الصورة المأثورة لدون جوان . وكان العمل الرئيسي في اواخر عمره هو (دون كيشوت) .

فرنســا

١ ــ مسرحية جديدة لانوي

كان (جان انوي) قد كتب سابقا عدة مسرحيات : « انتيغون » (اوريديس) ، و (ميديا) ، وهاهـو الان

يأخذ (الكترا) في مسرحيته الجديدة (كنت لطيفا جدا عندما كنت مغيرا) التي قدمت في باريس خلال هذا الموسم في (مسرح انطوان).

والواقع ان عددا من المسرحيات الاغريقية التي تدور حول عائلة (اتروس) قد دفعت كتاب المسرح الى استلهامها. منهم (فون هوفمنستال) في مسرحية (الكترا) — والتي صارت موضوعا لاوبرا شتراوس — ذات الاجواء الفرويدية الفاتنة، ثم (اونيل) و (جيرودو)، وهما، رغم النقص الموجود في الحقيقة الموضوعية الكلاسيكية، استطاعا ان ينجزا تفسيرات تستغرق في التحليل النفسي لـ (الكترا).

ان (انوي) الذي عرف عنه مقدرته الفائقة في التكنيك المسرحي، وضع نفسه في مهمة معقدة. فهو في دفعة واحدة، يستحضر ليس الثلاثية المسرحية لالكترا، ولكن ثلاثيات عدد من المسرحيات ومرة واحدة. وعمله الدرامي الجديد يسر على ثلاثة مستويات. وتندفع وسائل التأثير المسرحي بقوة احيانا.

على يمين المسرح، جماعة تطوف، تقرر اصلاح التراجيديا الى الابد، توافق على اعادة صياغة (انوي) لـ (سوفوكليس). يعاني المفسرون الشيزوفرينيا من واجباتهم الابدية.

على يسار المسرح، اعضاء اوركسترا محلية، تشارك المسرحية موسيقى عرضية في لحظات الذروة. احاديث عن شؤونهم المفضلة، وفي النهاية، يهم الاخوات الثلاث البشعات على الممثل الذي يقوم بدور (اورستيس) لانه قد قتل اخاه (في المسرحية).

ولعل افضل مشاهد المسرحية ذلك المشهد الذي يدور خلاله الحديث بين (ايجميسثياس) و (اورستس). وفي حديث اخذ منه عنوان المسرحية يذكر (ايجميسثياس) (اورستس) بانه كان طفلا ساحرا، ويحذره بانه مع القتل سيتحول الى نسخة مطابقة لضحيته.

ان (الكترا) ليست الدور الرئيسي في مسرحية (انوي) وليست هي البطلة التراجيدية.

٢ — جوائز الكتب الاجنبية.

اعلن الكتاب الفرنسيون قراراتهم الخاصة بجوائز (احسن كتاب اجنبي) لعام (١٩٧١). ففاز بجائزة القصة الكاتب اليوناني (ستراتيس تسيركاس) عن قصته «مدن في مهب الريح» وفاز بجائزة المقال والبحث كتاب (لفين توفلر) الاميركي عن كتاب «صدمة المستقبل».

وكان صاحبا الكتابين من بين الذين حضروا حفل اعلان الجوائز.

وقد تقررت هذه الجائزة ابتداء من عام ١٩٤٨ وتمنح كل عام لكاتب لم تنشر له اكثر من ثلاثة مؤلفات باللغة الفرنسية.

ومما يذكر ان هيئة المحلفين التي تمنح هذه الجائزة سبق لها وان اكتشفت (ميجيل انجيل استورياس) عن قصة «سيدي الرئيس» في عام (١٩٥٠) و (لاجركيفيست) عن قصة «باراباس» عام ١٩٥١.

وتجري احداث قصة (ستراتيس) — مدن في مهب الريح — في ثلاث مدن من مدن الشرق الاوسط هي: القدس والقاهرة والاسكندرية. وذلك اثناء الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي كان جيش (روميل) يهدد مصر وفي الوقت الذي كان الالمان يحتلون فيه اليونان. وقد صرح المؤلف قائلا «ان قصتي تظهر انفجار ميلاد القوميات» واضاف (انه استعان باشعار جورج سيفيريس في ابتكار روايته).

اما دراسة الاميركي (الفين توفلر) فتتناول تطور الحضارات في الوقت الحالي. **ويؤكد الكاتب ان اوربا** يجب ان لا تحتذي النموذج الاميركي في تطورها. **وقال** انه من الخطأ الاعتقاد بان المستقبل **سيكون في تعزيز** المجتمع الصناعي. **وقال ان كل دولة ستتطور وفق** الاتجاه الذي يلائمها.

كما تناول (توفلر) في بحثه مشكلة الانفجار السكاني في العالم وقال «اننا نقف على اعتاب ما يمكن ان يصبح هيروشيما بيولوجية» **ودعا الى ضرورة اتخاذ اجراءات للتحكم في القدرة التي ستتوافر للانسان قريبا في خلق الآف البشر.**

بريطانيا

١ — لغة الشعر الميتة

ورقة امتحان. الموضوع: مقال (ماري ويد) الموسوم بـ (لغة الشعر الميتة) والمنشور في (الصاندي تايمس). يناقشها (ادريان ميتشيل) في نفس الصحيفة بشكل نقاط.

١ — هل تكتب القصائد للاجيال القادمة؟ ناقش.

من كل جيل يبقى العدد القليل جدا من القصائد،

شعريات الاقلام

ليس جميعها جيدا • غير ان شاعرا يطالب بالكتـابة للاجيال المقبلة ، ربما يعزي نفسه فقط على فقدان الجمهور المرئي ، وهو ايضا يخدع نفسه • كيف يستطيع ان يعرف ما يريده الجيل المقبل ؟ • التاريخ يسرع • الحياة اليومية تسرع • المجتمع يتغير ، اللغة تتغير • وفي كل تقديـم لشيكسبير تحذف سطور ، نكات لا معنى لها تحـذف ايضا • وغالبا ما يكون هناك عاقل يعيد الكتابة من جديد• في مائة عام او بهذه الحدود يمكن ان تكون ترجمـات كاملة لشيكسبير ضرورية • (شوسر) الان عمل صعب، بينما يكون (بولف) منطقة غريبة •

ان الاجيال المقبلة ، يجب ان تأخذ فرصها • تكتب القصائد لانها يجب ان تكتب • انها لكل من سيقراهـا او يسمعها •

٢ ـ معلمو التلاميذ عند (ماري ويد) : ـ أ ـ لا يعرفون كتابهم المقدس، الميثولوجيا الكلاسيكية او الفولكلور ؛ ـ ب ـ لا يعرفون اللاتينية ، ـ ج ـ لايعرفون الريف ؛ ـ د ـ لديهم مفردات قليلة ولا يضبطون النحو • علق •

اي وابل من النقاط دال على الجهل ! بالنسبة لي ، قضيت ثمانية اعوام ، ست ساعات في الاسبوع ، اتعلم اللاتينية • وفي نهاية المدة تعلمت القليل باستثناء اسماء الالهة الرومانيين • والحقيقة اني كنت خصما عنيدا لفرجيل ، ومع ذلك فلقد احببت (هوميروس) الـذي قرأته مترجما فقط • ولكنني انهيت اللاتينية وحصلت على شهادة مدرسية •

ليس هذا فقط ، بل لقد رهنت نفسي لعدد مـن الكنائس الكبيرة منها والصغيرة ، ولدراسة الكتـاب المقدس ، المزامير والحماسة الدينية المنومـة • التي قضيت فيها عددا من السنين ، اترهب من لمس اي شيء، حتي نفسي • عرفت عن الريف ايضا • كان في امكـان والدي ان يأخذني هناك • وبالنسبة للنحو فان اعرابي كان مفخرة •

ولكنني افتقد النظر الى اولئك المعلمين الاميين بشكل واضح ، الذين اصفهم على انهم قد دخلوا جلود القوارض والـذين يواصلون العواء • ماذا يشبه شـعرهم ؟ اذا كانوا لا يعرفون اللاتينية فانى لهم ان يعرفوا ؟ هل تجيبهم على ذلك (ماري ويد) ؟

كنت قبل مدة قليلة في جامعة (نيوانكلند) ، اعمل مع ثمانية وعشرين طالبا من فروع متباينة في مشـروع كتابة جماعي • من بين اعمالهم ومهاراتهم كانت ، الالعاب الاكروباتيكية ، التمثيل ، البستنـه ، الالكتـرون ، الكومبيوتر ، الاخراج ، صيد السمك ، صناعة الافلام ، تنظيم الحدائق ، صناعة الحلي ، الرسم ، التصويـر الفوتوغرافي ، النحت ، التصميم ، هندسة الصوت وغيرها• خمسة منهم كانوا ملحنين ، تسعة يمكنهم الرقص ، اثنا عشر يغنون ، تسع عشرة يكتبون عددا من القصـائد او القصائد الغنائية ، اربع عشـرة يعزفـون على الات موسيقية ، البيانو ، الترومبون ، القانون ، الغيتار ، الفينه ، الاجرس ، الارغن الكهربائـي ، الطبـول ، الماندولين ، القيثارة • بعضهم قرأ (ملتون) • بعضهم قرأ (فانون) و (مالكولم اكس) ولا يمكنني ان ادعو هؤلاء جهالا •

٣ ـ تكتب (ماري ويد) : « يمكننـي ان ارى بان على المرء في الموقف الشديدة الحزم ، الشائعة في مدارسنا بازدياد ، حيث الاطفال محرومون متأخرون وربما ليسوا اذكياء جدا ، على المرء ان يعمل ما يمكنه وعليه ان يكون مستعدا للتصويب في الموضع المتواضع جـدا » • قارن واكشف عن وجوه الاختلاف الصارخة •

لا • لعل الهدف ان لا يكون هدفا متواضعا قط امام واحد يحطم اسباب الحرمان بكشفها وتوضيحها • هؤلاء الاطفال الذين لديهم الحاجة العظمى للشعر ـ شعرهم الخاص • لانه يعطي لاصواتهم الفرصة لان تكون مسموعة كما قد برهن ذلك (كريستوفل ـ سيرل) •

ولكن ربما يكون الشعر في المدارس شعرا مهدما كثير منه مخرب ينير امكانية الشـباب الانطباعية على الاسراف في الشراب والممارسة الجنسية والاسـتهزاء بالسلطة ، وحرية الاغتصاب ، واللامبالاة للملكية الخاصة، والكف عن الاشتراك الفعلي في الاحداث •

ويستمر (ميتشيل) في الحديث : « لان الشعر ليس موضوعا • انه تجربة • فأحسن الطرق لتعلمـه هو ان تمارسه نفسك • وعندما تتحقق لم انت غير واف له ، ستنطلق الى ـ ملتون ـ » •

الشعر يد رائعة ، يمكن ان تكون اداة عناق او اداة وخز • يمكنها الاطباق والقتال • اليد حارة ، خذها او اتركها •

٢ ـ رجل حدثي لايريس مردوخ

تعمل (ايريس مردوخ) على ابراز الطابع الفلسفي في اعمالها ، ويبدو ان ذلك قد جعلها في موضع الاحتكاك الممتع باقدار الناس • وهي في رواياتهـا ، تشـبه الى حدما ذلك المنكت الذي يطلق مداعباته الميتافيزيقيـة السمجة ، تشد شخصياتها وتربطها في طرق الانغماس

شعريات الاقلام

بالصدفات غير المحتملة ، حيث تبدو حيواتهم من خلالها ليست اكثر من سلسلة من الاحداث الانفعالية والنزوات. ونجد (مردوخ) لديه خاصية لاحباط اية محاولة للاحتدام عند الاجراءات العقلية ، كما لو ان هذه الاجراءات العقلية اوهام العظمة عند حيوان مغرور . وفي النتيجة ينقهقر نسيها الى دمى في عرض كوميدي (بانش وجودي) (حيث يتخاصم المغرور بانش ذو الانف المعقوف مع زوجته جودي بشكل مضحك للغاية) وفي الوقت الذي نكون فيه في حالة من السرور ، نكون غير مقسين ايضا . هؤلاء الذين هم مثلنا ، والذين ما زالوا يشعرون بالغاية العنيدة ، مثابرون ومتواصلون توجع الاسنان ، ينبضون بيننا ، وربما يتفوهون حتى الاساءة بدلالة لسان الانسة (مردوخ) ذلك اللسان الناطق بما هو وراء الطبيعة .

وربما هي نفسها تعترف بهذا ، بالنسبة لروايتها الجديدة (رجل عادي) . ان شخصياتها ما زالت تتصرف بشكل غير منتظم ، ولكن لاسباب افضل . تسلم الانسة (مردوخ) بانه في الاوضاع المطلقة فقط يستطيع الناس ان يكونوا متحررين في الافعال المطلقة .

وكما لاحظ (ستيفن) مرة ، بان الحياة مارق ، وجدت المؤلفة الطريق الطبيعي لتوازن شخصياتها على حافة ذلك المارق . ولاسباب تافهة سخيفة ، كان عدد منها يسرع لتبدا حيواتهم ثم تنتهي مرة اخرى .

فبعد ان تكرس (شارلوت) معظم حياتها للعناية بامها، تنفتح واسعة عندما تموت تلك المراة الطاعنة بالسن .

ل (ماتيو) عمل زاهر ، ولكن عندما يمر تقاعده بشكل غير سليم ، يجد شيئا ما يعمله مع كل الامكانيات التي طورها باستمرار والتي ترفض ان يصيبها الضمور . تبدد (ماتيز) احسن سنوات عمرها بعمل غير مجد لانها كانت قد لاقت خيبة امل في الحب، وها هو اهتمامها الجديد يخيب املها ثانية . علاقة (اوستن) بزوجته اعطته ثروة لكنها بخلت عليه باشياء اخرى .

هناك شباب مثل – كارث ولودفيج – في نفس الوضع ، مواجهون باعادة تقييم جديدة لما كانوا يعتقدون بانهم يريدونه او يفعلونه . ولكنهم اقل استمتاعا . وانه لشيء مألوف ان نرى الشباب يتلمسون طريقهم نحو فلسفة شاملة للتاريخ غيرانهم ما يزالون شديدي الليونة بحيث يمكنك ان تسمع قرقعة عظامهم. انهم لاشبه شيء بالعذارى اللواتي يصعدن الى سرير بارد في الظلام مع غريب .

عندما تموت (ام شارلوت) اخيرا ، تترك كل شيء لجدتها ، كما لو انها قد اقتصرت العمر – حتى العمر الذي يدنو – لتبدد اموالها عليه . انه لامر باعث على الانتحار وشديد الاذى في نفس الوقت ان تتمسك بنفسها . تستاجر (شارلوت) شقة وتقضي ليلتها الاولى فيها تتعقب اوكار (العيارز) الذي عثرت عليه في خزانة، وهي الاوكار المرجوة غير المحكمة بنسائها . وانها لضرورة قصوى ان تضيف بانها لم تحمل من قبل عيارا بيديها. وعندما لا تظهر زوجة (اوستن) ، تراه يسير في الشوارع كل يوم باحثا عن زوجته . (ماتيو) الدبلوماسي المتقاعد يجد ان لديه الموهبة في اصدق الارواح المضطربة من معارفها وهي الهاجس الجنسي عنده وهو مستعبد بها . (لودفيج) يحب (عراسي) ، ولكن عليه ان لا يتزوجها لانه يعرف بانها ستحذره ولا شك بالسعادة ولسوف تضعف امكانياته . (عراث) الذي لا يستطيع ان يجد عملا زاهرا يتزوج (عراسي) . يعود (ماتيو) الى اميركا مساعدة (لودفيج) .

هناك بعض اللحظات الجميلة في الكتاب . حين يلتقي (ماثيو) و (مافيز) بعد عشرين عاما ، يدعوها الى وجبة غداء انيقة ، ويفكر . «لماذا يحدق في هكذا عندما كان الخادم يصب الزيت) ؟ . وهو يشعر بان دعوة الغداء تسير بشكل خاطيء وغير مرض ، يسمي نفسه (ينبغي الانتهاء في التاسعة صباحا عند الجسر) . عندما يدهس (اوستن) طفلا بسيارة (ماتيو) ويقتلها يفكر ابنه(عراث) : « لان الطفل يستطيع ان يخطو في الطريق ويموت ، هناك طريق معين كان من الضروري ان يعيش فيه » .

يجد والد الطفلة الدليل على ان (اوستن) كان ثملا وقت الحادث ، فيبدا بابتزاز امواله تحت التهديد . لكن الانسة (مردوخ) تقدم لنا ابتزازات اخرى بتفصيل عجيب .

قال (جون ديوي) باننا نفكر عندما يجابهنا عائق . ولان (مردوخ) فيلسوفة ، تعرف بالضبط اي نوع من العوائق يثير شخصياتها .

الولايات المتحدة الاميركية

١ – معرض الوجوه

عندما رسم (رافائيل) لوحته (مدرسة الاثينيين) في الاعوام الواقعة بين ١٥٠٩–١٥١٢ ، شن – مع جماعة من جيله – ثورة فنية واجتماعية . اللوحة تصور لنا

رجالا متعلمين من اليونان القديمة ، وقد وقف (رافائيل) بينهم •



كان الفنانون قبل (رافائيل) يتامون ، وبشكل عام ، انفسهم على انهم مركز انتباه شديد من قبل العامة • ولقد اعتقد اليونانيون القدماء بان الرسامين والنحاتين هم اقرب الى طبقة التجار منهم الى الاكاديميين ، لان عملهم يعجز باليد • ولقد احترمت اوربا ، في العصور الوسطى ، الفن وليس شخصية الفنان • ولكن مع بروز (رافائيل) والنهضة الايطالية ، تغير كل هذا حيث بدأ الفن يكون له شخصية مرموقة ومكانة في العالم •

هذا التحول ، يمكن ملاحظته في معرض صغير اقيم في (متحف ميترو بوليتان) تحت عنوان (صور الفنان) • لقد امتلأ بصور الوجوه الفرحة وغير الفرحة ، الصافية والمشوهة • وفي البدء يخشى الفنان أن يعمل اكثر مما يدخل التجمعات الدينية والكلاسيكية ، كما فعل (رافائيل) •

في هذا المعرض ، يمكن لنا مشاهدة صور الوجوه التي رسمها الالماني (ديرر) لـ (اوغسطين هيرشفوجيل) والفرنسية (اوليد غارد) وقد رسمت نفسها جالسة عام (١٧٨٥) •

ولكن ، مع ظهور رسامين من امثال (غـويا) و(سيزان) ، حدث تحول متطرف في فن الرسم • ان الفنان لان متأكد من اهميته ، وهو يعمل بما لا يسيء الى نفسه او جمهوره •

ولقد كان (غويا) ، فوق كل شيء ، ينظر الى ما بعد الظهر ، ويرى ابعد من جمهوره • واستحضر (سيزان) الصورة الذاتية بنفس الاهمية •

نرى في هذا المعرض ايضا (الصور الفوتوغرافية) المشوهة للرسام (لي فريد لاندر) التي اخذت بين (١٩٦٥) و (١٩٧٠) •

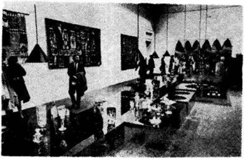
٢ ـ معرض الفن السوفيتي

المعارض الثقافية المتبادلة ، اداة ذات تاريخ طويل • وقد وجدت اصلا تعبيرا عن الاحترام والتقدير ـ وهاهنا ، في هذا المعرض ، نرى حزما من الخيوط الحريرية ، والخرز ، الرقيق ، الببغاوات ، والمواضيع المطعمة بالجواهر وغيرها •

ولقد كان في برنامج التبادل الثقافي بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، اقامة معارض الفنون البلدين • وعلى هذا الاساس اقيم خلال الشهر المنصرم ، في العاصمة الامريكية ، معرض سوفيتي تحت عنوان (فنون وحرف الاتحاد السوفيتي في الماضي والحاضر) •

ضم هذا المعرض مجموعة ضخمة من المواضيع الحرفية والفنية بلغت حدود الـ (٢٠٠٠) قطعة تغطي مساحة تاريخية واسعة تقارب من (٤٠٠٠) سنة • ابتداء من حجر منصور ما قبل التاريخ وحتى بداية القرن التاسع عشر الذي شهد (السماورات) الفضية • من القرن الخامس قبل الميلاد الذي برز في الرؤوس الخشبية والذهبية وحتى التماثيل الصغيرة الحجم •

ولعل اروع ما في هذا المعرض ، الايقونات والتحفيات «الامبراطورية الغنية • وعند هذا يتساءل « روبرت هوفز » المحرر الفني في مجلة (تايم) الامريكية هل يمكن اعتبار الرجال الذين صنعوا (الطاسة) التي نصفها قارب ونصفها الاخر طير ، للامبراطور (ميخائيل فيدروفش رومانوف) في (١٦٢٤) ، هل يمكن اعتبارهم فنانين فولكلوريين ؟ ويجيب نفس المحرر على هذا السؤال بالنفي • لان هذا النموذج الرسمي الصرف

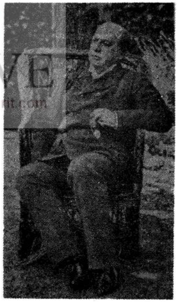


والذ يتجلى فيه التبذير الامبراطوري ، يختلف اختلافا شديد الوضوح عن الاعمدة المزخرفة والمغازل ، عن لاشكال المصورة للاقاليم والمقاطعات الروسية ·

غير ان ما يوحدها جميعا هو الحب الانفعالى للتفصيل الزخرفي · ان الشهوة الروسية للتزين يمكن لمسها بوضوح في كل انج مربع ، كما هو واضح في السرج الاحمر الرائع الذى جلس عليه « ايفان الرهيب » حيث طعم بالذهب واللالىء ·

٣ - كتاب عن (هنري جيمس)

مع نشر الجزء الخامس والاخير من كتاب (الاستاذ) لمؤلفه (ليون ايدل) ينتهي واحد من اروع الاعمال الادبية في زمننا المكرسة لسيرة حياة « هنرى جيمس» اعظم الكتاب الاميركيين ·



عندما ظهر الجزء الاول من هذا المؤلف تحت عنوان (الحياة) عام ١٩٥٣ كان من الممكن ان نتلمس نوعا من الرعدة التي حدثت بين جماعات الطلبة · وبعد اهمال شديد ، اصبح (جيمس) موضوعا من المواضيع النقدية الكبرى والدراسات الاكاديمية · والنوادر التي تروي عن حياته لها مذاق ونكهة في الاحاديث خاصة · ولكن عندما تأتي المناقشة الى المجال الجدى ، يسدل الستار عن كل هذه الاشياء التي هي خارج الادب اساسا ·

وكتاب « ايدل » هذا ، علاوة على كونه كتابا ممتعا للغاية ، استقبلته الاوساط الاكاديميه بارتياح شديد والواقع ان هناك اتجاهين نقديين اساسيين في هذه السيره · الاول هو ان المؤلف قد اعتمد كثيرا على المنابع السيكولوجية للعمل الابداعي عند (جيمس) وبصورة خاصة احساس التنافس العميق والعصابي المتواجد بينه وبين أخيه الاكبر ، الفيلسوف الشهير (وليم جيمس) · والثاني هو ان السيرة ، مهما كانت مميزات اسلوبها فهي ببساطه ، طويلة جدا بالنسبة لموضوعها ·

عن اول هذين الاتجاهين النقديين يمكن ان يقال الاتي : انه يتجه نحو منبع تفسير ووصف المؤلف لحياة (جيمس) الداخلية ·

في هذا الجزء الذى نتحدث عنه ، مثلا ، يخرج علينا (ايدل) برسالة استثنائية ورائعة مؤرخة في « ١٧ تموز ١٩٠٥ » يرفض فيها (وليم جيمس) عضوية اكاديمية الفنون والادب التي كانت قد تأسست حديثا ·

لقد كان من (وليم) و (هنري) اعضاء في البناء الاساسى للاكاديمية ، المعهد الوطني للفنون والاداب ، منذ تاسيسه في ١٨٩٨ غير ان (هنـــرى) قد انتخب في الاكاديمية الجديدة قبل « وليم » باربعة اشهر ، وقد وافق أخيرا ومن بين الاسباب التي جعلته يرفض قبول العضويه « الحقيقة بان اخي الفتى الضحل التافه موجود في الاكاديمية » ·

في (الاستاذ) تفاصيل واسعة عن الصداقات والعداوات والانفعالات ، عن العمل الصعب والامراض الرهيبة للعقل والجسد ، غير ان بؤرة الدرامية تكون على ثلاثة احداث حاسمة · الاول ،عودة جيمس الى اميركا عام ١٩٠٤ بعد مكوث طويل في انكلترا ·

الحدث الثاني هو اعداد New York Edition فلقد كرس (هنري جيمس) اربعة اعوام لتحقيق هذا المشروع ، فيتضح عمله الروائي ويكتب الحلقات المسلسلة من Prefaces وهو العمل الذى لا يزال تسجيلا حيا للعقل الادبي ·

ولكن الهزة الكبرى ، والتى تفوق الكل ، بالنسبة لجيمس ، كانت وقوع الحرب العالمية الاولى ·

ففي هذه الحرب عمل « جيمس » في المستشفيات ، والى الهزة الكبيرة التي اصابته ، أضيفت هزة اخرى اذلال آخر ، فلقد وجد فجأة بعد اقامة (٤٠) عاما في انكلترا ، بانه الان غريب جدا ·

شعريات الاقلام

بلجيكا

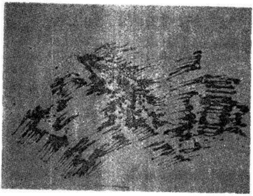
معرض « هنري ميشو »

ولد (هنري ميشو) في «نامور» ببلجيكا قبل بداية هذا القرن بالضبط • امضى معظم فترة مراهقته في (بروكسل) تنقل كثيرا في عشريناته واستقر في باريس عام ١٩٢٤ « وقد اكتسب اخيرا الجنسية الفرنسية بعد ما يقارب الثلاثين عاما » • وكانت شهرته الاولى قد بنيت علـى أساس انه شاعر وكاتب تصويري ، وهي شهرة بنيت اركانها على اسفاره الكثيرة والمتعددة ومنها ما كان الى الشرق الاقصى •

عندما جاء (ميشو) الى باريس للمرة الاولى كانت دهشته كبيرة منها فها هو الان يكتشف التصوير المعاصر « كلي ، ارنست ، شيريكو » وبدأ يرسم في الحال ويخطط عن وعلى نفسه • وبعد اثني عشر عاما ، كان يعمل (ميشو) خلالها بانتظام شديد ، أقام معرضـه الاول عام ١٩٣٨ • ومنذ ذلك الحين كرس نفسـه لموهبته ذات الوجهين •

ظلت شـهرة (ميشـو) كفنان ، في سنوات ما قبل الحرب ، تنمو واصبحت بالتالى شهرة مساويـة لكونه كاتبا •

والان ، نرى مجموعة من اعمال «ميشو» تبلغ ما يقارب من (٢٠٠) قطعة تعرض في (بروكسل) تتضمن اعمالا نفذت بالزيت والالوان المائية وتخطيطات بالحبر الهندى واعمال أخرى منذ (١٩٣٧) وحتى هذا اليوم •



ان الاسلوب الذي عرف به (ميشو) ، اسلوب شخصي وداخلي ولكنه مع مرور الاعوام أصبح اكثـر تجريدية ودخل في المباشرة والتركيز •

والواقع انه يمكن ان تضيف اعمال « ميشو » الى ثلاثة أو أربعة ابواب : الاشباح (وهي مرسومة بالالوان المائية عموما) ، تخطيطات الحبر ، العمل المنجز بشكل تجريبي •• الخ

ويمكن للرائي ملاحظة ان شيئا ما في اعمال (ميشو) غير مكتمل •

ان فن وكتابة (ميشو) ستكون بين الاعمـال الخالدة لهذا العصر كما يرى « ميشيل جبسـون » في صحيفة (الهيرالد تربيون) • ان فنه يستمد قوته مـن مغامرات الفنان الروحية •

١٩٧٢ سنة الكتاب الدولية

جولة مع الصحافة الادبية العربية

محمود درويش يتحدث في بيروت

في العدد (٦٦٩) من مجلة الاسبوع العربي نشرت مقابلة مطولة مع الشاعر الفلسطيني محمود درويش الموجود حاليا في بيروت . وتنشر الاقلام من هذه المقابلة بعض المقتطفات :

— ما الذي يميز شعر المقاومة داخل الارض المحتلة عن الشعر خارج الارض المحتلة؟ وهل هو شعر جيد لانه شعر مقاومة فحسب ؟ أم انه يستمد جودته من خلال الابداع الفني :

— ليس من السهل الحديث عن شعر المقاومة في الارض المحتلة بصيغة واحدة او تصنيف واحد . وليس هنا مجال الدخول في مناقشة حول ماهيته : هل هو شعر مقاومة ام معارضة ام احتجاج . هذه الاسئلة لا تعنيني شخصيا كثيرا . ما دام هذا الشعر ثوريا اظن انه اعطى القارىء العربي بعض التعويض عن هزائمه المستمرة وهذا بحد ذاته يدفع المراقب الى غض الطرف عن الدخول في مناقشة فنية حوله . وهذا يفسر الحماس غير العادي الذي يرافق هذا الشعر وخاصة في مرحلة ما بعد حرب حزيران . من ناحية اخرى الاحظ اليوم بعض الانحسار في موجة التعاطف مع هذا الشعر للاسباب السياسية والمعنوية ذاتها التي عمقت هذا التعاطف في يوم من الايام . نحن هنا اذن امام استنتاج هو ان قيمة شعر المقاومة بالاساس تنتمي الى اسباب ليست فنية دائما ، ولكن هذا القول لا يعني ان هذا الشعر لا يتميز ببعض الصفات الفنية الراقية بل يعنى ان هذا الشعر مقبل على الاجابة عن السؤال التالى : هل هو شعر جيد لانه شعر مقاومة ؟ طبعا لا يمكن تقديم الاجابات على هذا السؤال من خلال المناقشات . بل من خلال الابداع الفني نفسه . وانا شخصيا لا ابدي هذه التحفظات لانني اصبحت خارج الشعر في الارض المحتلة . فقد عبرت عن مخاوفي هذه عندما كنت داخل حركة الشعر في الارض المحتلة في مقالي الذي اصبح معروفا : « انقذونا من هذا الحب القاسي » .

لقد لمحت في مخاوفي القديمة الى ان شعر المقاومة ، يتميز عن الشعر العربى خارج الارض المحتلة بميزة واحدة هى الصدق . ولاحظت ان الصدق ، مع انه ضرورة فنية ، هو اولا صفة اخلاقية . ذلك ليس كافيا من اجل تقديم عمل ابداعى بالمعنى الحقيقي .

ان شعر المقاومة قدم قيما عزيزة غالية ساهمت في تعميق الصمود العربي وانقاذ الامل ، أي انه قدم قيما معنوية وسياسية لا تتوازى مع قيمه الفنية . اعني ان القيم الفنية في هذا الشعر ادنى من المعاني الاخلاقية والسياسية التي تضمنها . بمعنى آخر ان شعر الارض المحتلة لم يساهم كثيرا في تطوير وتعزيز شكل القصيدة العربية الحديثة بقدر ما ساهم في تعميق موقفها من الحياة ، واعنى الموقف الثوري .

هل انا متشائم ؟ لا اقول ذلك . ولكني خائف . خائف من ان يقع هذا الشعر اسيرا لاسباب التعاطف عليه ، فيستنزف نفسه ، ويستهلك معانيه ولا يبدي اهتماما أكبر بلعبة الفن . ومن قراءاتي القليلة لشعر الارض المحتلة الان الاحظ أن هذا الشعر مشرف على باب مسدود .

● كثر الحديث عن الشعر الثورى بحيث اختلطت المفاهيم حوله . فما هي — برأيك — المفاهيم التي يجب ان يتضمنها الشعر ليكون ثوريا ؟

— ثمة مناقشة دائرة في بعض البلدان العربية حول مفهوم الثورة في الشعر . او الشعر الثوري . وليسمح لي ان الاحظ ان مصدر سوء الفهم في هذا الموضوع يعود الى خلط المصطلحين . ويبدو لي اننا لو فرقنا بين هذين المصطلحين — بين مفهوم الثورة في الشعر وبين مفهوم الشعر الثورى — لاختصرنا بعض الوقت وبعض الجهود .

الثورة في الشعر ، كما افهمها علاقة داخلية في القصيدة . والشعر الثوري ، كما افهمه ، هو موقف من الحياة والصراع . والعلاقة بين المفهومين ليست علاقة اغتراب . اننا نطمح الى ان يتضمن الشعر الثوري مفهوما ثوريا في الشعر . لا أستطيع مثلا ان اعتبر شعر « ازرا باوند » أو (اليوت) شعرا ثوريا . ولكنني اعتبرهما ادخلا مفهوما ثوريا في الشعر ، أي ان الثوري لا يمكن ان يكون ثوريا داخل القصيدة ورجعيا في الشارع ، كما ان الشاعر الثوري لا يمكن ان يكون ثوريا في الشارع ورجعيا في القصيدة . اذا استطعنا ان نحقق هذا الانسجام بين المفهومين بعلاقة اعمق من الزواج واكثر عضوية ، لاكتشفنا ببساطة ان الشعر الثوري الذي نطمح اليه ينبغي ان يحمل ثورة في داخل الشعر ... في بناء القصيدة وفي التعامل مع اللغة وفي النظر إلي التراث ، وغيرها من اشكال العلاقات داخل القصيدة .

● اما اسباب الانفصال الحاصل بين القارىء

والشعر العربي الحديث ... الشعراء يعزون اسباب هذا الانفصال الى المستوى الثقافي المتخلف للقارىء العربي الذي يجعله قاصرا عن مواكبة الطموح الفني للشاعر الحديث • والقارىء يعزو الاسباب الى وقوع هذا الشعر في متاهات الغموض ؟

ـ قد تكون المشكلة التى يواجهها الشعر العربي المعاصر من اخطر المشاكل المطروحة في العالم ، وهي مشكلة علاقته بالجمهور • لان الشاعر العربى يعيش ويكتب لجمهور تتجاوز الامية فيه نسبة الثمانين فى المائة، ومستواه الثقافى الحضاري يبتعد عن تصور الشاعر للشعر والحياة عدة قرون • ماذا يعنى ذلك ؟ لا يعنى ذلك اننا نوجه التهمة أو المسؤولية الى عنوانها ، ولكننا نطرح صعوبة السؤال عن هذه العلاقة • ان الحل الجذرى للمشكلة لىس فى يد الشاعر وحده • ان المسألة تتعلق بتطور الاوضاع فى المجتمع العربى •• هنا نقفز من الموضوع لكى نقول ان مجرد وجود هذه المشكلة الفنية يفرض على الشاعر علاقة رغم انفه مع هذا التطور حتى على مستوى حل مشاكله الفنية • قد يطرح هنا السؤال حول مسؤولية الشاعر فى اغتراب الجماهير العربية عن الشعر الجيد • وهو ان غموضه هو المسؤول عن ذلك •• لنترك اغلبية العرب جانبا ولنأخذ القطاع العربى القارىء • حتى ضمن هذا القطاع الضيق لم يتمكن الشاعر العربى الجديد من تحقيق الانسجام بين طموحه الفنى وبين تعاطف القارىء • وهنا ليس من حقنا ان ننحو باللائمة على المستوى الثقافى المتخلف • المشكلة في رأيى وفى هذا النطاق تنحصر في حدود الشاعر نفسه • اذا كانت تجربته ذهنية فقط ، أى مأخوذة من الكتب ، ومن تجارب الاخرين ، ودون موقف منسجم مع الحياة والتجربة العامة ، فليس من حقه ان يفسر ارتداد القراء عنه بالجهل • عليه ان يحاسب نفسه • وقد تكون الامسيات الشعرية الجارية في بيروت دليلا على ان الجمهور قادر على استيعاب الشعر الحديث • ليس لمعانيه فقط • ولكن لشكله ايضا • واسمح لي ان اروي تجربتي الشخصية •

في امسيتي في الاونيسكو كان تجاوب الجمهور مع أكثر قصائدي حداثة وتعقيدا ، وهى قصيدة (سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا ، •• هذا يعنى انه ليس صحيحا ان القارىء العربى عاجز عن مواكبة تطور الشعر الحديث ولكن شرط الا تكون تجربة هذا الشعر مستمدة من الذهن فقط • لقد لاحظت بعض الصحف اللبنانية صعوبة الامساك بالقضية وبالشعر معا • ولكن فشلنا فى تحقيق هذا الانسجام يجب الا يدفعنا الى محاولة التجربة • الجمهور ليس معلما ولكنه ايضا ليس تلميذا جاهلا • إن القضية ليست تهمة فنية • والفن المجرد لا يصلح ان يكون تعويضا عن قضية • حتى الذين **يحاربون شعر القضية يحملون في لا وعيهم قضية كبرى •** قضية اللاقضية • ولكن هل يستطيع هؤلاء ان يكسبوا تعاطف احد على قضية اللاقضية • كل هذا لا يعني اننا نبرىء الجمهور من ميله التاريخي الى الطنين والرنين ولكن نحن المسؤولين بوسعنا ان نروض احاسيسه وآذانه على استيعاب اخطر القصائد الحديثة ، بشرط ان نحقق الانسجام غير المفتعل بين الفن والقضية •

جريدة العلم والادب العراقي

توالى جريدة العلم المغربية التي يرأس تحريرها الاديب الاستاذ عبدالكريم غلاب نشر المقالات والتعليقات المستمرة عن الادب والصحافة الادبية في العراق لا سيما في ملحق العلم الثقافي •

ففي عددها الصادر بتاريخ ٢٥ـ٢ـ١٩٧٢ نشرت تعليقا بعنوان (هل تنوي بغداد ان تسحب السجاد من تحت اقدام بيروت والقاهرة ؛) قالت :

(اذ كان الشعب العراقي كما قال ذلك اكثر من ناشر وكاتب هو اكثر الشعوب العربية قراءة ، فان حركة النشر الداخلية لم تكن لتواكب مثل هذه الحالة الايجابية •

ولذلك ظل العراق كما هو المغرب الان يتسوق قراءاته من الخارج : مجلات وكتبا في الشعر والقصة والدراسة الفكرية والفلسفية والبحث • بل أن نتاج شعراء العراق ومفكريه كانوا من بين ما يستورد العراق ، فدواوين البياتي وبلند الحيدري مثلا تطبع في بيروت •

هذه الحالة بدأت تزول الان فقد نشطت حركة الطبع في العراق بشكل ملفت للنظر حقا • ولم تقتصر هذه الحركة على مجرد اصدار كميات مطبوعة من الورق • بل ان أهم ما يلفت النظر هو المستوى ودراسات ودواوين (ايها الارق) : ملحمة الجواهرى • (قصائد على بوابات العالم السبع) للبياتى وغيرهما من الكتب •

وفى هذا الاطار نفسه تصدر من بغداد عدة كتب ومخطوطات محققة وموسوعات ، وعدة مجلات فكرية وثقافية من مستوى رفيع • ثم تحدثت عن العدد الاول من مجلة (الاديب المعاصر) مجلة اتحاد الادباء العراقيين• وقالت عنه :

(العدد الاول من المجلة يعطي انطباعا اساسيا هو ان المطابع لا تنوي ان تملا السوق بالورق المطبوع ، ولكن بالمحتوى الجيد الذى يستطيع أن يدخل في منافسة مع احسن المجلات العربية وغير العربية ، الشيء الذى يجعلنا نتساءل عما كان النشاط الفكرى والثقافي العربي الذى بدأ يتقلص في القاهرة ، ويتسطح في بيروت ، قد انتقل او هو في طريقه لينتقل الى بغداد ؛) •

وفي عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٢/٢/١١ نشرت استعراضا للعدد التاسع من مجلتنا (الاقلام) قالت فيه:

(عدد بعد عدد تخوض مجلة الاقلام العراقية تجربتها بوعي لتجعل من العراق البلد الذى يعيد الاعتبار الى كتابه وفنانيه ومفكريه بعد غربة طويلة البلد العربي

الوحيد الذى وضع مفهوم الثقافة فى اطارها الحقيقي . سابقا كان العراق سوقا عربية كبيرة للاستهلاك الثقافي كانت دور النشر في لبنان مثلا تضع في حسابها العراق كبلد يقرأ اكثر من البلدان العربية الاخرى ، وهكذا فالعراق المستهلك أضحى اليوم عراقا مصدرا : مجلات ، كتب ، معارض ، مهرجانات ثقافية ، لقاءات شعرية ، نشر كتب لكتاب عرب وعراقيين . فتح المجلات الادبية الكبرى مثل (الاقلام) و (الكلمة) و « المثقف العربي » صدرها لكتاب عرب خارج الحدود . باختصار هل اوشك عراق اليوم أن يمثل الريادة في الادب العربي وعلى جميع المستويات ؟ ولم لا ؟ ان هذا النشاط القائم غير عادي ، كما ان فيض الكتب والمطبوعات التي تنشر باستمرار لتؤكد شيئا واحدا : لم يعد مجرد نشاط ولكنه أضحى ازدهارا) .

أنباء الفكر

● وافقت لجنة تعضيد النشر على طبع الكتب التالية على نفقة الوزارة :

١ ـ الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ـ تأليف د . رؤوف الواعظ .
٢ ـ البحرين في صدر الاسلام ـ تأليف عبدالرحمن النجم .
٣ ـ اوراق من ديوان ابى بكر الاصفهاني ـ تحقيق د . نوري حمودي القيسى .
٤ ـ المملكة السوداء ـ قصص محمد خضير .
٥ ـ العرب والبحر ـ ترجمة غازي العبادي .
٦ ـ وحدة القصيدة العربية ـ تأليف حياة جاسم .
٧ ـ القصائد العشر ـ تحقيق احمد الخطاط .
٨ ـ عيناك واللحن القديم ـ شعر مصطفى جمال الدين
٩ ـ قضايا معاصرة في المسرح ـ تأليف سامي خشبة .
١٠ ـ محاكمة الرجل الذى لم يحارب ـ مسرحية ممدوح عدوان .
١١ ـ اصوات ـ رواية سليمان فياض .
١٢ ـ عالم بلا حدود ـ قصص قمر كيلاني .
١٣ ـ الطائر الخشبي ـ شعر حسب الشيخ جعفر .
١٤ ـ السياب ـ دراسة عبدالجبار عباس .

● كما وافقت اللجنة على مساعدة المؤلفين التالية اسماؤهم مساعدة مالية لطبع مؤلفاتهم المذكورة ازاءهم :

١ ـ السيد كاظم المظفر ـ مؤلف ثورة العراق التحررية ج ٢ .
٢ ـ جاسم محسن السعدى ـ مؤلف الدراسات النحوية واللغوية في البصرة .
٣ ـ السيد شاكر العاشور ـ محقق شعر سويد بن ابي كاهل اليشكري .
٤ ـ السيد جعفر الخليلي ـ مؤلف صفحات من الجيل الماضي .
٥ ـ السيد صالح عمر الشريف ـ مترجم قصص وليم سارويان .

● قرر العراق المشاركة في معرض الكتاب العربى الذى تقيمه جامعة بيروت العربية في العاصمة اللبنانية خلال الفترة من ٢٤ نيسان الى ٦ ايار القادم وستبعث وزارة الاعلام خلال الايام القليلة القادمة مجموعة من الكتب العراقية لعرضها في المعرض السنوي المذكور .

● رشحت وزارة الاعلام السيدين محمد سعيد الصحاف وكيل وزارة الاعلام وخالص عزمي مدير الحقوق في ديوان الوزارة لتمثيلها في عضوية اللجنة التي قررت جامعة بغداد تأليفها لدراسة استحداث اول معهد عال للاعلام فى العراق .
ومما يذكر ان قسم الصحافة في كلية الاداب كان قد افتتح فى عام ١٩٦٤ ومنح حوالى ٨٠ طالبا من خريجيه على مدى ثلاث دورات درجة البكالوريوس في الصحافة .

● ستنظم وزارة الاعلام اول معرض للملصقات الجدارية العراقية خلال المهرجان الفني الكبير الذي تقيمه فى شهر نيسان القادم احياء لذكرى الفنان العراقي الخالد يحيى الواسطي .
ودعت اللجنة التحضيرية لمهرجان الواسطي كافة الفنانين التشكيليين في القطر الذين سبق لهم ان انتجوا ملصقات جدارية (بوسترات) الى تقديم نتاجاتهم الى المعرض الوطني للفن الحديث في موعد أقصاه يوم ١٥ اذار القادم .
والمعروف ان معرض الملصقات الجدارية هو احد خمسة معارض فنية تقيمها الوزارة خلال مهرجان الواسطي والمعارض الاربعة الاخرى هي معرض الفن العربي ومعرض الواسطي وتأثيراته ومعرض المخطوطات والكتب والمطبوعات لفترة الواسطي ومدرسته .